النور الأبهر

في الدفاع عن الشيخ الأكبر

إعداد وتحقيق

أحمد فريد المزيدي

الناشر





صورة الغلاف قبة ومقام الشيخ الأكبر

الكتاب: النور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر

تحقيق: أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الذكر للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع: ٢٩٣٣/ ٢٠٠٧

الترقيم الدولي 5 -52-6156-977

طبع في القاهرة، مصر

يطلب من

دارة الكرز للنشر للتوزيع

١٧ ش منشية البكري
مصر الجديدة
القاهرة، مصر
تليفون: ٢٤٥٥١٣٠٤(٢٠٢)
Email:darkaraz@yahoo.com

النور الأبهر

في الدفاع عن الشيخ الأكبر




بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى مظهر صفة العلم
سلطان العارفين
وإمام الأقطاب الواصلين
وحجة الله على السالكين
ختم الولاية
ولسان الورثة المحمديين
العارف الكامل
والبحر المحيط الشامل
سيدنا ومولانا
أبو بكر محيي الدين بن عربي
الرباني المحمدي الحاتمي الطائي



محتوى الكتاب

١- الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين للبغدادي.

٢- ترجمة الشيخ الأكبر للكتاني.

٣- الفتح المبين في رد اعتراض المعترضين على الشيخ محيي الدين للعطار.

(الرد على السعد التفتازاني).

(الرد على الملا علي القاري).

٤- مناقب الشيخ محيي الدين للمناوي.

٥- الانتصار للشيخ الأكبر ليوسف الموصلي.

٦- الاغتباط بمعالجة ابن الخياط للفيروزآبادي.

٧- السر المختبي في ضريح ابن عربي للنابلسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حمدًا لمن أبرز الحقيقة المحمدية، والرقيقة الأحمدية من نور الذات الأحدية بالتجلي الذاتي، والفيض الأقدسي، وشكرًا لمن فصَّل من نور الجمع الذاتي جميع الأعيان الكونية بالتجلي الصفاتي، والفيض المقدس، وخصَّ هذه الأمة المحمدية بالخليفة الأعظم، والختم الأكرم والإمام الأنفس، هيولي الكمال الراسخ ومعدن المجد الشامخ، مركز الكلمة العظيمة الباهرة، نقطة دائرة الأفلاك، وما حوته من الأسرار الباطنة والظاهرة، صاحب الباطن والخفاء، ومحل الظهور والاصطفاء، قطب العجائب، وفلك الغرائب، تاج المحاسن والجمال، وإكليل السناء والبهاء والكمال، مجمع البحرين، وإنسان عين العين، روح الأكوان، ورياح أهل العرفان، قمة الوجود، وشمس أهل الشهود، هدهد الأحبار، وكنز الأسرار، نبأٌ عظيم، وملك كريم، نور الأنوار، وسر الأسرار، روح العبارات، وسر الإشارات، روح المعاني، وسر المباني، شجرة النور، وزيتونة الحبور، ومعدن السرور، ممدود المعلومات، مظهر الأسماء والصفات والذات، آدمي النشأة، محمدي الخلقة، بدر البدور، ومجلى الانجلاء، وكمال الظهور والشمس الطالع في سماء التنزيه، والقمر الساطع في أراضي التشبيه، شاهين الوجود وباز كل موجود، الحجر المكرم والسر المطلسم، السر المصون، تحت حجاب الصون، المعلوم الذات، المجهول الصفات، المعروف الاسم، المجهول الجسم، هو عنقاء المغرب، هو الحجر الأسعد، مَنْ لثمه يسعد، هو الكبريت الأحمر، والسر المضمر، هو إكسير المعارف

وشمس العوارف، بل هو شمس المعارف، وبحر اللطائف، هو كيمياء السعادة، وسيمياء السيادة، هو الرحمة الواسعة، والروضة اليانعة، هو جنة الرضوان، جنان أهل العرفان.

وصلاةً وسلامًا على سيدنا محمدٍ مرآة الذات، مسمى الأسماء والصفات، مهبط أنوار الجبروت، منزل أسرار الملكوت، مجمع الحقائق، وكنز الدقائق، وعلى آله الحاملين لواء أسراره المتمتعين بلوامع أنواره، ومطالع أقماره، وسواطع أبداره، وأصحابه نجوم هديه، وشمس رشده، ونور أقماره، وعلى ورثته الناظرين بالعينين:

العين الأحدية والعين الواحدية، الماحين نقطة الغين والأين بالعين الإلهية.

وبعد هذا النعت الجميل الذي نعته به الشيخ الداموني الجليل، وعلى الله قصد السبيل، فهذا عملٌ عظيم، جديد من نوعه، أعدَّه الشيخ أحمد فريد المزيدي من درر التراث الإسلامي الصوفي، ليبين به الاعتراضات والانتقادات الزائفات، التي رُمي بها الشيخ الأكبر بغير وجه حق، ولم يلتزم من نقل هذه الادعاءات التحري والصدق.

فكان لزامًا بحث هذه المسائل الموضوعة، وتوضيح وردّ تلك الأباطيل المصنوعة، وجعلها في ميزان البحث والتحقيق، حتى يهتدي القارئ والباحث طالب العلم الشريف إلى الحق والصواب في جانب الشيخ محيي الدين بن عربي- قدس الله سره العزيز-.

فحوى هذه المجموع المُحقَّق رسائل في التعريف والترجمة، ومناقب الشيخ الأكبر، ودراسة المسائل المنسوبة إليه، والرد على من افترى عليه، سواء بالقول أو التصنيف، فيظهر الحق من الزّيف؛ فينتصر لأصحاب التعريف،أهل الفضل والتشريف.

واعلم أنك ستعجب أخي القارئ مما تراه في كتابنا هذا حيث مفاجأة الإيضاح، وبيان الاتضاح، وأن ما اعتقده قارئ أو سامع مقلد في ذم الشيخ ابن عربي وهم وسِفاح، وإذا بك تعلم أنه حَظِي الثناء والتقدير من العلماء الكبار المعروفين، وما نُسب إليهم في ذم الشيخ وهم بُرءاء منه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد ﷺ عبدك ورسولك وخليلك وحبيبك صلاة أرقى بها مراقى الإخلاص، وأنال بها غاية الاختصاص، وعلى آله وسلم تسليمًا عدد ما أحاط به علمك، وأحصاه كتابك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون.

كتبه

أحمد فريد المزيدي

أهم مصادر الترجمة

- مختصر ابن الدبيثي (٢/ ٦).
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٤/ ٢٩٦).
- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي.
- تنبيه الغبي بتبرئة ابن العربي للسيوطي.
- القول المبين في الرد عن الشيخ محيي الدين للشعراني .
- الرد المتين في الرد على منتقصي الشيخ محيي الدين لعبد الغني النابلسي.
- تسفيه الغبي في تنزيه ابن العربي للحلبي.
- العبر في خبر من غبر للإمام الذهبي (٤/ ١٢٥).
- عنوان الدراية للغبريني.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (٦/ ١٦٣).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي.
- لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين للبغدادي (٢/ ١١٤).
- لواقح الأنوار في طبقات الأخيار للشعراني (١/ ١٦٣).
- سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢٨).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي.
- تذكرة الحفاظ للذهبي (١٢٩٤).

- اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير الجزري (١٥٣).
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن أحمد بدران.
- طبقات الأولياء لابن الملقن (١٥٣).
- معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ١٠٧).
- ميزان الاعتدال (٣/ ١٠٨).
- دول الإسلام في التاريخ للذهبي (٢/ ٦١).
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لرضي الدين الغزي العامري.
- القول المنبي عن ترجمة ابن العربي للسخاوي.
- البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ١٥٦).
- العسجد المسبوك للخزرجي.
- نفح الطيب للمقري.
- بستان العارفين للنووي.
- تكملة الصلة لابن الأبار.
- شذرات الذهب ٠٥/ ١٩٠).
- طبقات المفسرين للسيوطي (٣٨).
- ذيل الروضتين لأبي لاشامة (ص١٧٠).



سند المحقق وإجازته بتصانيف ومرويات الشيخ الأكبر

قلت: أجازني الشيخ عبد العزيز بن محمد الصديق الغماري، عن شيخه بدر الدين ابن يوسف بن بدر البيباني الحسني، عن الشيخ البرهان السقا، عن الشيخ محمد بن سالم ابن ناصر الفشني، المعروف بولي الله تعيلب، عن الشهابين: الشيخ أحمد بن الحسن الجوهري، والشيخ أحمد بن عبد الفتاح الملوي، كلاهما عن الحافظ عبد الله بن سالم البصري، عن الشيخ محمد بن سليمان الروداني، عن الشيخ شمس الدين محمد بن سعيد المراكشي، عن الشيخ أشرف الأشراف أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني، عن الشمس محمد بن عبد الرحمن العلقمي، عن الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، عن الشيخ محمد بن مقبل الحلبي، عن أبي طلحة الحراوي الزاهد، عن الشيخ شرف الدين الدمياطي، عن الشيخ سعد الدين محمد بن سيدي محيي الدين بن عربي، عن والده: ختم الولاية، حضرة إمام العارفين، وشيخ شيوخ العالمين، صاحب القَدَم من القِدَم، غوث البريَّة، قطب العرب والعجم، من خضعت له الرقاب، وشهدت بسلطنته الأقطاب، بحر العلم اللَّدنيِّ، مولانا الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي، روّح الله تعالى أروحنا بنفحات رُوحه، وفتح أقفال قلوبنا بمفاتيح فُتوحه، ولا زالت رحمة الرحمن فيَّاضةً على روحه في كل حينٍ وآنٍ، آمين-قدَّس الله سرَّه، وأعلى في العالمين ذكره.

الفقير إلى ربه تعالى (أبو الحسن والحسين): أحمد فريد المزيدي الأكبري

مدير دار الحقيقة المحمدية للبحث العلمي وتحقيق تراث السادة الصوفية

٠١٠١٤٦٣٠٢٧

الدُّر الثَّمين في مَنَاقب
الشيخ محيي الدين

قدس الله سرَّه

تصنيف

الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن إبراهيم القاري البغدادي

من متصوفة القرن الثامن الهجري

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

من علماء الأزهر الشريف

ترجمة الشيخ البغدادي

هو الشيخ الإمام الحجة المترجم المناظر الصوفي: أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله بن غبراهيم بن يوسف القارئ البغدادي.

من علماء القرن الثامن الهجري.

وكان ينعت الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي -صاحب القاموس- يقوله: «شيخنا» وذكر أنه سمع منه في دهلي المحروسة، سنة ٧٨٤ هـ.

وكان الفيروزآبادي طاف وارتحل في البلاد، ودخل الهند والروم واليمن ودمشق، ومات بزبيد في اليمن.

وذكر المصنف أيضًا أنه أرسل برسالته هذه إلى الصنو العزيز الشيخ أحمد بن الرداد الزبيدي اليمني من كبار مشايخ الصوفية.

وفي ذلك دلالة على أن المصنف من أقران الشيخ الرداد، وطبقته.

هذا وقد بحثت في مصادر كثيرة جدًّا، فلم أقف له على ترجمة، والله أعلم.

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

وعليه نتوكل، وبه نستعين

الحمد لله العليم الحكيم، الخبير، المنزه عن الشبيه والنظير، المقدس عن التمثيل والتصوير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أحمده على ما أولانا به من الخير الكثير والمنّ الغزير، وأشكره شكر معترفٍ بالتقصير عن القليل والنقير، والصلاة على البشير النذير، السراج المنير، الذي أقر بفضله كل نبي وسفير، وكان له في الخلق التقديم وفي البعث التأخير.

وإن جَـاءَ بَعـدَ الأَنبيـاءِ مُـؤخَّرًا ... لَقـد كَـانَ قَبـلَ الأَنبيـاءِ مُقَـدّما

فَكَانُوا لهُ الحِجَاب في مَوكِبِ الهُدَى ... ولا غَـرو للحِجَـابِ أَنْ تَتقَـدّما

أَقَـامَ قَنـاةَ الـدِينِ بَعـدَ اعوجَاجَهـا ... فَمِن بَعـدِه مَـا اعـوج مَـا كَـانَ قَوّمَـا

محمد وآله، ما أدبر الليل البهيم، وأسفر الصبح المنير.

وبعد.. فهذه رسالة سميتها: «**الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين**»، وأرسلتها إلى الصنو العزيز، والحرز الحريز الشيخ شهاب الحق والدين أحمد بن الردّاد الصوفي اليمني[1]، لا زالت آيات فضله مسطورة، ورايات علمه منشورة بالتمكين، ما أسفر الصبح المبين.

---

(١) هو أحمد بن القاضي رضي الدين الرداد التيمي القرشي.

شيخ الزمان والمكان، والمشار إليه بالبنان، إنسان الأعيان، وعين الإنسان، إمام الطريقة وعين الحقيقة، ينبوع المعارف الإلهية، ومعدن العوارف الحقيقية.

=

=

انتهت إليه رئاسة الصوفية باليمن، وأقر له بالفضل علماء الزمن، وحببه الله إلى خلقه، ووضع له القبول في فعله ونطقه، كانت له رياضة حسنة، اجتهد فيها نحو عشرين سنة حتى رقي من رتب المعالي أعلاها، فعَلاها، وحوى من العلوم الإلهية فحْواها، فحَواها، ودان له لذلك من في أدنى البلاد وأقصاها، ورزق من الأخلاق الفاضلة أرقاها وأسناها، فسبحان من حلاّه بحلي المعارف، بل به حلاّها، وأعطاه من المحاسن ما يرضاها، وفد إليه الناس من كل جانب، ووسعت أخلاقه الأقارب والأجانب، وجزم بنصب المشايخ، ورفع أقدارهم، فأكرم به من رافع جازم ناصب، كان يحضر مائدته كل صباح ومساء نحو ثلاثمائة رجل، فلا يرى منه ضجر ولا عبوس، ولو أنه في غاية الفقر والبؤس.

وكان عريض الجاه، لا ترد شفاعته لمن أمه وجاءه.

وله تصانيف كثيرة منها: «موجبات الرحمة» في الحديث، في مجلدين، غريب في بابه.

وله كلام في التصوف منثور ومنظم، فمنه ما قال: لا يصح التحكم في أسرار القدرة، إلا بعد التبرؤ من الحول والقوة.

وقال: من تحقق بحقائق التقوى، كاشفة الله بأسرار القلوب.

وقال: الفقراء قوم فرغوا عن الكل، وما دخلوا من حيث خرجوا، ولا خرجوا من حيث دخلوا.

وقال في معنى قولهم: «**حسنات الأبرار سيئات المقربين**»: هؤلاء يشهدون قربهم من الله فيما قامت به نفوسهم من أعمالهم وطاعاتهم، وأولئك يرون ثبوت آثارهم مع الحق في الأفعال آية بعدهم واعتلالهم.

وقال: التصوف التصفي من اختلاط أخلاق البشرية، والاتصاف بحقائق معاني الصمدية.

وقال: الطبع المعروف لأرباب السماع هو ما استقام بملاحظة من الحق للعبد، وهو نفس من الأنفاس الرحمانية، والطبع المذكور لأهل السماع هو ما استقام بملاحظة من العبد للحق، وهو من عيش النفس الحيوانية.

ولم يزل على طريق القوم حتى مات سنة إحدى وعشرين وثمانمائة.

انظر: ذيل الدرر الكامنة (٢٦٥)، الضوء اللامع (١/ ٢٦٠)، طبقات الخواص (٣٠)، الكواكب الدرية (٦٨١).

أذكر فيها أحواله وأقواله بإيجاز واختصار، دون إطناب وإكثار، إذا أكثر سيرته العجيبة، وآدابه الغريبة، وما يسر الله سبحانه وتعالى عليه من أسباب البر، وغلق عنه أبواب الشر مذكور في مصنفاته، مسطور في مؤلفاته، ومعظمها في «**الفتوحات المكية**».

فأقول، والله المستعان، ومنه يستمد العرفان: إن الذي يُحتاج إليه بابان:

الباب الأول: في أحواله.

الباب الثاني: في أقواله.

❋ ❋ ❋

الباب الأول: في أحواله

وهذا الباب قد اعتنى به جم غفير، وجمع كثير من فرسان أصحابه، وأعيان أحبابه، أذكر منه اليسير، معرفًا بالعجز والتقصير.

اعلم أيدك الله بتوفيقه، وأراك الحق بتحقيقه أن علماء التاريخ ذكروا أنه الشيخ الإمام، قدوة الأنام، عمدة الأحكام، النور البسيط، البحر المحيط، ذو المواهب الإلهية، والعطايا القدسية، مفتي الطريقين، حجة الفرقين، سلطان العارفين، برهان المحققين، محيي الملة والدين، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي، المشهور بابن العربي، أفاض الله علينا من بركات أسراره الطاهرة الزاهرة، ما يبلغ بنا صلاح الأحوال، وفلاح الأقوال في الدنيا والآخرة.

لم يكن بالطويل، ولا بالقصير، لين اللحم، بطنه بين الغلطة والرقة، أبيض، مشرب بحمرة وصفرة، معتدل الشعر طويله، ليس بالسبط ولا بالجعد، ولا بالقطط، أسيل الوجه، أعين، معتدل اللثة، ليس في وركه ولا صلبه لحم، خفي الصوت صافيه، أغلظ منه، وما ورق في اعتداله، طويل البنان، سبط الكف، قليل الكلام والضحك؛ إلا عند الحاجة، ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء، في نظره قدع، ومشيه ليس بعجلان ولا بطيء.

وقد أجمع علماء الفِراسة على أن هذه الهيئة أحسن الهيئات، وأعدل النشئات، ولم تصح هذه الهيئة إلا لرسول الله ﷺ، وللشيخ محيي الدين ﷺ.

وكان مولده بمرسية، بلدة من بلاد الأندلس، ليلة الاثنين سابع عشر رمضان المعظم سنة ستين وخمسمائة، ونشأ بها، ثم انتقل إلى إشبيلية، وهي تحت بلاد الأندلس،

سنة ثمان وستين، فأقام بها إلى سنة ثمان وتسعين، ثم دخل إلى بلاد المشرق، وطاف جميعها، وحج وجاور بمكة المشرفة سنين كثيرة، وصنف بها كتبه كـ **«الفتوحات»** وغيرها كما سيأتي.

وكان من أبناء الملوك والأعيان، ورؤساء ذلك الزمان، وكان أبوه وزير صاحب إشبيلية سلطان الغرب، فدعاه بعض الملوك من أصحاب والده ودعا جماعة من أبناء الملوك، فلما حضر الشيخ محيي الدين ﷺ وحضرت الجماعة وأخذوا حظهم من الأكل دارت عليهم أقداح الراح، فوصل الدور إلى الشيخ محيي الدين ﷺ وأخذ القدح بيده وأراد شربه، فسمع قائلاً يقول: يا محمد، ما لهذا خلقت.

فرمى بالقدح، وخرج مدهوشًا، فلما وصل إلى باب داره، رأى بالباب راعي غنم الوزير قد وصل بالتراب الذي عليه كل يوم، فاستصحبه إلى ظاهر البلد، وأخذ ثيابه فلبسها وأعطاه ثيابه، وساح إلى أن وصل بعد ساعات إلى جبانة، وكانت على نهرٍ جارٍ، فقصد الإقامة بالجبانة، فوجد في وسطها قبرًا قد خسف به وانهدم وصار مثل المغارة الصغيرة، فدخله واشتغل بالذكر لا يخرج إلا وقت الصلاة.

قال الشيخ ﷺ فأقمت بتلك الجبانة أربعة أيام، وخرجت بعدها بهذه العلوم كلها.

ثم اجتمع بعد ذلك بعلماء بلاد الغرب وصلحائها وأوليائها، فأقر الكل بجلالة قدره، وانقادوا لنهيه وأمره، واعترفوا بعلو شأنه، وارتفاع مكانه، ولو وقف الإنسان على ما جرى بينه وبين علماء ذلك الزمان من المحاضرات والمجالسات

والمكاتبات والمراسلات لحار قلبه، وطار لُبُّه من أحواله العجيبة وأقواله الغريبة، وكل ذلك مذكور في مصنفاته، مسطور في مؤلفاته.

ثم توجه إلى مكة -شرفها الله تعالى- وحج ودخل بلاد الروم، وتزوج بأم قطب الوقت الشيخ صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي ﷺ[1]، وعلى يده تخرج، ثم انتقل إلى دمشق بعد ما جاور بمكة المشرفة مدة من الزمان، وكان بها رئيس هذا الشأن.

---

(١) هو سيدي محمد بن إسحاق بن محمد الرومي، الصوفي، العارف الكبير الإمام الشهير صدر الدين القونوي، أجل تلامذة ابن عربي.

كان عارفًا على المقام، متكلمًا بما تقتصر عنه الأفهام، وهو شيخ أهل الوحدة بقونية وما والاها.

كان يسلك طريق شيخه الحاتمي في جميع أحواله ومقالاته التي تفرد بها، والوقوف عند نص أقواله، وكان بكتبه سيما الفتوحات مغري، وهي أجود ما يعرفه، وخير دينار يخرجه من كيس معاليمه ويصرفه.

وكان ذا حظ عند الأكابر موفور، وقبول تام، كل ذنب معه عندهم مغفور.

وله تصانيف في السلوك منها «شرح التجليات» وله تفسير شهير، وكتاب «النفحات الإلهية» و«النصوص في فك الفصوص»، وشرح أسماء الله الحسنى، ثلاثتهم بتحقيقنا، و«مفتاح غيب الغيب» وغير ذلك.

وحكى عن نفسه قال: «اجتهد شيخي العارف ابن عربي أن يشرفني إلى المرتبة التي يتجلى فيها الحق للطالب بالتجليات البرقية في حياته فما أمكنه، فزرت قبره بعد موته ورجعت، فبينما أنا أمشي في الفضاء بين عدن وطرسوس، في يوم صائف، والزهور يحركها نسيم الصبا، فنظرت إليها وتفكرت في قدرة الله وجلاله وكبريائه، فشغفني حب الرحمن حتى كدت أغيب عن الأكوان، فتمثل لي روح الشيخ ابن عربي في أحسن صورة كأنه نور صرف، فقال: يا مختار، انظر إلي، وإذا الحق جل وعلا تجلى لي بالتجلي البرقي من المشرق الذاتي، فغبت مني به فيه على قدر لمح البصر، ثم أفقت حالاً، وإذا بالشيخ الأكبر بين يدي، فسلم سلام المواصلة بعد الفرقة، وعانقني معانقة مشتاق، وقال: الحمد لله الذين رفع الحجاب، وواصل الأحباب، وما خيب القصد والاجتهاد، والسلام».

=

ومن كلامه: كن فرداني المقصد لكمال عبوديتك التي خلقك الحق لها، فإني رأيت عندك أمرًا زائدًا على هذه الوحدة في التوجه، فالزائد علّة.

وقال: الحلال التام، كل ما لا ضرر فيه من حيث مزاجه، ولا تعلق به حدّ لا حد يستلزم توجه نفسه إليه، فإن لتوجهات النفوس إلى الأشياء خواص رديئة تسرى في بدن الإنسان المباشر لذلك الشيء أكلاً أو لباسًا أو مسكنًا أو غيرها من التصرف.

وقال: الملابس إذا فُصلت وخُيطت في وقت رديء، اتصل بها خواص رديئة، وكذا ما ورد التنبيه عليه في الشرع من شؤم المرأة والفرس والدار، وشهد بصحته التجارب المكررة، فإن ذلك يؤثر في بواطن أكثر الناس، بل ولو في ظواهرهم خواص مضرة تعدى إلى نفسه وأخلاقه وصفاته، فيحدث بسببها للقلوب والأرواح تلويثات هي من قسم النجاسات المعنوية.

وقال: كما أن طهارة القلوب والأرواح من الكدورات البشرية، والأحكام الإمكانية يوجب مزيد الرزق المعنوي، وقبول العطايا الإلهية، ووفور الحظ منها فكذا الطهارة الظاهرة الصدرية تستلزم مزيد الرزق الحسي، ومن جمع بين الطهارتين فاز بالرزقين.

وقال: صور الأعمال أعراض جواهرها مقاصد العمال وعلومهم واعتقاداتهم ومتعلقات هممهم.

وقال: الكرسي هو أرض الجنة وسقفها هو العرش.

وقال: إذا كملت المضاددة، وقع القتل؛ لأن الضد يطلب إزالة ضده.

وقال: لا ريب عند المحققين بالتجربة المكررة والعلم المحقق، إن الآلام النفسانية تخمد وهج القوى الطبيعية، وتنعش القوى الروحانية الموجبة لتنوير الباطن، فلذلك جعل المصطفى الصبر يثمر الضياء.

وقال: ليس في الوجود وقفة لأحد، الإنسان سائر إلى المرتبة التي قدر الحق أنها غايته من مراتب الشقاء، ومراتب السعادة.

وقال: مسمّى الإنسان بالتعريف العام عبارة عن مجموع جسمه الطبيعي، ونفسه الحيوانية، وروحه المجرد المدبر لهيكله، فكل فعل صدر عنه من حيث جملته المذكورة، فلكل من الثلاثة فيه دخل.

وقال: الغيب لا يعلمه إلا الله، لكن قد يعلم بتعريف الله تعالى وإعلامه.

ثم أقام بدمشق مدة حياته إلى حين وفاته مشتغلاً بالتصانيف العجيبة، والتواليف الغريبة، لم ينسج على منوالها، ولا سمحت قريحة بمثالها، ما يزيد على خمسمائة مصنف، وسيأتي ذكر مصنفاته في الباب الثاني.

ولما توفى ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة كان لجنازته يوم مشهود، ووقت مسعود، وشيعه صاحب دمشق راجلاً مع جمهور الأُمراء والوزراء والعلماء والفقراء، ولم يبق بدمشق أحد إلا شيعه.

وغلقت أهل الأسواق دكاكينهم ثلاثة أيام تعزية له، ودفن بجبانة محيي الدين ابن الزكي بصالحية دمشق، بسفح جبل قاسيون، وبُني عليه بناء عظيم ومزار كريم،

=

وقال: من ثبتت المناسبة بينه وبين الكمل من أرواح الأنبياء والأولياء، اجتمع بهم متى شاء، يقظةً ومنامًا. وقد رأيت شيخنا ابن عربي مرارًا، كذلك وقع له مرارًا .

مات بقونية سنة اثنين وسبعين وستمائة.

وكان شافعيًّا، وقد أفحش ابن أبي حجلة في سبه، والله حسبه حيث قال:

«كلب الروم، وتلميذ ابن عربي المذموم، زوجه أمه، وخالف باتباعه الأمة، فجحد النعمة، وزعم أنه يبرئ الأكمة بالحكمة، فزاد عليه بالسفه، وتنـزيل الحادة على قواعد الفلسفة، فضل وأضل، وحل المربوط وربط المنحل، وإلهي تنسب الطائفة الإسحاقية فسحقًا لهم.

ومن تصانيفه: الفكوك الكثيرة الشكوك، والنصوص التي خالف بها النص، واطلع بشرحها على كل عين أقبح فعمى، فازداد بها مع عمى البصيرة، وفتح بمفتاح غيب الجمع باب شر، فهو مثل شيخه السفيه، وأقل من أن يكثر الكلام فيه». وإلى هنا كلامه.

وقد قامت عليه القيامة، وعزّره بسبب هذه القضية السراج الهندي قاضي قضاة الحنفية.

انظر: طبقات السبكي (٨/ ٤٥)، طبقات الأولياء (٤٦٧)، طبقات الشعراني (١/ ٢٠٣)، كرامات الأولياء (١/ ١٣٣).

وهو إلى الآن مزار أعيان الزمان في كل عصر وأوان، يلوح منه لزُوارِه ألوان الأسرار، ويفوح منه لقُصاده تضوع الأعطار بالأقطار، تستجاب فيه الدعوات لذوي الحاجات في سائر الأوقات.

وكان ﷺ شيخًا جليلاً، عالي القدر، واسع الصدر، متمكنًا من العلوم الشرعية، راسخًا في أسرار المعارف الحقيقية، وفي سائر العلوم التي حارت فيها الأفهام والعقول.

وكان أوحد أهل زمانه، وأسعد أقرانه، وأنجد إخوانه، لم يكن في عصره من يوازيه، ولا في دهره من يدانيه، وكان في عصره من العلماء الأبرار والمتكلمين النظار، والفقهاء الأحبار، والمشايخ الكبار ما لم يوجد في عصر من الأعصار، وكلهم أقروا بعلمه، واعترفوا بفضله، وما بلغنا أن أحدًا من فقهاء دهره وعلماء عصره اعترض عليه، بل كانوا يرحلون من أقاصي البلاد إليه إذ ما من فن من فنون العلم المنقول منها والمعقول إلا وكان إمامًا فيه، ومقتدى أهله وطالبيه، وكانت القضاة والملوك في خدمته، وأهل التصوف والسلوك يسيرون بسيرته.

والناس فيه ثلاث فرق:

الفرقة الأولى

وهم الذين عاصروه، وبكل فضل وصفوه، وعلى أنفسهم ميزوه، كالإمام فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي ﷺ، والشيخ الإمام شيخ مشايخ الإسلام الشيخ عز الدين بن عبد السلام ﷺ، وشيخ الشيوخ الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي ﷺ، والشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد الحموي ﷺ، والشيخ كمال الدين الزملكاني ﷺ، وقاضي القضاة الملكية ﷺ، والحافظ ابن عساكر، وابن النجار، وابن الدبيثي، وملك العلماء أقضى القضاة أبي يحيى زكريا بن محمد بن محمود الأنسي القزويني ﷺ، وغيرهم مما لا يحصى ولا يستقصى من العلماء والأخيار، أَضربتُ عن ذكرهم طلبًا للاختصار، ولو أخذت [.....][1] وذكر أساميهم، وما جرى له معهم من المحاضرات والمراسلات؛ لخرجت عما التزمته من الإيجاز والاختصار إلى الإطناب والإكثار.

فأما الإمام فخر الدين الرازي ﷺ [2] فكان الشيخ محيي الدين ﷺ بإرشاده له الأساس في انقطاعه عن الخلق، وانعزاله عن الناس، وذلك أن الشيخ محيي بالدين ﷺ

---

(١) كلمة ممحوة في الأصل.

(٢) ترجمه الصفدي بقوله: الرازي محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام العلامة فريد دهره ونسيج وحده، فخر الدين أبو عبد الله القرشي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد ابن خطيب الري الشافعي الأشعري.

ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، واشتغل على والده الإمام ضياء الدين، وكان من تلامذة محيي السنة أبي محمد البغوي، وكان إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم، وكان خوارزم شاه يأتي إليه.

وكان شديد الحرص جدًّا في العلوم الشرعية والحكمة اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره فيما =

بلغه أن الإمام فخر الدين الرازي كان ذات يوم جالسًا بين أحبابه وخواص أصحابه فبكى بكاءً شديدًا حتى كاد يغشى عليه، وخاف من كان لديه، فما أفاق وكفكف دمعه المهراق سأله بعض جلسائه عن سبب بكائه؟

فقال: مسألة اعتقدتها منذ ثلاثين سنة تبين لي الساعة بدليلٍ لاح لي أن الأمر على خلاف ما كان عندي فبكيت، وقلت في نفسي: لعل الذي لاح لي الآن يكون مثل الأول، فلما بلغ الشيخ محيي الدين ﷺ ذلك انتهز الفرصة في إيقاظه بإعراضه عن العلوم النظرية، والتعرض للنفحات الإلهية، وقطع كل رابطة، والأخذ عن الله تعالى بغير واسطة، فكتب له من علمه المكنون رسالة من حقها أن تكتب بواد العيون، وتلك الرسالة عندي، وبأيدي الناس، ولو لا خوف الإطالة لذكرتها.

=

علمته من أمثاله وهي سعة العبارة في القدرة على الكلام وصحة الذهن والاطلاع الذي ما عليه مزيد والحافظة المستوعبة والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلة والبراهين، وكان فيه قوة جدلية ونظره دقيق، وكان عارفًا بالأدب له شعر بالعربي ليس في الطبقة العليا ولا السفلى وشعر بالفارسي لعله يكون فيه مجيدًا.

وكان عبل البدن ربع القامة كبير اللحية في صورته فخامة، كانوا يقصدونه من أطراف البلاد على اختلاف مقاصدهم في العلوم وتفننهم، فكان كل منهم يجد عنده النهاية فيما يرومه منه.

قرأ الحكمة على المجد الجيلي والجيلي من كبار الحكماء وقرأ بعد والده على الكمال السمناني وقيل: على الطبسي صاحب الحائز في علم الروحاني، والله أعلم.

وله تصانيف، ورزق الإمام فخر الدين السعادة العظمى في تصانيفه، وانتشرت في الآفاق، وأقبل الناس على الاشتغال بها ورفضوا كتب الأقدمين، وكان في الوعظ باللسانين مرتبة عليا، وكان يلحقه الوجد حال وعظه ويحضر مجلسه أرباب المقالات والمذاهب ويسألونه ورجع بسببه خلق كثير من الكرامية وغيرهم إلى مذهب السنة، وكان يلقب بهراة شيخ الإسلام، يقال أنه حفظ الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين. انظر: الوافي بالوفيات (٢/ ٣٨).

فكانت سببًا لاعتزاله، وتبديل أقواله بأحواله، وأثرت فيه غاية التأثير، وأفاضت عليه كل خير كثير، حتى قال:

نِهايـــةُ إقـــدَامِ العُقُـــولِ عِقَـــالُ وأكثـــرُ سَـــعيِ العَـــالَمِينَ ضَـــلالُ
وأرواحُنَـا فِي وَحـشةٍ مِـن جِـسُومِنا وحَاصِـــلُ دُنيانَـــا أذى وَوبَـــالُ
وَلَم نَستَفِدْ مِن بَحثِنا طُولَ عُمرِنَا سِوىَ مَا جَمَعنا مِنهُ مِن قِيل وَقَال
وكَـم قَـدْ رَأينـا مِـن رِجـالٍ ودَولـةٍ فَبَـادُوا جَميعًـا مُـسرِعينَ وزَالُـوا
وكَم مِـن جِبـالٍ قَـدْ عَلَـت شُرُفَاتِهـا رِجـالٌ فَزالُـوا، والجِبـالُ جِبـالُ

وأما الإمام شيخ مشايخ الإسلام الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ﷺ[1] فقد روى أقضى القضاة، مفيد الحاضر والبادي، مجد الدين الفيروزآبادي ﷺ

---

(١) هو سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام. العلامة ذو الفنون.
وحيد عصره، عز الدين السلمي الدمشقي ثم المصري، شيخ الشافعية، وقدوة الصوفية، أمام عزّه دائم، وطائر فضله حائم، وبحر كمال موجه زاخر، وجوهر علومه فاخر.
كان وافر التقشف، تارك التكلف، حسن الخلق، مهاب المنظر، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، عظيم الجد والمجاهدة، احتلم في ليلة شديدة البرد، فجاء إلى جامدٍ فكسره واغتسل، فكادت روحه تزهق، ثم احتلم، ففعل مثل ذلك، فأغمى عليه وكاد يهلك، فسمع قائلاً: لأعوضنك بها عز الدنيا والآخرة؟
هذا وقد بلغ رتبة الاجتهاد، وقصد للأخذ عنه من أطراف البلاد.
وله التصانيف المفيدة، والمناقب التي يبلى الزمان وهي جديدة، درس بدمشق وبها خطب، ورقى بمصر عند سكنه بها إلى أسمى الرتب، ولي الحكم بالديار المصرية، وحاز قصب السبق في ميدان طائفته العصرية.
أخذ الفقه عن ابن عساكر، والأصول عن الآمدي، ورحل إلى بغداد، وكان يلبس قبعًا لبادًا، ويحضر به المواكب السلطانية بلا عمامة.
=

=

ومن مؤلفاته: تفسير مختصر في مجلد، والقواعد الكبرى والصغرى، ومجاز القرآن، وشجرة المعارف، وشرح الأسماء الحسنى، ومختصر النهاية، والجمع بين الحاوي والنهاية، والفتاوي الموصلية، وغير ذلك.

وسمع الحديث من ابن طبرزذ وغيره، وعنه أخذ الدمياطي وابن دقيق العيد، وهو الذي لقَّبَ بسلطان العلماء، والتاج الفركاح، والباجي، وخلق.

وكان أولاً ينكر على الصوفية ويقول: هل لنا طريق غير الكتاب والسنة؟ فلما اجتمع بالشاذلي وذاق مذاهبهم، وقطع السلسلة الحديد بالكراسة الورق، صار يمدحهم، بل دخل في عدادهم.

ولي خطابة دمشق، فلم يلبس السواد، ولا سجع خطبة، وترك الثناء على الملوك، وأبطل صلاة الرغائب، ونصف شعبان، فكان بينه وبين ابن الصلاح بسبب ذلك ما كان. وكتب له السلطان الأشرف موسى جوابًا عن كتاب كتبه العز إليه يطلب منه عقد مجلس بسبب العقائد-وكان الأشرف متحاملاً عليه مع خصومة الحنابلة- فكتب إليه العز كتابًا في آخره: ...وبعد، فإنّا نزعم أننا من حملة حزب الله وجنده، وكل جندي لا يخاطر نفسه فليس بجندي، وافتتحه بقوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢] ولما سلّم الملك الصالح إسماعيل قلعة صفد للفرنج نال منه على المنبر ولم يدع له، فغضب السلطان وعزله وسجنه، ثم أطلقه، فنـزح إلى مصر، هو وابن الحاجب، فولاه السلطان قضاء مصر، فتمكن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر، فشق ذلك على حاشية الملك، فعزله.

ومن كلامه:

الشريعة كلها مصالح، إما بدرء مفاسد، أو بجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيرًا يحثك عليه، أو شرًا يزجرك عنه، أو جمعًا بينهما.

وقال: من أدل دليل على أن القوم قعدوا على أساس الشريعة، وقعد غيرهم على الرسوم، ما يقع على أيديهم من الخوارق، ولا يقع شيء منها من فقيه إلا إن سلك طريقهم.

وقال: كلام العارف ينبع من قعر قليب قلبه تسوقه جداول أفكاره إلى مصب لسانه، فيقع على مزارع المسامع، فإذا صادف أرضًا طيبة أنبت شجرةً طيبة تطلع أزهار الحكم وثمار العبر.

=

وقال: لا تصحب إلا من تجد من أنفاسه عطرية نفحات المعرفة، وثمرات المحبة، فإنه من الأنفاس ما يكون نسيمًا مورقًا، ومنها ما يكون سَمومًا محرقًا.

وقال: إذا أراد سلطان المحبة أن يصطفى لنفسه حبيبًا، بعث إليه بريد الإرادة، وجيّش في طلبه جيوش الرعاية، وجنّد جنود العناية، فوافوه في بادية الطلب حائرًا، وعلى أقدام سلوك الأدب سائرا، ولا يعرف جهة فيسير إليها، ولا لقية فيعول عليها، فأخذ بيده رفيق التوحيد ودل به دليل التحقيق.

وقال: العارف من فاح من طيب أنفاسه عرف المحبة بالله، ولاح لجلاسه من أسارير وجهه نور الإيمان بالله، فكلامه شفاء، ونظره نور وضياء.

وقال: يا أهل السلوك إلى منازل الملوك، الطريق ضيق المجال لا يسلكها إلا فحول الرجال، فمن لا دليل له فهو ضال، ومن لا مسلك له فهو مع الجهال، من لا مُربٍّ له فهو من الأنذال، من لا تربية له فدعواه محال، من لا شيخ له فهو خائب الآمال، من لا أدب له سقط من عين الكمال، من لا صدق له فصحته شواهد الأحوال، من لا همة له فعلمه نكال، واعجباه إلى بطال يتطاول إلى منازل الأبطال وهو من الأطفال ويجول مجال الرجال.

وقال: إذا بذرت حبة المحبة في أرض القلوب السليمة، رسخت عروقها في أعماق السرائر المستقيمة، ونسخت أحكامها القديمة ما كان من الأوصاف والأخلاق الذميمة.

ومن كراماته:

أنه لما ورد الخبر بوصول التتار، رسم السلطان المظفر قطز بالخروج بعد العيد، فطلع عليه وقال: فيم تأخرك؟ قال: حتى نهيئ أسيافًا قال: لا، قم، قال: فتضمن لي على الله النصر؟ قال: نعم، فكان كما قال.

ولما وصل الفرنج إلى المنصورة لقتال المسلمين في مراكب عديدة، والريح أسرعت قلوعها، واستظهر العدو، وضعفت قلوب المسلمين، وكان الشيخ معهم، فأشار بيده إلى الريح وقال: يا ريح خذيهم.. عدة مرات، فعادت على الفرنج، وكسرت مراكبهم، وكان الفتح.

ومنها أن السلطان كلمه مرة بغلظة، فغضب، وحمل حوائجه على حمارة، وأركب زوجته، ومشى خلفها خارجًا من القاهرة، فلحقه غالب المسلمين رجالاً ونساءً وصبيانًا، فبلغ السلطان الخبر، فقيل له: متى راح ذهب ملكك، فلحقه وترضّاه حتى عاد.

ومنها قومته الكبرى في أمراء مصر، وقوله لهم: أنتم أرقاء يجري عليكم حكم العبيد. فلم يستطع

أحد منهم أن يعارضه، حتى أن نائب السلطنة استشاط غيظًا، وقال: كيف يقول هذا ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفي هذا.

وسلّ سيفه، وركب في محفلة، وجاء للشيخ والسيف مسلول، فدق الباب، فخرج ولده وعاد فأخبره، فخرج إليه كأنه قضاء الله، فما إن عاين النائب الشيخ حتى يبست يده، وسقط السيف، فبكى، وسأل الشيخ أن يصفح عنه، فقال بشرط أن أنادي عليكم وأبيعكم، وأصرف الثمن في المصالح.

فنادى على أولئك الأمراء واحدًا واحدًا، ولم يبعهم إلا بالثمن البالغ، ولم ينتطح فيها غزان، وهذا لم يقع نظيره لأحد.

ومنها أنه كان بينه وبين رجل في الريف صداقة، فأرسل له هدية فيها وعاء جبن، فانكسر في الطريق فاشترى الرسول بدله من ذمي، فلما وصلت الهدية للشيخ قبلها إلا الجبن، وقال: هذه التي حلبته، يدها نجسه بلحم خنزير، ولم يكن علم الخبر.

وخرج يومًا إلى الدرس، وعليه قبع لباد، وقد نسى فلبس فروته مقلوبة، فتبسم أحد الحاضرين فتأمله الشيخ ولم يكترث، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام:٩١].

وكان مع شدته، فيه حسن محاضرة بالنوادر والأشعار، وكان يحضر السماع، ويرقص، ويتواجد.

وكان يطعن في ابن عربي، ويقول: زنديق، فقال له أحد صحبه: أريد أن تريني القطب؟ فأراه ابن عربي. فقال: ولكنك تطعن فيه، فقال: لأصون ظاهر الشرع.

وقال اليافعي: أخبرني به غير واحد، ما بين مشهور بالصلاح والفضل والعلم، ومعروف الدين والثقة والعدالة من أهل الشام ومصر.

ولما مرض قال له السلطان: من في أولادك يصلح لوظائفك؟ قال: ليس فيهم من يصلح لشيء منها؟

وأفتى مرة بشيء، ثم ظهر له أنه خطأ، فنادى في مصر والقاهرة: من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به، فإنه خطأ.

ووقع مرة غلاء كثير، فصارت البساتين تباع بشيء قليل، فأعطته زوجته حليًا ليشتري لها بها بستانًا، فتصدق بثمنها، فقالت له: أشتريت لنا؟ قال نعم، اشتريته في الجنة، وكان مع فقره كثير الصدقة، حتى إذا لم يكن معه شيءٌ أعطى قبعته.

بإسناده المتصل إلى خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ﷺ قال: كنا بمجلس الدرس بين يدي الشيخ عز الدين، فجاء في باب الردة ذكر لفظة الزنديق، فقال بعض الحاضرين: هل هي عربية أم عجمية؟

فقال بعض: إنما هي فارسية معربة أصلها (زن دين) أي: دين المراءاة.

قلت: هذا لا يصح؛ لأن لفظة (زن) فارسية، ولفظة (دين) عربية، فكيف يصح ما ذكره ذلك الفاضل؟

وإنما الشأن فيها أن المجوس لهم كتاب اسمه «زند»، وهذه اللفظة تفسيرها موقوف على الواضع لها، لم يعرف معناها، وذلك الكتاب أخرجه لهم [زردشت]،

=

وحكى عنه ولده أنه قال: بينما أنا في بدايتي بين النائم واليقظان -وإلى اليقظة أقرب- وإذا بالنداء: أتدعى محبتنا ولا تتصف بصفاتنا وتتخلق بأخلاقنا؟

وعرضت علي الأسماء الحسنى وقيل: أنا الرءوف الرحيم، فكن رءوفًا رحيما بكل من قدرت على رحمته.

أنا الغفار، فكن ستارًا لعيوب الناس، وإياك وإظهار عيوبك، وإعلان ذنوبك؛ فإن إعلان العيوب مسخط لعلام الغيوب.

أنا الحليم، فاحلم على كل من آذاك، أنا اللطيف، فارفق بكل من أمرت بالرفق به؛ فإني لطيف بعبادي.

مات بمصر سنة ستين وستمائة، ودفن بالقرافة الكبرى في آخرها.

انظر: ذيل الروضتين (٢١٦)، ومرآة الزمان (١/ ٥٠٥)، وفيات الأعيان (٩٥)، وفوات الوفيات (٢/ ٣٥٠)، مرآة الجنان (٤/ ١٥٣)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٣٥).

وادّعى أنه من الله تعالى، وتلك الدعوى باطلة بالإجماع بدليل قوله ﷺ: **«نزّلهم منزلة أهل الكتاب غير آكلي ذبائحهم ولا ناكحي نسائهم»**[1] أي: المجوس.

فالحاصل أن من اتبع ذلك الكتاب سمي زندي، فزادت العرب في آخرها قافًا فقالوا: زنديق؛ فهذا سبب تعريبها.

نرجع إلى كلام ذلك الفاضل (زن دين) أي: دين المراءاة، فعُربت فقيل: زنديق، وهو الذي يُظهر الإيمان ويخفي الكفر.

قلت: وهذا أيضًا لا يصح؛ لأن من يظهر الإيمان ويخفي الكفر لا يسمى زنديقًا وإنما يسمى منافقًا؛ لأنه مشتق من النفق، وهو باب بيت اليربوع، فإن له بابين أحدهما نافقاء، والآخر قاصعاء، فإذا طلب من نافقاء خرج إلى قاصعاء، وإذا طلب من قاصعاء خرج إلى نافقاء، فكذلك المنافق إذا طلب منه الكفر خرج من الإيمان، وإذا طلب منه الإيمان خرج من الكفر.

وأما الزنديق فهو الذي يقول بالنور والظلمة، وذلك مذهب الثنوية، وهم الذين يقولون بيزدان واهرمن.

فلما قال ذلك الفاضل ما قال، قال بعض الحاضرين: مثل مَن؟ فقال رجل كان جالسًا إلى جانب الشيخ عز الدين: مثل ابن العربي بدمشق، فلم ينطق الشيخ عز الدين ﷺ، ولم يرد عليه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ٧٢) بنحوه.

قال الخادم: وكنت صائمًا في ذلك اليوم، وكان الشيخ عز الدين أيضًا صائمًا، فاتفق أن دعاني للإفطار معه، فحضرت ووجدت منه إقبالاً ولطفًا، فقلت: يا سيدي، هل تعرف الغوث القطب الفرد الجامع في الوقت هذا؟

فقال ﷺ: ما لك ولهذا، كُلْ، فعرفتُ أنه يعرفه، فتركت الأكل، وقلت: لوجه الله عرفني من هو؟ فتبسم، وقال: هو الشيخ محيي الدين بن العربي ﷺ، فأطرقت ساكتًا متحيرًا، فقال الشيخ ﷺ: ما لك؟ قلت: قد تحيرت، قال: لِمَ؟ قلت: أليس اليوم قال ذلك الرجل الذي كان جالسًا إلى جانبك في الشيخ محيي الدين بن العربي ﷺ ما قال وأنت ساكت لم ترد عليه؟

فتبسم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ﷺ، وقال: اسكت! ذلك مجلس الفقهاء.

قلت: إن الشيخ عز الدين بن عبد السلام ﷺ بسط عذر الفقهاء في الطعن بما لم يحيطوا به علمًا، وحقق للخادم حال الشيخ محيي الدين ﷺ لما نبهه على جلالة قدره، وعلو شأنه.

وأما شيخ شيوخ الإسلام الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي ﷺ لما اجتمع بالشيخ محيي الدين ﷺ بمكة المشرفة تفاوضا قليلاً، فلما افترقا سُئل الشيخ شهاب الدين ﷺ: كيف وجدت الشيخ محيي الدين؟ قال: وجدته بحرًا لا ساحل له[1].

---

(١) هو سلطان العاشقين، عمر بن محمد بن عمُّويه الشيخ شهاب الدين السهروردي.
شيخ العارفين بالعراق على الإطلاق بالاستحقاق، صاحب عوارف المعارف، أحيا رسم الصوفية،
فساد بها شاد وعمر، وهما غمام فضله حتى سقا رياض الحقائق وهمر، وقسم فقهه وتصوفه،
فهذا للفقهاء غناء، وهذا للصوفية سمر، وخالف العادة لأنه جاء بستاناً في ورقة، إلا أن جمعية
=

زهرٌ وثمر، وأمر ونهى في سلطان فضله، فأذعن أهل الطريق له وقالوا: سمعًا وطاعةً لما نهى وأمر.

وهو الأصيل الذي ثبت في بيت النجابة ركنه، وتفرع في الدوحة السهروريدية غصنه. كان رضي الله عنه إذا أبّه بالناس، وغسل درن الذنوب، وذكر أهوال القيامة، وتحقق الناس أن كلامه روض، ومنبر وعظه غصن، وهو في أعلاه حمامة.

ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بسهرورد، ونشأ بها، ثم قدم بغداد، فصحب عمه الشيخ أبا النجيب عبد القاهر الذي كفله لما قتل أبوه وهو جنين.

وأخذ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره، وسمع الحديث من جماعة.

وكان فقيهًا شافعيًا، عالمًا صوفيًا، إمامًا ورعًا، زاهدًا عارفًا ، شيخ وقته في علم الحقيقة، وإليه المنتهى في تربية المريدين، ودعا الخلق إلى الحق، وتسليك طريق العبادة والخلوة. تسلّك على عمه، وسلك طريق الرياضة والمجاهدة، وقرأ أولاً الفقه والخلاف والحديث، ثم انقطع ولازم الخلوة، وداوم الصوم والذكر والتعبد، ثم تكلم على الناس عند علو سنه، وقصد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه على خلق من العصاة، فتابوا، ووصل به خلق إلى الله، وصار له أصحاب كالنجوم، ورأى من الجاه والحرمة عند الملوك ما لم يره أحد، ثم أضر في آخر عمره وأقعد.

ومع ذلك ما أخل بالأوراد، وداوم الذكر، وحضور الجمع في محفة، والمضي إلى الحج، إلى أن دخل في العشر بعد المائة.

وكانت محفته تحمل على أعناق الرجال من العراق إلى البيت الحرام، وناهيك بثناء العارف ابن عربي عليه، فإنه قال: المشاهدة والكلام لا يجتمعان في غير التجلي البرزخي.

قال: وهو كان مقام عمر شهاب الدين السهروردي- الذي مات ببغداد- فإنه روي لي عنه من أثق بنقله من أصحابه أنه قال باجتماع الرؤية والكلام، قال: فمن هنا علمت أن مشهده برزخي، لابد من ذلك، غير ذلك لا يكون انتهى.

وقال في موضع آخر: الحق جليس غيب عند كل ذاكر، فمن غلب عليه مشاهدة الخيال في حق ربه من قوله ﷺ: **«كأنك تراه»**، وهو استحضار في خيال، فمثل ذلك يجمع بين المشاهدة والكلام،

=

فإن الجليس في ذلك الخيال مثلك، لا من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ قال: وهذا كان حال الشهاب ابن أخي أبي النجيب.

وعلى ما نقل إلى الثقة عنه: إن الإنسان يجمع بينهما، أين هذا الذوق من ذوق المحقق أبي العباس البسياري من رجال الرسالة حيث قال: ما التذّ عاقل بمشاهدة قط؛ لأن مشاهدة الحق فناء لا لذة فيها، فافهم؛ فإنه موضع غلط الأكابر المحققين من أهل الله.

وقال: وقد أخبرنا عمن رأيناه من أهل الله المنتمين إلى الله أنه يقول كقول الشهاب انتهى.

ولما حج آخر حجاته، كان محفل حفل، بحيث كان معه نحو الألف من أهل العراق، فلما رأى ازدحام الناس عليه في المطاف، واقتداءهم به بأقواله وأفعاله، قال في سره: يا ترى هل أنا عبد الله كما يظن هؤلاء في؟ وقد ذُكرت في حضرة الحبيب، فواجهه ابن الفارض مخاطبًا بقوله:

لَكَ البِشَارَةُ فَاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَدْ ذُكِرْتَ ثُمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عُوجِ

فصرخ، وخلع كل ما عليه، وألقاه عليه، فخلع الحاضرون من المشايخ والفقراء ما عليهم، وألقوه عليه، فكان أربعمائة خلعة، وعُلم أن ابن الفارض كان في الحضرة.

وله مؤلفات غريبة في طريق القوم.

وله في علم الحرف كتاب حافل على رأي أهل الأنوار قال فيه: «سمعت أن قراءة سورة البروج في صلاة العصر أمان من الدمامل».

وقد ترجمه خلائق كثيرون، وأثنوا عليه، منهم الحافظ ابن حجر، قال: كان رأس الصوفية في زمانه.

وكان أهل الطريق يكتبون إليه من البلاد فتاوي من جميع الأقطار، يسألونه عن أحوالهم ومنازلاتهم.

فممّا كتب إليه أحدهم: إن تركت العمل، أخلدت إلى البطالة، وإن عملت، داخلني العجب، فأيهما أولى؟ فأجابه: اعمل، واستغفر الله من العجب.

وسئل عن الأكل الحلال للصوفية، فقال: ما لا يذمه الشرع، فهو حلال، رحمة من الله على عباده، والاستقصاء في الحلال على قانون الورع الأعلى، يفضي إلى الحرج، وذلك مرفوع، فالشرع هو الميزان المستقيم.

واستفتي في السكنى في الرُّبط التي بنيت من مال الولاة.

فأجاب: نعم، يجوز للمريد أن يسكنها، والعجب من أحد المتزهدة أنهم شاهدوا الأئمة المتبحرين في سائر البلاد سكنوها، ومع ذلك يُنكرون. انظر: الكواكب (٥٤٣).

وسئل الشيخ محيي الدين ﷺ عن الشيخ شهاب الدين ﷺ: كيف وجدت الشيخ شهاب الدين؟ قال: وجدته عبدًا صالحًا.

وأما الشيخ المحقق المدقق سعد الدين محمد بن المؤيد بن عبد الله بن علي بن حمويه الحموي -قدس الله روحه الزَّكية- لما رجع من الشام إلى بلاده سأله أشراف أترابه، وخواص أصحابه: من تركت بالشام من العلماء؟

قال ﷺ: تركت بها بحرًا زخارًا، لا قعر له ولا ساحل، يعني الشيخ محيي الدين ﷺ.

فأما شيخ مشايخ الشام كمال الدين بن الزملكاني فسيأتي ذكره في الفرقة الثانية، وفي الباب الثاني.

وأما قاضي قضاة الشافعية القاضي شمس الدين الخُوبي[1] -رحمه الله- فكان يخدم الشيخ محيي الدين ﷺ خدمة العبيد، وكان في طوعه كما يريد، فكان يتصدق عنه كل

---

(١) هو قاضي القضاة ذو الفنون شهاب الدين أبو عبد الله بن قاضي القضاة شمس الدين الخويي الشافعي قاضي دمشق وابن قاضيها، ولد في شوال سنة ست وعشرين وستمائة ونشأ بها واشتغل في صغره ومات والده وله إحدى عشرة سنة، فبقي منقطعًا بالعادلية ثم أدمن الدرس والسهر والتكرار مدة بالمدرسة وحفظ عدة كتب وعرضها وتنبه وتميز على أقرانه، وسمع في صغره من ابن اللتي وابن المقير والسخاوي وابن الصلاح وأجاز له خلق من أصبهان وبغداد ومصر الشام، وخرج له تقي الدين عبيد الحافظ معجمًا حافلاً، وخرج له أبو الحجاج الحافظ أربعين متباينة الإسناد، وحدث بمصر ودمشق وأجاز له عمر بن كرم وأبو حفص السهروردي ومحمود بن هندة وهذه الطبقة، ولازم الأشتغال في كبره وصنف كتابًا كبيرًا في مجلد يحتوي على عشرين علمًا، ونظم علوم الحديث لابن الصلاح، والفصيح لثعلب، وكفاية المتحفظ، وشرح =

يوم بثلاثين درهمًا قبل أن يدخل عليه، ويرى وجهه المبارك، ويقول: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[المجادلة:١٢].

وأما قاضي قضاة المالكية فزوجه بابنته، وكان يتولى خدمته بنفسه.

=

من أول الملخص للقابسي خمسة عشر حديثًا في مجلد، قال الشيخ شمس الدين: فلو تم هذا الكتاب لكان أكبر من التمهيد وأحسن انتهى، وله مدائح في النبي صلى الله عليه وسلم، وشعره جيد فصيح، وكان على كثرة علومه من الأذكياء الموصوفين ومن النظار المنصفين يبحث بتؤدة وسكينة ويحب الذكي وينوه باسمه.

قال الصفدي: أخبرني تقي الدين عبد الرحمن ابن الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني رحمهما الله تعالى قال: قال لي والدي لو لم يقدر الله تعالى لقاضي القضاة شهاب الدين ابن الخويي أن يجيء إلى دمشق قاضياً ما طلع منا فاضل انتهى، وكان حسن الأخلاق حلو المجالسة دينا متصونا صحيح الأعتقاد يحب الحديث وأهله ويقول أنا من الطلبة درس وهو شاب بالدماغية ثم ولي قضاء القدس قبل هولاكو، قال الشيخ شمس الدين: ثم ذهب إلى القاهرة فولي قضاء القاهرة والوجه البحري خاصة أقتطع له من ولاية الوجيه البهنسي وأقام البهنسي على قضاء مصر والوجه القبلي إلى أن توفي، وأخبرني الشيخ أثير الدين قال: تولى القضاء بالمحلة من الغربية ثم تولى قضاء القاهرة وما ينسب إليها انتهى.

سمع منه ابن الفرضي والشيخ جمال الدين المزي والبرزالي والختني وعلاء الدين المقدسي والشهاب ابن النابلسي وروى صحيح البخاري بالإجازة نوبة عكا وسمع منه خلق، قال الشيخ أثير الدين: وسمعنا عليه مسند الدارمي انتهى، وتوفي في بستان صيف فيه بالسهم يوم الخميس خامس عشرين شهر رمضان سنة ثلث وتسعين وستمائة، وصلى عليه بالجامع المظفري بين الصلاتين ودفن عند والده بتربته بالجبل، وكان يعرف من العلوم التفسير والأصولين والفقه والنحو والخلاف والمعاني والبيان والحساب والفرائض والهندسة.

انظر: الوافي بالوفيات (١/ ٢٠٨).

وأما الحافظ ابن عساكر صاحب «**تاريخ دمشق**» وغيره من التصانيف المستملحة، فكان من جملة تلامذته والمواظبين لسدّته.

وأما ابن النجار فقال: اجتمعت بالشيخ محيي الدين ﷺ بدمشق؛ فوجدته إمامًا عالمًا كاملاً متبحرًا في العلوم، راسخًا في الحقائق، فأخذت عنه شيئًا من مصنفاته، وسألته عن مولده، فقال: ولدت بمرسية ليلة الاثنين سابع عشر رمضان سنة ستين وخمسمائة.

وكتب إلى الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، وكنت يومئذٍ بالمقدس وكان بدمشق، أنّ الشيخ محيي الدين بن العربي ﷺ توفي ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

وكان الشيخ أبو عبد الله المقدسي من خواص أصحاب الشيخ محيي الدين ﷺ والملازمين لمجلسه الشريف.

وأما ابن الدبيثي صاحب «التاريخ» وغيره من المصنفات المستعذبة، فقال: قدم الشيخ محيي الدين بن العربي بغداد، فاجتمعت به فوجدته فوق ما يوصف وأجل أن يعرف، فأخذت عنه شيئًا من مصنفاته، فذكر لي أنه سمع الحديث النبوي بإشبيلية من الحافظ أبي بكر محمد بن خلف اللخمي، وبقرطبة من الحافظ أبي القاسم بن بشكوال ﷺ.

وأما ملك العلماء أقضى القضاة أبو يحيي زكريا بن محمد بن محمود الأنسي القزويني ﷺ[1] فإنه ذكر في كتابه المسمى «آثار البلاد، وأخبار العباد»، وهو في اثني عشر

(١) هو الإمام القاضي عماد الدين أبو يحيى الأنصاري الأنسي القزويني.
كان قاضي واسط وقاضي الحلة أيام الخليفة المستنصر بالله، وله تصانيف منها كتاب عجائب المخلوقات. توفي سابع المحرم سنة اثنتين وثمانين وستمائة.
انظر: الوافي بالوفيات (٤/ ٤٨١).

مجلدًا، لما وصل إلى ذكر إشبيلية فقال: «مدينة كبيرة بالأندلس تميزت بكل مزية من طيب الهواء وعذوبة الماء وصحة التربة والزرع والضرع، وكثرة الثمرات من كل نوع، وصيد البر والبحر، ينسب إليها الشيخ الإمام العالم الفاضل المكمل سلطان العارفين محيي الحق والدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي ﷺ، رأيته بدمشق سنة ثلاثين وستمائة، وكان شيخًا عالمًا عارفًا متبحرًا في العلوم الشرعية والحقيقية، وكان مقتدي أهل زمانه، ليس له نظير في شأنه وعلو مكانه، له التصانيف الكثيرة الفوائد والعلمان.

أخبرني ﷺ أنه كان بمدينة إشبيلية نخلة في بعض طرقاتها، فمالت على المارين، فتحدث الناس في قطعها، حتى عزموا على قطعها بالغد.

قال الشيخ محيي الدين ﷺ: فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة واقفًا عند النخلة، وهي تشكو إليه، وتقول: يا رسول الله؛ إن القوم يريدون قطعي، فإني منعتهم المرور، فمسح رسول الله ﷺ بيده المباركة تلك النخلة فاستقامت، فلما استيقظت ذهبت إلى النخلة فوجدتها مستقيمة، فذكرت ذلك للناس فتعجبوا، واتخذوها مزارًا متبركًا به».

فهؤلاء العلماء الذين عاصروه، وبكل فضلٍ وصفوه، وإلى كل علم نسبوه، ولم نذكر منهم إلا اليسير، إذ هم جم غزير، وجمع كثير، ولو ذكرت الكل مفصلاً لطال هذا الباب، وخرجنا عما التزمناه من الإيجاز إلى الإطناب، ولكن أذكر حكاية على سبيل الإجمال دون التفصيل تدل على التفضيل، وتنقي له الدليل، وتشفي الغليل.

ذكر بعض المعتنين بأخباره والمدققين لمحاسن آثاره أن صاحب إشبيلية أرسل مالاً عظيمًا إلى مكة -شرفها الله تعالى- وأوصى الوكيل ألا يفرق هذا المال إلا على أهل الأرض، واتفق أنه اجتمع تلك السنة بمكة -شرفها الله تعالى- من المشايخ والعلماء

والفقهاء، ومن كل ذي فن من العلوم ما لا يجتمع في عصر من الأعصار، وهي السنة التي اجتمع فيها الشيخ شهاب الدين السهروردي بالشيخ محيي الدين ﷺ، وقال كلُّ واحدٍ منهما في شأن صاحبه ما قال، فأجمع الكل على الشيخ محيي الدين ﷺ، وألا يفرق المال سواه، ففرقه، فلما فرغ من تفريقه، قال ﷺ: لو لا خوف خرق الإجماع لامتنعت، فقال بعض أصحابه المدليين: لم يا سيدي؟

قال ﷺ:ما أريد به وجه الله تعالى، بل أريد به التفاخر، فقال له: بين لي ذلك، فقال ﷺ: إن صاحب الغرب أراد أن يفتخر بي على سائر ملوك الأرض، إذ قد علم أنه لا يفرقه سواي، فما أراد به وجه الله تعالى، بل أراد به التفاخر، فبلغ ذلك المجلس إلى صاحب إشبيلية فبكى، وقال: صدق الشيخ ﷺ هذا ما أردت.

* * *

الفرقة الثانية

وهم الذين توقفوا فيه إذ لم يقفوا على حقائق معانيه، ومقاصد مبانيه، وهم جمٌّ غفير، أذكر منهم اليسير، كالشيخ أبي الحسن على بن الحسن الخزرجي الزبيدي اليمني[1]، والشيخ عماد الدين بن كثير الدمشقي، والشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي[2]، والشيخ محيي الدين سبط أبي الفرج بن الجوزي البغدادي -رحمهم الله تعالى.

---

(١) هو الشيخ علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهاس الخزرجي الزبيدي، أبو الحسن، موفق الدين: مؤرخ، بحاثة، من أهل ربيد في اليمن.
عاش نيفًا وسبعين سنة.
من كتبه: الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الإسلام ، طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، العسجد المسبوك في تاريخ الاسلام وطبقات الملوك، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، جزآن، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن، مرآة الزمن في تاريخ زبيد وعدن، ديوان شعره.
انظر: وفيات الاعيان ١: ٣٤٤، وإنباه الرواة ٢: ٢٤٣.

(٢) الإمام القدرة، العارف المشهور، المذكور بين القوم بالمعارف، المقتدى بآثاره، المهتدى بأنواره، شهرته تغني عن إقامة البرهان، كالشمس لا يحتاج واصفها على بيان، شيخ الطريقين، وإمام الفريقين، عالم الأقطار الحجازية وصوفيها. عفيف الدين اليمني ثم المكي الشافعي.
ولد قبيل السبعمائة بقليل بعدن، ونشأ بها تاركًا لما يشتغل به الأطفال من اللعب.
وحفظ «الحاوي» و«الجُمل» للزجاجي، واشتغل بالعلم حتى برع، ثم حج، وحُبّبت إليه الخلوة والانقطاع والسياحة في الجبال، وصحب الشيخ عليًا الطواشي، ولازمه في السلوك.
قال: حصل لي فكر وتردد: هل أنقطع للعلم أو للتعبد؟ واهتممت بذلك، فرأيت ورقة -لم أرها قبل- أبيات مشهورة ... فسكن ما بي، وحلّ في طلب العلم، والزيارة إلى المساجد الثلاثة، ومصر والشام، ولما أتى المدينة، أقام أربعة عشر يومًا ببابها ينتظر الإذن من المصطفى ﷺ حتى أذن له، ثم عاد لمكة وأقام بها، واشتهر ذكره وصيته في التصوف وأصول الدين.
وكان يتعصب للأشعري، ويذم ابن تيمية، ولذلك غمزه أحد الحنابلة.
=

وله مؤلفات في عدة علوم كلها نافعة، عليها آثار النور والبركة، وما أحسن كتابه «روض الرياحين» قال فيه:

«بلغنا أن المؤمنين لا يعذبون في قبورهم ليلة الجمعة، رحمةً من الله أو شرفًا للوقت» وقال فيه عن بعضهم: «يأبى الله أن يدنس رائق حكمته، وخفي معرفته، ومكنون محبته بممارسة قلوب البطالين».

وقال: رؤية الموتى في خير أو شر نوع من الكشف يظهره الله تبشيرًا وموعظةً أو لمصلحة للميت من إيصال خير إليه أو قضاء دين أو غير ذلك، ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم -وهو الغالب- وقد تكون في اليقظة، وذلك من كرامات الأولياء أصحاب الأحوال.

وقال: مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترد في أحد الأوقات من عليين أو سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله، خصوصًا ليلة الجمعة، ويجلسون ويتحدثون، وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب، وتختص الأرواح دون الأجسام بالنعيم أو العذاب ما دامت في عليين أو سجين، أما في القبر فيشترك الروح والجسد.

وقال: أخبرني أخي على التكروري، المدفون بالقرافة، أنه حضر في ميعاد وسمع، فورد عليه وارد، فلبث مدة يرى في اليقظة كاسات من خمر يسقاها ولا يُروى -وليست كخمر الدنيا- فيجد قوة بحيث يمسكه سبعة رجال أقوياء وإلا لَهَام ورمي نفسه في المهالك، ثم صار يرى نورًا ويجد ضعفًا، فسألني أي الحالين أفضل؟ فلم أجب بشيء.

وقال: تذاكرت مع أحد الفضلاء خلف المقام فقلت: فقير صاحب قلب أفضل عندي من ألف فقيه من فقهاء الدنيا، فقال: إذا كان يوم القيامة نصب ميزان للفقير والفقيه، فخرجت فلقيت فورًا شيخنا فقال ابتداء: قال ابن دقيق العيد: فقيرٌ عندي خيرٌ من ألف فقيه، فعجبت إذ لم يطلع على ذلك أحد.

وقال: وقد أوصى النووي أخوته عند موته بالتعبد، ونهاهم عن التوغل في الاشتغال بالعلوم.

وقال: قيل لسفيان اليمني إذا أردتنا، فاترك القولين والوجهين.

وكان مؤثرًا للفقر، محبًا للفقراء، مترفعًا على أهل الدنيا.

وأتاه رجل فقال: رأيت المصطفى ﷺ وعنده أبو بكر وعمر، وهو يلقمهما تمرًا ويلقمك رطبا. فقال له أحد العارفين: لما قوي إيمان أميري المؤمنين أعطاهما التمر الكامل، ولما كنتَ بين الخوف والرجاء أعطاك رطبًا، وهذا تأويل أهل الكشف، وذكر أحد الصالحين أنه تقطب قبل موته بسبعة أيام.

فأما أبو الحسن الخزرجي فذكر في كتابه المسمى بـ«**العسجد المسبوك**» لما وصل إلى ذكر الشيخ محيي الدين ﷺ قال: هو الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل البارع، ولي الله تعالى، أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الحاتمي الطائي الأندلسي المقلب بمحيي الدين، المشهور بابن العربي ﷺ.

كان وحيد زمانه، وفريد أقرانه، شيخ أهل الوحدة، ولد بمرسية من بلاد الأندلس ليلة الاثنين سابع عشر رمضان سنة ستين وخمسمائة، ونشأ بها، ثم انتقل إلى إشبيلية سنة ثمان وستين وخمسمائة، فأقام بها إلى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ثم دخل بلاد الشرق، وطاف أكثر البلاد كمصر والشام والموصل وديار بكر وخراسان، ودخل بغداد مرتين، مرة أقام بها اثني عشر يومًا، ومرة دخلها حاجًا، وسكن الروم، وتزوج بوالدة الشيخ صدر الدين القونوي محمد بن إسحاق بن يوسف بن علي القونوي ﷺ، صاحب العلوم اللدنيّة والأسرار الربانية، وعلى يد الشيخ محيي الدين ﷺ تخرج، وكان من فرسان ميدانه وشجعان وفرسانه، ثم انتقل إلى مكة -شرفها الله تعالى- وجاور بها، وصنف فيها تصانيف كثيرة لا حاجة إلى ذكرها، لما فيها من الاضطراب المخالف للجمهور، لاسيما

=

ذكره الإسنوي في طبقات الشافعية وأثنى عليه، وقال: مات بمكة سنة ثمان وستين وسبعمائة، وهو إذ ذاك فضيل مكة وفاضلها، وعالم الأباطح وعاملها، ودفن بباب المصلي بجنب الفضيل بن عياض، واليافعي نسبة إلى قبيلة من اليمن من حمير.

انظر: جامع الكرامات (٢/ ١٢٠)، طبقات السبكي (١٠/ ٣٣)، طبقات الإسنوي (٢/ ٥٧٩)، الذيل على العبر (١/ ٢٢٥)، العقد الثمين (٥/ ١٠٤)، الدرر الكامنة (٢/ ٢٤٧)، تاريخ ثغر عدن (١٤١)، النجوم الزاهرة (١١/ ٩٣)، ومفتاح السعادة (١/ ٢١٧)، الشذرات (٦/ ٢١٠)، والبدر الطالع (١/ ٣٧٨)، المنهل الصافي (٧/ ٧٤).

كتابه المسمى بـ«**فصوص الحكم**» هذا بعض سيرته، والله أعلم بسريرته، ومذهبي فيه التوقف.

وأما الشيخ عماد الدين بن كثير فإنه ذكر في كتابه المسمى بـ «**البداية والنهاية**» لما وصل إلى ذكر الشيخ محيي الدين ﷺ فقال في ترجمته:

هو الشيخ الإمام محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بابن العربي ﷺ كان شيخًا جليلاً عالي القدر، رفيع الشأن، راسخًا في العلوم الشرعية، متمكنًا في الأسرار الحقيقية، وكان يومئ إليه بالتقدم في سائر العلوم، وكان له قدم ثابتة في الرياضات والمجاهدات، وكثرة الأسفار، وكان له جموع وحفدة ومهابة في القلوب.

طاف البلاد، وأقام بمكة -شرفها الله تعالى- وصنف بها كتبًا كثيرة أعظمها كتابه المسمى بـ«**الفتوحات المكية**» في نحو عشرين مجلدًا، منه ما يُعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، ثم انتقل إلى دمشق، وصنف بها تصانيف كثيرة أجودها كتابه المسمى بـ«فصوص الحكم» منه مقبولة ومردودة، له مصنفات كثيرة، وديوان من الشعر رائق جدًا على طريق أهل التصوف، وتوفي بدمشق في الليلة الثانية والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة، ودفن بمقبرة القاضي محيي الدين بن الزكي بصالحية دمشق بسفح جبل قاسيون، وكانت له جنازة حسنة، ويوم مشهود، ومذهبي فيه التوقف.

وأما عبد الله بن أسعد اليافعي -رحمه الله تعالى- فإنه ذكر في تاريخه حاكيًا عن الشيخ شمس الدين بن الذهبي حافظ الشام، وصاحب «تاريخ الإسلام» لما ذكر الشيخ محيي الدين ﷺ أنه قال في ترجمته:

هو الشيخ الإمام الزاهد الولي، بحر الحقائق والفنون، ذو العلوم المفيدة، والتصانيف السعيدة، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي الملقب بمحيي الدين، المعروف بابن العربي ﷺ.

كان طودًا في العلوم، سفحه راسخ، وأوجه شامخ، لم يكن له في فنه نظير، ولا في عصره شبيه، انتقل إلى بلاد الروم بعد حجته، وتزوج بأم قطب الوقت الشيخ صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي ﷺ صاحب العلوم اللدنية والأسرار الربانية، وعلى يده تخرج، وكان من أعيان أصحابه المختصين بجنابه، وقد اتهم بأمر عظيم -أي الشيخ محيي الدين ﷺ- وما أظن أن الشيخ محيي الدين ﷺ يتعمد الكذب أصلاً.

انتهى كلام الحافظ شمس الدين الذهبي الذي حكاه عنه الشيخ عبد الله اليافعي -رحمها الله تعالى.

قلت: الأمر العظيم الذي اتهم به الشيخ محيي الدين ﷺ هو أنه ذكر في ديباجة «الفصوص» ما هذا ترجمته: **أما بعد** .... فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة رأيتها في العشر الأواخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا كتاب «فصوص الحكم» خُذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر منا كما أمرنا، فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة في إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله ﷺ

من غير زيادة ولا نقصان، وسألت الله تعالى أن يجعلني فيه وفي جميع أحوالي من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يخصني في جميع ما يرقمه بناني، وينطق به لساني، وينطوي عليه خيالي بالإلقاء السبوحي، والنفث الروحي في الروع النفسي، بالتأييد الاعتصامي حتى يكون مترجمًا لا متحكمًا، ليتحقق من يقف عليه من أهل الله أرباب القلوب أنه من مقام التقديس، المنزه عن الأعراض النفسية التي يدخلها التلبيس، وأرجو أن يكون الحق لما سمع دعائي قد أجاب ندائي، فما أُلقي إلا ما يُلقَى إليّ، ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينـزل به عليّ، ولست بنبيّ ولا رسول، ولكني وارثٌ، ولآخرتي حارث انتهى كلام الشيخ ﷺ.

فأخذ الجمهور من أهل الظاهر في تهمة الشيخ ﷺ إذ لم يجدوا سبيلاً لطعن الرؤيا؛ لأنها تقتضي القبول فطعنوا في الرأي، وهذا معنى قول الحافظ شمس الدين ابن الذهبي الذي حكاه عنه الشيخ عبد الله اليافعي -رحمهما الله تعالى-.

قلت: لعمري ما أنصفوه؛ لأنهم لم يعرفوه، فإن الشيخ محيي الدين ﷺ يجتمع بالنبي ﷺ ومن شاء من المنقلبين إلى الدار الآخرة متى شاء من ليلٍ أو نهار، هكذا ذكره عنه قطب الوقت صدر الدين القونوي ﷺ في «**فكوك النصوص**» تصنيفه.

قال ﷺ: وجربت ذلك غير مرة، وكان يشهد الاستعدادات التي للناس جزئياتها وكلياتها، ويشهد نتائجها، وما سينمو كل استعداد منها، إلى منتهى أمر كل إنسانٍ في مرتبة شقاوته أو سعادته، وكان إخباره لذلك إلى تابعًا لنظرة مخصوصة ينظر به إلى الشخص، أي شخص كان، والاستشراف على كنه حاله، وما يستقبله إلى حين مستقره في مآله، في مرتبة نقصه أو كماله، ثم يخبر ولا يخطئ، شاهدت منه ذلك في غير واحد، وفي غير قضية من القضايا الإلهية في الأمور الكونية، واطلعت بعد فضل الله تعالى ببركته على

سر القدر، ومحتد الحكم الإلهي على الأشياء، فبشرني بالإصابة في الحكم بعد ذلك فيما حكم به نسبت هذا الاطلاع، ونيل ما تتعلق الإرادة بوقوعه بموجب هذا حكم الكشف الأعلى، فلم ينخرم الأمر عليّ، ولم ينسخ هذا الحكم، والحمد لله المنعم المُفضِل المُكرِم، انتهى كلام الشيخ صدر الدين القونوي ﷺ.

نرجع إلى كلام الشيخ عبد الله اليافعي -رحمه الله- قال: وللشيخ محيي الدين ﷺ تصانيف في التصوف، وفي سائر العلوم، وأشعار لطيفة، وأخبار عجيبة، وأكثر ما طعن الطاعنون في كتباه المسمى بـ«فصوص الحكم».

وبلغني أن الإمام شيخ شيوخ الإسلام كمال الدين الزملكاني ﷺ شرحه شرحًا وافيًا، وبينه بيانًا كافيًا، ووجهه توجيهًا وافيًا، وأخبرني بعض العلماء الصالحين أن كلام الشيخ محيي الدين ﷺ له تأويل بعيد.

قال الشيخ عبد الله اليافعي -رحمه الله تعالى-: ومذهبي فيه التوقف.

وأما الشيخ سِبط أبي الفرج بن الجوزي فقال: الكامل الفاضل شيخ زمانه، وفريد عصره، وأوانه، لم يوجد له نظير في سائر العلوم الشرعية والحقيقية، وغيرها من سائر فنون العلم، وله تصانيف كثيرة، وتواليف غزيرة، لم ينسج على منوالها ناسج، وكان يحفظ الاسم الأعظم، وبلغني أنه يعلم الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب، وكان فاضلاً بطريق التصوف وفي غيره، للناس فيه أقوال كثيرة، ومذهبي التوقف، والله أعلم.

قلت: ما أنصفه في قوله كان يحفظ الاسم الأعظم، إذا كان هو بذاته ﷺ هو الاسم الأعظم، فإن الإنسان إذا كُمل صار الاسم الأعظم، إذ المراد من الاسم الأعظم سرعة الإجابة، وقد ذكر قطب الوقت الشيخ صدر الدين القونوي ﷺ عن الشيخ محيي

الدين ﷺ أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة فقال لي: يا محمد، إن الله تعالى أسرع إلى جانبك من دعائك إياه.

وهذا الحكاية في نصوص «**الفصوص**» تصنيف الشيخ صدر الدين ﷺ.

قلت: وما أنصفه أيضًا في قوله: يعلم الكيمياء، فإنه ﷺ كان ذاته كيمياء، فإن حقيقة الكيمياء عند أرباب الصناعة تقليب الأعيان حتى ينقلب الرصاص فضة، والنحاس ذهبًا بواسطة الإكسير، وقد كان ﷺ إكسير زمانه، وكيمياء عصره وأوانه، طالما انقلبت بإرشاده أعيان الأعيان من خساسة الحيوان إلى نفاسة الإنسان.

وللمؤلف -عفا الله عنه:

الكِيميــاءُ بتحقيــقٍ وعِرفــان   تَبـدّيلُ أَخـلاقِ حَيـوانٍ بإنسَانِ

فَإِن كُـن غـير ذَا ضَـيعتَ عُمـرَك   فِي طَـبـرِ مَـاءٍ وتَـصعِيد نِـيرَانِ

نرجع إلى العجب العجيب، والسبب الغريب، في شأن هؤلاء الهداة الأعلام، وحماة الإسلام، كيف توقفوا في مثل هذا الإمام؟ بعدما وصفوه بالجلال والإكرام، والإعظام والاحتشام، إذ ما منهم إلا من أقر بولايته، واعترف بكرامته، فما هذا التوقيف بعد ذلك التعريف؟ وما هذا الإنكار بعد ذلك الإقرار؟ وهل بعد الجنة إلا النار؟

وإنما هم في ذلك كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في الذين تخلفوا عنه وعن معاوية ﷺ: «ما قاموا مع حق، ولا قعدوا مع باطل».

❊ ❊ ❊

الفرقة الثالثة

وهم الذين لم يوطنوا الأشياء مواطنها، ووقفوا مع ظواهرها، وتركوا بواطنها، فلا حاجة إلى الاستشهاد بالآيات البينات على قبائحهم، ولا بالأحاديث الصحيحات على فضائحهم، إذ القرآن مشحون بهتك أستارهم، والحديث مسنون بكشف أسرارهم كقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[يونس:٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:١١].

وقوله ﷺ: «**إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله**»[١].

لأن البراهين القاطعة، والحجج الساطعة، مسلطة مع الظواهر بغير لبس، وليس الأمر عند العلماء الراسخين بالعكس، فالحكم المعتاد مطروحًا بين العبد؛ لأن لكل قوم لسانًا واصطلاحًا في سيرهم تفردوا وتميزوا عن غيرهم، فإذا سمعهم من لم يكن منهم أنكرهم، وربما أداه الجهل إلى أن كفرهم، ولا ينبغي إذ يكون لزيد لسان واصطلاح لا يفهمه عمر، ويكون ذلك باطلاً في نفسه، فهذه الفرقة نبهها الله تعالى عن سنتها، وأيقظتها من غفلتها كما قيل:

وكَم مِن عَائب قولاً صحيحًا وآفتهُ مِن الفَهم السَقيم

(١) ذكره المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٣٢٦)، والديلمي في «الفردوس» (١/ ٢١٠).

فليتهم إذ لم يعرفوا وقفوا، وليتهم إذا عرفوا أنصفوا، ولكنهم كما قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ﷺ وأرضاه، وجعل الحضرة المقدسة منقلبه ومثواه «إنهم كصخرة في فم وادٍ، فلا هي شربت الماء، ولا تركت غيرها يشرب».

وما أحسن ما قال بعض المشايخ ﷺ: «إذا عجزت عن شيء، فلا تعجز عن رؤية العجز والتقصير عنه».

وللمؤلف -عفا الله عنه:

لَو كُنْتَ شَاهدتَ يومَ البَيْنِ إِيشْ جَرَى ... مَا كُنْتَ أَنْكَرتَ دَمْعَ العَيْنِ حِينَ جَرَى

وَلَو تَجرّدتَ مِن ثَوْبِ الحُدوثِ لَمَا ... جَهِلْتَ مَا فِي سِرِّ غَارِ حِرَا

لَكِنْ حُجِبْتَ عَن المعنَى بِظَاهِره ... فَلَسْتَ مَعنَا فَأَبّدتَ قَلْبك الحَجَرا

وَلَا تكن قَافِيًا مَا لَستَ تَعلمُه ... واحَذر فُؤادك ثُم السّمعَ والبَصرا

أنْتَ فُؤادك مَسْئول وَمُحتَبس ... فِي مَوقِفِ عَنْهُم لا يَقْبلُ العُذرَا

جهد لنَفسِك فِي تحْصيلِها عَجلاً ... وسِرْ بها خَلف مَن بالسّالِكين سَرَى

إلى المقَامِ الّذِي مِنْهُ بِدايتُنَا ... إلَيه يَرْتَاحُ مَا الإقْدَام انحدَرا

الّذي قَط لم يَشغله شَاغِلُه ... عَن ذِكر مولاه بَل يُصغِي لَمَا أمِرا

عَن نَفسِه مِن كُل شَائِبة ... ولَم يَبق لَها رَسْمًا ولَا أَثَرا

إِن يَعم هِلالُ القَومِ عَنْكَ فَلم ... تَنْظُر إِليه فَسَلِّم للذِي نَظَرا

الباب الثاني

في

أقواله ومصنفاته ﷺ

وهذا الباب بحر لا ساحل له، إذ مصنفاته تزيد على خمسمائة مصنف، فمن ذلك ما ذكره الشيخ ﷺ في رسالة كتبها لبعض المريدين ما هذا ترجمتها:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى..

أما بعد..

فقد سألني بعض الإخوان أن أقيد له في هذه الأوراق ما صنفته وأنشأته في علم الحقائق والأسرار على طريق التصوف، وفي غير هذا الفن، فقيدت له -وفقه الله تعالى- في هذا الفهرست ما سَأل، إلا أن بعض هذه الكتب إن طلبت فهي قليلة؛ لأني كنت قد أودعتها لشخص لأمرٍ طرأ، فلم يردها عليّ ذلك للشخص إلى الآن، ومنها ما كمل وهو الأكثر، ومنها ما لم يكمل وهو الأقل، وما قصدت في كل ما ألفته مقصد المؤلفين، ولا التأليف، وإنها كانت ترد عليّ من الحق موارد تكاد العقول تحترق منها، فكنت أتشاغل عنها بتقييد ما يمكن منها، فخرجت مخرج التأليف لا من حيث القصد، ومنها ما ألفته عن أمرٍ إلهي يأمرني به الحق سبحانه وتعالى في نومٍ أو في مكاشفة.

وها أنا أبتدئ بذكر الكتب التي أودعتاها، وليست بيدي، ولا بيد غيري فيما أظن، وما اطلعت لها على خبر من ذلك الوقت إلى الآن، ثم أذكر الكتب التي بأيدي الناس اليوم، والتي بيدي، وما خرجت إلى الناس لانتظاري في إظهارها ما عودنيه الحق من صدق الخاطر الرباني، وهو الأمر الإلهي الذي عليه العمل عندنا، مستعينًا بالله تعالى.

فمنها:

فصل في ذكر الكتب التي أودعناها

١- كتاب في الحديث اختصرت فيه المسند الصحيح لمسلم بن الحجاج.

٢- وكتاب في الحديث أيضًا اختصرت فيه مصنف أبي عيسى الترمذي.

٣- وكنت بدأت كتابًا سميته: «المصباح في الجمع بين الصحاح».

٤- وكنت بدأت في اختصار «المحلى» لابن حزم.

٥- وكتاب «الاحتفال فيما كان عليه رسول الله ﷺ من سنن الأحوال».

وأما ما كان منها في علوم الحقائق في طريق الصوفية فمن ذلك:

١- كتاب «الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنـزيل» أكملت منه إلى سورة مريم، وجاء بديعًا في شأنه، وما أظن في البسيطة من نزع في القرآن ذلك المنـزع، وذلك أني رتبت الكلام فيه على كل آية في ثلاث مقامات:

مقام الجلال أولاً، ثم مقام الجمال، ثم مقام الاعتدال، وهو البرزخ حسب الوزن الكامل المحمدي، وهو مقام الكمال، فآخُذُ الآية من مقام الجلال والهيبة، فأتكلم عليها حتى أردها لذلك المقام بألطف إشارة، وأحسن عبارة، ثم آخذها بعينها وأتكلم عليها من مقام الجمال، وهو يقابل المقام الأول حيث أوردها المقام، كأنها إنما أنزلت في ذلك المقام خاصة، ثم آخذ تلك الآية بعينها فأتكلم عليها من مقام الكمال بكلام لا يشبه الوجهين المتقدمين، ومن هذا المقام أتكلم على ما فيها من أسرار الحروف الكبار،

والحروف الصغار التي هي الحركات، وسكون الحي، وسكون الميت إن كان فيها شيء من ذلك، والنسب، والإضافات، والإشارات، وما أشبه ذلك.

فإذا فرغت من ذلك انتقلت إلى الآية التي تجاورها، وما فيه لأحد كلمة أصلاً، إلا إن كان استشهادًا، وهو قليل.

٢- وكتاب «الجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة».

٣- وكتاب «مفتاح السعادة في معرفة المدخل إلى طريق الإرادة».

٤- وكتاب «المثلثات الواردة في القرآن» مثل قوله تعالى: ﴿لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾[البقرة: ٦٨]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ١١٠].

٥- وكتاب «المسبعات الواردة في القرآن» مثل قوله تعالى: ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف:٤٣]، ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة:٢٩]، ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦].

٦- وكتاب «الأجوبة على المسائل المنصورية» وهو نحو مائة سؤال سألني عنها صاحب لي اسمه منصور.

٧- وكتاب «مبايعة القطب بحضرة القرب» يحتوي على مسائل جمة من مراتب الأملاك والمرسلين والنبيين والعارفين والروحانيين، ما سُبقت من علمي إليه.

٨- وكتاب «مناهج الارتقاء إلى افتضاض أبكار البقاء» رتبته على ثلاث مائة باب في كل باب عشر مقامات، وهو يتضمن ثلاثة آلاف مقام.

٩- وكتاب «كنه ما لا بد للمريد منه».

١٠-وكتاب «المُحكم في المواعظ والحِكم وآداب رسول الله ﷺ».

١١- وكتاب «الأجلى أسرار روحانيات الملأ الأعلى».

١٢- وكتاب «كشف المعنى عن سر أسماء الله الحسنى».

١٣- وكتاب «الدليل في إيضاح السبيل» في الوعظ.

١٤- وكتاب «عقلة المستوفز في أحكام الصنعة الإنسانية».

١٥- وكتاب «جلاء القلوب» اتفق لي في هذا الكتاب عجيبة، وذلك أني لما وضعته أَخذَ مِنه كُل واحدٍ من إخواننا كراسة أو اثنتين ليُطالعها، وأخذت أنا صدر الكتاب، وكان في نحو عشرين ورقة، فخرجنا إلى خارج البلد مع جملةٍ من أصحابنا، فقعدنا في ربوة نطالع فيه، وكان من أبدع الموضوعات، فلما فرغنا من قراءته وضعناه في الأرض فاختطف، فما أدري اختطفه الجن أم البشر ممن يحتجب عن الأبصار؟ وما عرفت له خبرًا إلى الآن، وأما بقية الكتاب فما جمعته بعد ذلك، ولا ردّ عليّ كل من كان عنده شيء منه، وهذا ما كان من شأنه.

١٦- وكتاب «التحقيق في بيان السر الذي وقر في نفس أبي بكر الصديق ﷺ».

١٧- وكتاب «الإعلام بإشارات أهل الإلهام».

١٨- وكتاب «السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج -قدس الله روحه-».

١٩- وكتاب «الإفهام في شرح الإعلام».

٢٠- وكتاب «المنتخب في سائر القرب».

٢١- وكتاب «نتائج الأذكار وحدائق الأزهار»[١].

٢٢- وكتاب «الميزان في صفة الإنسان».

فهذه أسماء الكتب الموDوعة ما أدري هل خرج عن ذكري منها شيء أم لا؟ فإن العهد متقدم، والخاطر غير مصروف لما كان في الزمان الماضي، حذرًا من فوت الوقت

قلت: هذه الكتب الموDوعة الآن بأيدي الناس، ولا أعلم هل ظهرت في حياة الشيخ ﷺ أم بعد وفاته؟

فإني وقفت على معظمها وبعضها بيدي، وهذه التذكرة إنما كتبها الشيخ ﷺ بمكة في أيام كان لها مجاورًا، والله تعالى أعلم.

***

(١) تحت قيد الطبع بتحقيقنا.

فصل في الكتب التي بأيدي الناس

اليوم مما يُنسب إلينا

فمنها في الحديث:

١- كتاب «المحجة البيضاء» صنفته بمكة -شرفها الله تعالى- على طريق الفقهاء، أكملت فيه كتاب الطهارة والصلاة في مجلدين، وبيدي المجلد الثالث، وأنا في كتاب الجمعة منه.

٢- وكتاب «مفتاح السعادة» جمعت فيه بين متون مسلم والبخاري، وبعض أحاديث من الترمذي.

٣- وكتاب «كنز الأسرار فيما روي عن النبي المختار من الأدعية والأذكار».

٤- وكتاب «مشكاة الأنوار فيما روي عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار».

٥- وكتاب «الأربعين المتقابلة».

٦- وكتاب «الأربعين الطوال».

٧- وكتاب «العين».

ولا أدري هل خرج عن ذكري منها في هذا الفن شيء أم لا؟ لانشغال الخاطر وعدم الالتفات للماضي، وأما ما بأيدي الناس من كُتبنا في طريق الحقائق فمنها:

١- كتاب «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية» حذوت فيه حذو الحكيم أرسطو في كتابه المسمى «بسر الأسرار» الذي صنفه للإسكندر، وبسبب ذلك الكتاب وضعت هذا السر إلى أخينا أبي محمد عبد الله بن الأستاذ المروري في ذلك.

٢-وكتاب «سبب عشق النفس للجسم وما تقاسي من الألم عند فراقه بالموت».

٣- وكتاب «إنزال الغيوب على مراتب القلوب» فيها لنا من سجع وشعر.

٤- وكتاب «الإسرا إلى المقام الأسرى».

٥- وكتاب «**مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية**»[١].

٦- وكتاب «الجلاء».

٧- وكتاب «المنهج السديد إلى ترتيب أحوال الإمام البسطامي أبي يزيد ﷺ» أمرني الحق سبحانه وتعالى بشرحها في النوم بساحل سبتة بلدة من بلاد المغرب، فقمت مبادرًا قبل طلوع الفجر، وكان لي ناسخان، فأمليت عليهما فكتبا، فما طلعت الشمس حتى تقيد منهما كراسان.

٨- وكتاب «أُنس المنقطعين برب العالمين» وضعته لنفسي ولغيري.

٩- وكتاب «الموعظة الحسنة» وضعته بمكة -شرفها الله تعالى.

١٠- وكتاب «البغية في اختصار كتاب الحلية» لأبي نعيم الأصفهاني الحافظ، وضعته لنفسي.

١١- وكتاب «الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة».

قال ابن الدبيثي: هذا الكتاب يشتمل على ذكر أخبار مشايخ الغرب، ولم يصحبه معه إلى الشرق، فلما ورد إلى الشام اختصره من خاطره من غير مراجعة إلى الأصل.

---

(١) طبع بشرح الست عجم بنت النفيس -بتحقيقنا- بيروت.

١٢- وكتاب «المبادئ والغايات فيما تحتوي عليه حروف المعجم من العجائب والآيات».

١٣- وكتاب «مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم» في جزأين، وهو كتاب عزيز الوجود لم يصنف في فنه مثله.

١٤- وكتاب «الإنزالات الوجودية من الخزائن الجودية»[1].

١٥- وكتاب «حلية الأبدال وما يظهر منها من المعارف والأحوال» وهو كتاب ساعة، وضعته بالطائف بدرب آل أمية في زيارتي لعبد الله بن عباس ﷺ تكلمت فيه على الجوع والصمت والسهر والخلوة.

١٦- وكتاب «**أنوار الفجر في معرفة المقامات والعاملين على الأجر وعلى غير الأجر**» وإنما سميته بهذا الاسم؛ لأني لا أقيد منه حرفًا إلا في وقت الفجر إلى أن يكاد يبدو حاجب الشمس.

١٧- وكتاب «**الفتوحات المكية**»[2] وهو كتاب كبير في مجلدات كثيرة، بما فتح الله سبحانه وتعالى به على في مكة -شرفها الله تعالى- يحتوي على خمسمائة وخمسة وستين بابًا في أسرار عظيمة، في مراتب العلوم والمعارف والسلوك والمنازل والمنازلات والأقطاب، وشبه هذا الفن.

١٨- وكتاب «تاج الرسائل ومنهاج الوسائل» مخاطبات بيني وبين الكعبة -شرفها الله تعالى- وهو سبع رسائل.

---

(١) يسر الله لنا تحقيقه.

(٢) وله مختصر للشيخ الشيخ الشعراني-تحت قيد الطبع- بتحقيقنا.

١٩- وكتاب «روح القدس في مناصحة النفس».

٢٠- وكتاب «التنـزلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات الخمس والأيام المقدرة الأصلية».

٢١- وكتاب «إشارات القرآن في عالم الإنسان».

٢٢- وكتاب «القسم الإلهي بالاسم الرباني».

٢٣- وكتاب «الجلال والجمال».

٢٤- وكتاب «المدخل إلى العمل بالحروف».

٢٥- وكتاب «المقنع في السهل الممتنع».

٢٦- وكتاب «الأمر المربوط في معرفة ما يحتاج أهل طريق الله من الشروط»[1].

٢٧- وكتاب «رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة على الترتيب من الأسرار».

٢٨- وكتاب «عنقاء مغرب».

٢٩- وكتاب «المعلوم في عقائد علماء الرسوم».

٣٠- وكتاب «الإيجاد الكوني والمشهد العيني بحضرة الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة الروحانية».

٣١- وكتاب «إنشاء الجداول والدوائر في الرقائق والحقائق».

---

(١) تحت قيد الطبع - بتحقيقنا.

٣٢- وكتاب «الأعلاق في مكارم الأخلاق».

٣٣- وكتاب «روضة العاشقين».

٣٤- وكتاب «ستة وتسعين» تكلمنا فيه على الواو والميم والنون؛ لانعطاف أوائلها على أواخرها هكذا: م ي م، واو، ن و ن.

٣٥- وكتاب «الإشارات في أسرار الأسماء الإلهيات والكنايات».

٣٦- وكتاب «الحجب المعنوية في الذات الهوية».

٣٧- وكتاب «الرسالة» أرسلتها لفخر الدين الرازي[1].

فهذا ما بأيدي الناس.

١- كتاب «المبشرات» ذكرت فيه ما تذكرته من رؤيا رأيتها تفيد علمًا، وتحرّض على الخير.

٢- كتاب «ترتيب الرحلة» ذكرت فيه ما لقيته في رحلتي إلى بلاد المشرق، وفيه ذكر مشايخنا الذين لقيانهم وسمعنا عنهم، أذكر الشيخ ﷺ وأذكر عنه حديثًا عن رسول الله ﷺ، وحكاية مفيدة، وأبياتًا من الشعر، إما له أو من روايته.

٣- كتاب فيه مما رويته من الأحاديث العوالي، ولم أشترط فيه الصحة.

---

(١) تحت قيد الطبع بتحقيقنا-بيروت.

وأما الكتب التي أمرني الحق سبحانه وتعالى بوضعها، ولم يأمرني بإخراجها للناس وبثها في الخلق فمن ذلك:

١- كتاب «الأحدية» وهو كتاب يتضمن الأحدية والوحدانية والفردانية والولية، والوترية، ونفي الكثرة من الوجود العددي، وأن الواحد يظهر في مراتب الأعداد فتنشأ الأعداد وتغيب فيبقى.

٢- وكتاب «الهُو» ويتضمن هذا الكتاب معرفة الضمائر وإضافات النفس.

٣- كتاب «الجامع» يتضمن معرفة الجلال بما يدل عليه من الجمع والإطلاق، وبما يدل عليه من التقييد عند قول الملهوف: يا الله أعني.

٤- وكتاب «الرحمة» ويتضمن معرفة التخصيص فيها والتعميم والعطف والحنان والرأفة والشفقة.

٥- وكتاب «العظمة» وهو كتاب يتضمن إشارات من الجلال والكبرياء والجبروت والهيبة.

٦- وكتاب «المجد».

٧- وكتاب «الديمومية» ويتضمن هذا الكتاب مسائل من السرمدية والخلود والأبد والبقاء.

٨- وكتاب «الجود» يشار فيه إلى العطاء والوهب والمنح والكرم والسخاء، والرشا، والهدايا.

٩- وكتاب «القيومية».

١٠- وكتاب «الإحسان».

١١- وكتاب «الفلك والسماء».

١٢- وكتاب «الحكمة المحتوية».

١٣- وكتاب «العزة» يشار فيه إلى المنع والقهر والغلبة والحمد، والعجز والقصور.

١٤- وكتاب «الأزل».

١٥- وكتاب «النور» يشار فيه إلى الضياء والظلال والظلمة والإشراف والظهور.

١٦- وكتاب «السر».

١٧- وكتاب «الإبداع والاختراع».

١٨- وكتاب «الأمر والخلق».

١٩- وكتاب «الصادر والوارد».

٢٠- وكتاب «القدم».

٢١- وكتاب «الملك».

٢٢- وكتاب «القدس».

٢٣- وكتاب «الحياة».

٢٤- وكتاب «العلم».

٢٥- وكتاب «المشيئة» يشار فيه إلى التمني والإرادة والشهود والهاجس والعزم والنية والقصد والهمة.

٢٦- وكتاب «الفهوانية» وربما يقع اسمه كلمة الحضرة، وربما وقع اسمه القول، يشار فيه إلى الكلام والنطق والحديث والسمر، وشبه ذلك.

٢٧- وكتاب «الرقم» يشار فيه إلى الخط والكتابة والإشارة والحروف الرقمية.

٢٨- وكتاب «الرقيم».

٢٩- وكتاب «العين» يشار فيه إلى الرؤية والمشاهدة والمكاشفة والتجلي واللمح اللمع والطالع والذوق والشرب والباده والهاجم، وشبه هذا.

٣٠- وكتاب «الباءة» يشار فيه إلى التوالد والتناسل.

٣١- وكتاب «كن» يشار فيه إلى حضرة الأفعال والتكوين.

٣٢- وكتاب «المبادئ» يشار فيه إلى أن الإعادة مبدأ، وأن العالم في كل نفس في مبدأ.

٣٣- وكتاب «الولاية».

٣٤- وكتاب «الدعاء و الإجابة».

٣٥- وكتاب «الرمز في حروف أوائل السور».

٣٦- وكتاب «الرقية».

٣٧- «وكتاب البقاء».

٣٨- وكتاب «القدرة».

٣٩- وكتاب «الحكم والشرائع الصحيحة والرئاسة والسياسة».

٤٠- وكتاب «مفاتيح الغيب».

٤١- وكتاب «الخزائن».

٤٢- وكتاب «الرياح اللواقح».

٤٣- وكتاب «الريح العقيم».

٤٤- وكتاب «الكتب» القرآن والفرقان، وأصناف الكتب كالمسطور، والمرقوم، والحكيم، و المبين، والمحصب، والمتشابه، وغير ذلك.

٤٥- وكتاب «التدبير والتفصيل».

٤٦- وكتاب «اللذة والألم».

٤٧- وكتاب «الحق».

٤٨- وكتاب «الحمد».

٤٩- وكتاب «المؤمن و المسلم والمحسن».

٥٠- وكتاب «القدر».

٥١- وكتاب «الشأن».

٥٢- وكتاب «الوجود».

٥٣- وكتاب «التحويل».

٥٤- وكتاب «الحياة».

٥٥- وكتاب «الوحي».

٥٦- وكتاب «الإنسان».

٥٧- وكتاب يشتمل على ذكر التحليل والتركيب.

٥٨- وكتاب «المعراج».

٥٩- وكتاب «الروائح والأنفاس».

٦٠- وكتاب «الملك».

٦١- وكتاب «الأرواح».

٦٢- وكتاب «الهياكل».

٦٣- وكتاب «التحفة والطرفة».

٦٤- وكتاب «الغرفة والحرفة».

٦٥- وكتاب «الأعراف».

٦٦- وكتاب «زيادة كبد القول».

٦٧- وكتاب «الإسفار عن نتائج الأسفار».

٦٨- وكتاب «الأحجار المتفجرة والمتشققة والهابطة».

٦٩- وكتاب «الجبل».

٧٠- وكتاب «الطور».

٧١- وكتاب «أدب النمل».

٧٢- وكتاب «البروج».

٧٣- وكتاب «الحشرات».

٧٤- وكتاب «القسطاس».

٧٥- وكتاب «القلم».

٧٦- وكتاب «اللوح».

٧٧- وكتاب «العرش».

٧٨- وكتاب «الكرسي».

٧٩- وكتاب «الفلك».

٨٠- وكتاب «الهباء».

٨١- وكتاب «الجسم».

٨٢- وكتاب «الزمان».

٨٣- وكتاب «الحركة».

٨٤- وكتاب «العالم».

٨٥- وكتاب «الآباء العلويات والأمهات السفليات والبنات والمولدات».

٨٦- وكتاب «النجم والشجر».

٨٧- وكتاب «سجود القلب».

٨٨- وكتاب «الأسماء».

٨٩- وكتاب «النحل».

٩٠- وكتاب «الرسالة والنبوة والولاية والمعرفة».

٩١- وكتاب «الغايات».

٩٢- وكتاب «العشق».

٩٣ - وكتاب «السبعة عشر».

٩٤- وكتاب «النار».

٩٥- وكتاب «الجنة».

٩٦- وكتاب «الحضرة».

٩٧- وكتاب «المناظرة بين الإنسان والحيوان».

٩٨- وكتاب «المفاضلة».

٩٩- وكتاب «الإنسان الكامل والاسم الأعظم».

١٠٠- وكتاب «المبشرات».

١٠١- وكتاب «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار».

١٠٢- وكتاب «الأولين».

١٠٣- وكتاب «ترجمان الأشواق».

١٠٤- وكتاب «العبادلة».

١٠٥ - وكتاب «تاج التراجم».

١٠٦ - وكتاب «ما لا يعوَّل عليه في طريق الله».

١٠٧ - وكتاب «إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن».

١٠٨ - وكتاب «المعرفة».

١٠٩ - وكتاب «شرح الأسماء».

١١٠ - وكتاب «الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق».

١١١ - وكتاب «النصائح فيما يقرب في طريق الله تعالى».

١١٢ - وكتاب «اللوائح في شرح النصائح».

١١٣ - وكتاب «الوسائل في الأجوبة عن عيون المسائل».

١١٤ - وكتاب «النكاح المطلق».

١١٥ - وكتاب «اختصار سيرة النبي ﷺ».

١١٦ - وكتاب «المنيع الحمي البصير، فيه أعمى، فكيف حل به العمى؟».

١١٧ - وكتاب «**فصوص الحكم**».

جميع هذه الكتب التي لم تخرج إلى الناس، ولم تبث في الخلق، خرج بعضها في حياته، وبعضها بعد وفاته ﷺ.

وأنا ما طلبت من إيراد هذه التذكرة إلا فرح المحبين، ونوح الحاسدين، وما قصدت بذلك حصر كتبه، فإن كتبه ﷺ لا تكاد أن تحصر.

فقد ذكر شيخنا شيخُ كل حاضرٍ وبادٍ الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي -قدس الله روحه- ورَوَّى بالرحمة ضريحه أنه وقف على إجازة كتبها الشيخ محيي الدين ﷺ للملك الأعظم صاحب دمشق فقال في آخرها:

وأجزت له أن يروي عني مصنفاتي، ومن جملتها كذا وكذا، وعد نيفًا وخمسمائة كتاب.

وهذا الذي ذكره شيخنا أقضى القضاة ﷺ سمعته من لفظه المبارك سابع عشر شهر رمضان المعظم سنة أربع وثمانين وسبعمائة بدِّهلي المحروسة.

ووقفت عليه مرة أخرى في جواب استفتاء السلطان الأعظم ذي الرأفة والجاه الناصر لدين الله، خلد الله ملكه، وجعل بسيط الأرض ملكه، المنعم على البسيطة أحمدا، لا زال بالفتح المبين مؤبدا، وجعل بالنصر العزيز مؤيدا، وذلك أنه اجتمع في خزانته السعيدة على ما بلغني من مصنفات الشيخ محيي الدين ﷺ ما لم يجتمع في خزانة غيره من آبائه السلاطين المتقدمين -رضوان الله عليهم أجمعين- كالأشرف والأفضل والمجاهد والمؤيد والمظفر والمنصور -طيب الله ثراهم وجعل الجنة منقلبهم ومثواهم.

قَــومٌ محَاسِــنُ جُــودِهم مَبْثُوثَــةٌ   يَــبلَى الزَمــانُ وذِكرُهــا يَتَجــدّدُ

فتكلم الفقهاء فيها لقصور عقلهم في إدراك معانيها، فاستفتى السلطان الأعظم أعز الله أنصاره، وضاعف ملكه واقتداره، شيخنا أقضى القضاة ﷺ ما هذا ترجمته:

ما تقول السادة العلماء شد الله بهم أزر الدين، ولم بهم شعث المسلمين في الشيخ محيي الدين ابن العربي ﷺ، وفي كتبه المنسوبة كـ **«الفتوحات»** و**«فصوص الحكم»** وغير ذلك، هل يجوز قراءتها وإقراؤها، وهل هي من الكتب المسموعة المقروءة، أم لا؟

أفتونا مأجورين جوابًا شافيًا فيها لتحوزوا جزيل الثواب من الله الكريم الوهاب.

فأجاب شيخنا أقضى القضاة ﷺ ما هذا ترجمته:

اللهم أنطقنا بما فيه مرضاتك، الذي اعتقده من حال المسئول عنه، وأدين الله به: أنه كان شيخ الطريقة حالاً وعلمًا، وإمام التحقيق حقيقة ورسمًا، ومحيي رسوم المعارف فعلاً واسمًا.

إذا تغلغل فكر المرء في طرف من بحره غرقت فيه خواطر عباب، لا تكدره الدلاء، وسحاب تتقاطر عنه الأنواء، دعواته تخترق السبع الطباق، وتتفرق ببركاته فتملأ الآفاق، وإني أصفه وهو فوق ما وصفته، وغالب ظني بل يقيني أني ما أنصفته:

وَمَـا عَـلَيَّ إِذَا مَـا قُلْـت مُعتَقَـدي ... دَعِ الجَهُولَ يَظُـنُّ العَـدْلَ عُـدوَانا

وَالله وَالله وَالله العَظِـيم ومَـنْ ... أَقَامَـهُ حُجـةَ لله بُرهَانـا

إِنَّ الذي قُلْتُ بَعضٌ مِـن مَنَاقِبِـهِ ... مَـا زِدتُ إِلاَّ لَعـلِّيَ زِدتُ نُقْـصانا

وأما كتبه ومصنفاته؛ فهي البحار الزواخر، التي لكثرة جواهرها لا يعرف لها أول ولا آخر، وما وضع الواضعون مثلها، وإنما خصّ الله سبحانه وتعالى بمعرفة قدرها أهلها.

ومن خواص كتبه أنه مَنْ واظب على مطالعتها، والنظر فيها والتأمل في معانيها انشرح صدره لحل المشكلات وكشف المعضلات، وهذا الشأن لا يكون إلا لمن خصه الله تعالى بالعلوم اللدنية، والمعارف الربانية فمن جملتها:

«التفسير الكبير» في تسعة وتسعين مجلدًا.

بلغ ﷺ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

فاستأثر تعالى به فتوفي الشيخ محيي الدين ﷺ ولم يكمل، وهذا التفسير كتاب عزيز، كل سِفرٍ منه بحر لا ساحل له، ولا غرو فإنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به.

قلت: هذا التفسير لم يذكره الشيخ ﷺ في التذكرة التي تقدم ذكرها؛ لأن «**التذكرة**» كتبت بمكة -شرفها الله تعالى- ثم إنه ﷺ انتقل إلى دمشق وسكنها برهة من الزمان قريبًا من ثلاثين سنة، وصنف بها كتبًا كثيرة بعد تلك «**التذكرة**»، وكان آخر ما صنفه ﷺ هذا التفسير، والله أعلم لو أكمله إلى ما كان يبلغ من المجلدات، وهذا ليس من الكسب الإنساني، بل من العطاء السبحاني، والوهب بالرباني.

نرجع إلى كلام شيخنا ﷺ وقوله:

وثمَّ طائفة من جهلهم وغيهم يبالغون على الشيخ محيي الدين ﷺ في التنكير، وربما يبلغ بهم الغي والجهل إلى التكفير، وما ذلك إلا لقصور أفهامهم عن مدارك مقاصد أحواله وأقوله، ولم تصل أيديهم إلى اقتطاف ثمار معانيه؛ فلذلك تكلموا فيه، ولله در القائل حيث يقول:

عليّ نَحتُ القَوافِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ إذَا لم تَفْهَم البَقَرُ

هذا الذي نعلم ونعتقد وندين الله تعالى به في حقه، والله أعلم.

كَتبهُ الملتجئ إلى حرم الله الصدّيقي عفا الله عنه، انتهى جواب شيخنا أقضى القضاة ﷺ.

ثم عُرِضَ هذا الجواب على السلطان الأعظم، ملكه الله من البلاد أقاصيها، ومن العباد نواصيها، فاستفتى الفقيه أبا بكر بن محمد بن الخياط المخالفي الجبلي -تاب الله عليه- إن كان قد رجع إليه ما هذا ترجمته:

ما يقولُ الفقيه في الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين ابن العربي ﷺ «كـالفتوحات المكية» و«فصوص الحكم» وغير ذلك، هل يجوز تعلمها وإظهارها بين الناس، واعتقاد ما فيها أم لا؟ وهل هي من العلوم النافعة؟

فإن شيخنا شيخ الإسلام أقضى القضاة مجد الدين نفع الله به الإسلام والمسلمين لما سُئل عن ذلك أجاب بما يقتضي تفضيل كتب الشيخ محيي الدين ﷺ على ما اشتهر من كتب العلوم النافعة، ولم يقر ذلك في القلب فأوضح لنا الجواب.

فأجاب الفقيه المذكور

الجواب وبالله التوفيق:

قد آن لابن الخياط ألا تأخذه في الله لومة لائم.

قلت: هذا أول خُطاه في خطئه في فتواه، إذ (آن) بمعنى قرب ودنا، فقد أقر بفتواه، واعترف بأنه كان بعيدًا عن الله تعالى، وقد كان تأخذه في الله لومة اللائم، هذا فيما مضى من زمانه، ثم الداعي الآن والحال بما ادّعى، وبقي عليه إقامة البينة، وبينة قوله:

لا يجوز ولا يحل تحصيل كتب الشيخ محيي الدين ﷺ ، لا قراءتها ولا إقراؤها، فإنها مردودة على مصنفها.

قلت: انظر أيها الناظر إلى فضيحة هذا الجائر، الذي ما يدري ما يقول، ولا كلام نفسه إلى ماذا يئول، الذي شواهد دعواه تشهد على بُطلان ما ادّعاه، فإن كتب الشيخ محيي الدين ﷺ تزيد على خمسمائة، وقد سبق ذكر بعضها كـ «التفسير الكبير» على تسعة وتسعين مجلدًا، و«التفسير الصغير» في ثمانية مجلدات، وكذا «الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل» أكمل منه إلى سورة مريم، واختصاره «لمحلى ابن حزم».

وكذا كتابه المسمى بـ «المحجة البيضاء على طريق الفقهاء»[1] الذي صنفه بمكة شرفها الله تعالى.

قال ﷺ: أكملتُ منه كتاب الطهارة وكتاب الصلاة في مجلدين، وبيدي المجلد الثالث، وأنا في كتاب الجمعة، وهذا الكتاب لو تم كان مجلدًا.

وكذا كتاب «مفتاح السعادة» الذي جمع فيه بين متون مسلم والبخاري والترمذي.

وكذا الكتاب المسمى بـ «كنز الأسرار فيما يروى عن النبي المختار ﷺ من الأدعية والأذكار».

وكذا كتاب يسمى بـ «مشكاة الأنوار فيما يُروى عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار».

وكذا كتاب «الأربعين المتقابلة».

وكذا «الأربعين الطوال».

---

(١) مخطوطات: يوسف أغا ٥٢١٦، إسكي= ٤٩٨٦ يني (التصنيف الجديد) (ص١-٣٢٥) بخط الشيخ.

وكم له ﷺ من تصنيف شريف في التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه وأصول الكلام، بعضها مشهور، وبعضها مستور، وما بقي بيننا وبين الفقيه إلا التسفيه في العلوم الحقيقية، والمعارف الربانية التي لم يحط بها علمًا، ولم يدرك لها حقيقة ولا رسمًا.

فما يقول العالم النحرير، والعارف الخبير بمن يقول للأصحاب بالإضراب عن طريق الهُدى والصواب؟ فهذا بينة ما ادّعاه في فتواه.

وللمؤلف -عفا الله عنه:

قُولُوا لِأَعمَى عَابَ شَـمسَ الـضُحَى وَظَـلَ مـن جَهـلٍ بِهَـا يَـزدَرِي

إذَا لم تَكُــن مُــشتريًا ضَــوءَها فَــسائرُ النَّــاسِ لَــهُ مُــشتَرِي

وللمؤلف -عفا الله عنه:

فَقَـد فَتَقْنَـا خِياطَـةَ الخَيَّـاطِ خِيـوطٍ فُعلـت [.....] بِخِيـاطِ

وَكَـسَرنا مَقَـصّه وحَرمنـاه إِبَـر إِسْـتِها بغـيرِ إِختِيـاطِ

وله -عفا الله عنه:

كَلامُ الـشَيخ مُحيِي الـدِّين صَـكٌّ بوجـهِ المُـدّعِي وقَفَـاهُ سَـكُّ

كَـلامٌ لـيسَ فِيـهِ قـط شَـكٌّ وإنْ كَـانَ الأَعَـادِي فِيـهِ شَـكُّوا

نرجع إلى كلام الفقيه وما فيه من التسفيه وقوله:

وما أظن الشيخ مجد الدين أقدم على ما أقدم إلا لعدم إمعان النظر في كُتب الشيخ محيي الدين ﷺ.

ثم ذكر في الفتوى كلامًا يناسب مثله، لا يليق لمثلي نقله ولا حكايته، إذ كلٌّ يعمل على شاكلته، وكل ذلك قد أجاب شيخنا أقضى القضاة ﷺ بأجوبة طبقت الآفاق، ووقع عليه الإجماع والاتفاق، ولم يبق في سوق النفاق نفاق، أذكر منها ما يسر الله ذكره، ونشر عطره ما هذا ترجمته:

الحمد لله على كل حال، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً ووفقنا اجتنابه.

قد ذكرت مُعتقدي في الشيخ محيي الدين ﷺ بعد مواظبتي على مطالعة كتبه، التي يشرح صدور العارفين، وينور قلوب العاشقين النظر فيها، والتأمل في حقائقها ومعانيها، واقتطاف لطائف ثمراتها ومجانيها، وهو ﷺ شيخ المحققين، وإمام العارفين، وقطب الأولياء والصالحين، وهذا الذي نعرفه ونتحققه وندين الله تعالى به.

ومن نظر في أول كتاب «**الفتوحات**» ومعتقده، واتباعه للسُّنة الشريفة النبوية، واقتفائه الأحاديث، وبناء أبوابه عليها عرف - إن كان ممن شرح الله صدره بنور العلم اللدنّ- مقدار الشيخ محيي الدين، وجلالة قدره.

وقول الفقيه: إن كتب الشيخ محيي الدين ﷺ لا يجوز، ولا يحل تحصيلها، ولا قراءتها، ولا إسماعها؛ فإنها مردودة على مصنفها، إلى آخر مقالته ليس هو منفرد به، بل قول جماعة من فقهاء الظاهرين الذي ينطقون بهذا، وأكثرهم يعتقدون خلافه، وإنما ينطقون بما يوافق عقول العامة، العاجزين عن فهم شيء من معاني كلام الشيخ محيي الدين ﷺ ودقائقه، فإنهم متى سمعوا خلافه أنكروا وبدعوا وشنعوا.

أليس حافظ الأمة أبو هريرة ﷺ يقول: «**حفظت من رسول الله ﷺ وعائين من العلم بثثت أحدهما فيكم، والآخر لو بثثته لقُطع مني هذا البلعوم**»[١]

هكذا ذكره الإمام أبو عبد الله البخاري ﷺ في صحيحه، أراد به علوم الحقيقة، التي ليست من شأن أهل الظاهر الذي يفهم شيئًا من ذلك؛ لأن ذلك خاص بمن خصّه الله تعالى به من الصديقين، فإن الظاهِري المنكر معذور من هذا الوجه، وأما مبالغته في تكفير الشيخ محيي الدين ﷺ، فقد بسطنا عذره في ذلك.

قلت: لا أدري لبسط عذر المخالف وجهًا مع وضوح الدلالات بالآيات البينات، والأحاديث الصحيحات، والبراهين القاطعات، والحجج الساطعات، ويفتح علينا بابًا، ويقطع منا جوابًا في تكفير الكفار الأنبياء والرسل، ويقطع الطرق، ويسد السبل إذ لو كان كل من أبطل حقًّا، أو كذب صدقًا؛ فهو معذور لا يقبل الحق والصدق، ويثبت الباطل والزور.

ونرجع إلى كلام شيخنا أقضى القضاة ﷺ قوله:

كان الشيخ كمال الدين الزملكاني ﷺ من أجلِّ مشايخ الشام[٢]، وكان يقول: ما أجهل هؤلاء الذين ينكرون على الشيخ محيي الدين ﷺ لأجل كلمات وألفاظ وقعت في

---

(١) رواه البخاري (١/ ٥٦).

(٢) هو الشمس كمال الدين الزملكاني محمد بن علي بن عبد الواحد الشيخ الإمام العلامة المفتي قاضي القضاة ذو الفنون جمال الإسلام، كمال الدين أبو المعالي ابن الزملكاني الأنصاري السماكي الدمشقي، كبير الشافعية في عصره والفضلاء في دهره.

فقيه، أصولي، صوفي، متحقق، مناظر، أديب، ناظم، ناثر، نحوي (٦٦٧ - ٧٢٧ هـ).

سمع من أبي الغنائم ابن علان والفخر علي، وابن الواسطي وابن القواس ويوسف بن المجاور =

وعدة، وطلب الحديث، وكان فصيحًا.

قال الشيخ شمس الدين: له خبرة بالمتون وكان بصيرًا بالمذهب وأصوله، قوي في العربية قد أتقنها ذكاء ودربها ذكيًا، صحيح الذهن صائب الفكر فقيه النفس، تفقه على الشيخ تاج الدين وأفتى وله نيف وعشرون سنة، وكان يضرب بذكائه المثل، وقرأ العربية فيما أظن على الشيخ بدر الدين ابن مالك، وقرأ على قاضي القضاة شهاب الدين الخويي، وشمس الدين الأيكي وصفي الدين الهندي أول قدومه البلاد، أما لما عاد الشيخ صفي الدين وأقام بدمشق لم يقرأ عليه وقرأ على قاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي.

حكى لي الشيخ نجم الدين الصفدي رحمه الله تعالى قال: قلت له: فرطت في المنطق، فقال: كان بدمشق أيام طلبي له شخص يعرف بالأفشنجي وكت قد تميزت ودرست - أو قال: وأفتيت - فكنت أتردد إليه على كره مني والعلم في نفسه صعب وعبارة الأفشنجي فيها عجمة، فإذا أردت منه زيادة بيان أو قلت له: ما ظهر، قال: جاء،وأدار وجهه عني فأنفت من تلك الحالة وبطلت الاشتغال، أو كما قال. قلت: أغناه ذهنه الثاقب وفكره الصائب على أنه كان يعرف منه ما يحتاج إليه في أصول الفقه من معرفة التصور والتصديق ودلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام والضرب من الشكل المنتج والكاذب ومواد البرهان والمقدم والتالي وقياس الخلف وغير ذلك مما يدخل في الأصولين معرفة جيدة يتسلط بها على باقي الفن،أما أنه كان يطلب منه أن يشغل في مختلطات كشف الأسرار للخونجي فلا،وحفظ التنبيه فيما أظن والمنتخب في أصول الفقه والمحصل في أصول الدين وغير ذلك.

وأما الخط وحسن وضعه، فلا تسأل عن الروض النضير، ولا عن طلعة القمر المنير.

وكان شكله حسنًا ومنظره رائعًا وتجمله في زينته وهيئته غاية، وشيبته منورة بنور الإسلام، يكاد الورد يلقط من وجنتيه وعقيدته صحيحة متمكنة أشعرية وفضائله عديدة وفواضله ربوعها مشيدة، فإنه كان كريم النفس عالي الهمة، حشمته وافرة وعبارته حلوة فصيحة ممتعة من رآه أحبه قريب من القلب خفيف على النفس.

وتخرج به الأصحاب وانتفع به الطلبة ودرس بالشامية البرانية والظاهرية والرواحية وولي نظر ديوان الأفرم ونظر الخزانة ووكالة بيت المال وكتب في ديوان الإنشاء مدة ووقع في الدست فيما أظن

كتبه، قد قصرت أفهامهم عن إدراك معانيها، فليأتوني لأحل لهم مشكلهم، وأُبين مقاصد الشيخ محيي الدين ﷺ من تلك الكلمات والألفاظ، بحيث يظهر لهم الحق، ويزول عنهم الوهم.

وقد سبق في الباب الأول أن الشيخ كمال الدين الزملكاني ﷺ شرح كتاب **«فصوص الحكم»** شرحًا شافيًا، وبينه بيانًا كافيًا، ووجهه توجيهًا وافيًا.

وهذا الشيخ صلاح الدين الصفدي -رحمة الله عليه- له كتاب وضعه في تاريخ علماء العالم في مجلدات كثيرة[1]، لما وصل إلى حرف الميم، كيف ذكر الشيخ محيي الدين ﷺ، وكيف أثنى عليه وعلى مصنفاته، وكيف رد على الطاعنين فيه.

ثمَّ إن الشيخ محيي الدين ﷺ كان مسكنه بدمشق، بعدما طاف البلاد، وأرشد العباد، وكانت مشحونة بالعلماء الراسخين، والمتكلمين الحاذقين، والفقهاء المستنطقين،

=

وله الإنشاء الجيد ونثره خير من نظمه وله التواقيع المليحة والإنشاءات الجيدة.

ولي نظارة الخزانة ووكالة بيت المال ونظر المارستان، ودرس بالعادلية الصغرى وتربة أم الصالح، ثم بالشامية البرانية والظاهرية الجوانية والعدراوية والرواحية والمسرورية، ثم ولي قضاء حلب، ودرس بها بالسلطانية والسيفية والعصرونية والأسدية، ثم طلب إلى مصر ليشافهه السلطان بقضاء الشام، فركب البريد فمات قبل وصوله بمدينة بلبيس من اعمال مصر في ١٦ رمضان، وحمل إلى القاهرة فدفن بالقرافة جوار قبة الشافعي.

من تصانيفه: رسالة في الرد على تقي الدين ابن تيمية في مسألة الطلاق، والزيارة، شرح قطعة من المنهاج، الفتاوى، البرهان، الكاشف في إعجاز القرآن، وشرح فصوص الحكم لابن عربي.

انظر: الاسنوي: الدرر الكامنة (٤/ ٧٤ – ٧٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٢٥١، ٢٥٩) الصفدي: الوافي (٢/ ٢٥)، مرآة الجنان (٤/ ٢٧٧).

(١) انظر: الوافي بالوفيات (٢/ ١٠).

وما بلغنا أن أحدًا من علماء عصره، ولا من فقهاء دهره أنكر عليه، وكيف ينكرون عليه وهو صدرهم؟! أم كيف لا ينقادون لديه وهو ذخرهم؟!

نرجع إلى جواب شيخنا أقضى القضاة ﷺ، وقوله الفقيه: بأن كتب الشيخ محي الدين ﷺ لا يجوز ولا يحل تحصيلها ولا قراءتها و إسماعها:

هذا جهل صريح، وقول قبيح لا يمكن النطق به لمسلم، ولا يجد إذا وقف على كتب الشيخ محيي الدين ﷺ جميعها ما يخالف الكتاب والسنة، فإن كتب الشيخ محيي الدين ﷺ تزيد على خمسمائة كتاب، وقد سبق ذكر كتاب «**التفسير الكبير**» وأنه تسعة وتسعون مجلدًا بلغ فيه ﷺ إلى سورة الكهف إلى قوله: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف: ٦٥] ولم يكمل.

وكتاب «**التفسير الصغير**»، ولم يكمل في ثمانية مجلدات على طريقة المفسرين العارفين، ليس فيه شيء مما ينكر عليه.

ومنها كتاب «المعلّ على المحلّ» وهو كتاب في الفقه مختصر أبي محمد بن حزم، وهو من أحسن كتب الفقه، بديعٌ لم يصنف مثله في حسن الاختصار، وإحاطته على جميع مذاهب المجتهدين الكبار من الصاحبة والتابعين، وتبع الأتباع إلى زمانه.

وهل يجوز لمسلم أن يقول: مثل هذا الكتاب لا يحل تحصيله، ولا قراءته، ولا إسماعه؟ ومن حرم الاشتغال بعلوم الشريعة فقد كفر، أعاذنا الله من هذه الفتاوى والنصائح الفاضحة، والقبائح الواضحة، وكم للشيخ محيي الدين ﷺ من تصنيف شريف، وتأليف لطيف، في الأحاديث النبوية وغيرها، منها:

«**الرياض الفردوسية في جميع الأحاديث القدسية**» حوى فيه جميع ما روى النبي ﷺ عن الله تعالى بلا واسطة، ولم أعلم أن أحدًا اعتنى بجمعه، وظفر بحصره قبل الشيخ محيي الدين، وهل يجوز لمن شم رائحة الإسلام أن ينهي عن تحصيل مثل هذا الكتاب وقراءته وإسماعه وتحصيله وإقرائه وتعليمه إلا مشرك من أعداء الله تعالى ورسوله، أعاذنا الله تعالى من جهل الجاهلين الزائغين.

فهذا حال من قال لا يجوز ولا يحل تحصيل كتب الشيخ محيي الدين ﷺ، ولا قراءتها ولا إسماعها؛ لأنه قد سبق أن كتب الشيخ محيي الدين ﷺ تشتمل على التفسير، والأحاديث، والفقه، والأصول، وعلم الكلام، وغير ذلك من الكتب النافعة، ولم يبق إلا العلم اللدنِّي الذي لم يحيطوا به علمًا، وكفاهم بذلك فضيحة وخزيًا، حيث ذموا طريقًا ما سلكوه، وعملاً ما باشروه، فليتهم إذ لم يتحققوا سكتوا، وما نطقوا، وسلكوا طريق الهلاك، وحادوا عن سبيل النجاة، لكونهم ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [الروم:٧] وهم عن مشرب العارفين محرومون، وعن ذوق الذائقين مصروفون، وعن سلوك السالكين منقطعون، وبما لديهم من العلوم الظاهرة فرحون، فلو كانوا بالعروة الوثقى متمسكين، والسُّنة الشريفة متبعين، ولخواص جناب الله تعالى محبين، لما طعنوا في الشيخ محيي الدين، مع إجماع علماء عصره الراسخين، من الفقهاء والمتكلمين، والمشايخ والعارفين المحققين، بأنه إمام أهل التحقيق في التوحيد، فإنه في جميع العلوم الظاهرة والباطنة، الفريد والوحيد.

وقد سبق في الباب الأول ما رواه شيخنا أقضى القضاة ﷺ بإسناده المتصل عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ﷺ، وإيراد الخادم ما أورد، وجواب الشيخ ﷺ بأن ذلك مجلس الفقهاء، يريد أهل الظاهر الذين ليس لهم حظك في مقالات المحققين،

ومقابلة العارفين، ومن كان له طبع مستقيم، وعقل سليم، وشرب من العلوم اللدنِّية، والمعارف الربّانِّية شرب الهيم، علم أن مثل الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والذين عاصروه من العلماء الأعلام، والذين لا يقرون لأحد إلا بعد مشاهدة خوارق حاله، ومعاينة أقواله وأفعاله، قد كانوا للشيخ محيي الدين ﷺ مسخرين، ولأقواله وأفعاله وأحواله معترفين، ولتفخيم شأنه، وتعظيم مكانه مذعنين، أفترى أن أهل تلك البلدة العظيمة، والبقعة المباركة الكريمة، مع كثرة علمائها، وغزارة فضلائها، وطول إقامة الشيخ محيي الدين ﷺ بين أظهرهم أكثر من ثلاثين سنة، وكثرة مصنفاته المتداولة بينهم - علموا أنها باطلة وسكتوا، ولم ينفق عليه من أجل الأموال، ولما جاور بمكة -شرفها الله تعالى- كان فيها من العلماء الراسخين، والفقهاء المدققين، وجمهور المتكلمين، والمشايخ العارفين المرشدين، والأولياء الأبرار، ما لم يوجد في عصر من الأعصار، والكل كانوا له مقربين، وبفضله عليهم معترفين، وبأقواله متبركين، وعلى قراءة مصنفاته مواظبين، ومصنفاته الشريفة، ومؤلفاته المنيفة تشهد بوفور علمه، وكمال فضله.

وكان أكثر اشتغاله بمكة المشرفة في إسماع الحديث النبوي، وأكثر مصنفاته بخطه، ولما صنّف بها «**الفتوحات المكية**» من ظهر قلب، وضعها بعد ما فرغ منها أجزاء غير محيطة ولا مجلدة على سطح الكعبة، شرفها الله تعالى، ولم ينزلها إلا بعد سنة، فلم تلعب بها الرياح، ولم تبلها الأمطار، مع كثرة رياح مكة وأمطارها؛ فعند ذلك ارتفع الالتباس، وكتبها العلماء وانتشرت بين الناس، فيا ليت شعري أكان هؤلاء العلماء الذين عاصروه، وأخذوا عنه العلم مسلمين أم كانوا جاهلين؟ بل كانوا بعلمه عاملين، وبفضله مقربين، وبرجحانه عليهم معترفين، غير شرذمة من المتأخرين، المتوقفين فيه والطاعنين.

ومع ذلك فلا اعتبار لإنكار المتأخرين بعد إقرار المتقدمين، فلا وجه لعيب العائب؛ لأن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب، فلو نور الله تعالى بصائرهم، وطهر قلوبهم وسرائرهم، وأراد صلاحهم وخيرهم، لأشغلهم بإصلاح أنفسهم دون غيرهم؛ لأن من عرف نفسه[...](١) علم أن النفس منبع العيوب، ومطلع السرور، فكل خير يوجد، فهو محدث مستفاد لإعراضها عن الصلاح، وإقبالها على الفساد، فإنها خلقت ظالمة جاهلة، وإلى كل ما لا يعنيها مائلة، فإذا كان الإنسان بهذا النقصان، وأنه لا يعرف شره من خيره، فليشتغل بإصلاح نفسه دون غيره، ولله در القائل:

يَـا أَيُّهـا الرَّجُـل المُعلِّـم غَـيرَه ... هَـلاَّ يَكـونُ لنَفسِـكَ التَعلِيـمُ
ابـدَأ بِنَفسِـك فَانهَهَـا عَـن غَيِّهـا ... فَـإن انتَهـتْ عَنـهُ فَأنـتَ حَكِيـمُ
تَصِفُ الدّواءَ لِذي السِّقَام مِـن الـضَّنا ... كَـيمَا يَـصِحّ بِـهِ وأنـتَ سَـقِيمُ
لاَ تَنْـهَ عَـن خُلـقٍ وتَـأتِي مِثلَـهُ ... عَـارٌ عَليـكَ إذَا فَعلـتَ عَظِـيمُ
فَهُنـاكَ تُعـذرُ إن وَعظـتَ ويُقتَـدى ... بـالرّأيِ مِنـكَ ويُقبـلُ التَعلِـيمُ

وللمؤلف -عفا الله عنه- من جملة أبيات كتبها إلى بعض الإخوان:

إذَا شِـئتَ أن تَحيـا حَيـاةً سَـلِيمةً ... مِن المـوتِ فَاجْهـد أنْ تُـصَفى لِنَفسِك
فَـما مِـن حِجـابٍ يَمنَـعُ العَبـدَ غَيرَهـا ... فَرُضْـها تَكُـن حيًّـا الآنَ كَأمسِك
فَإن هِـي ارتَاضـت فَبُـشرى وإن أَبَـتْ ... فَـما لَـكَ مِنهـا غَـيرُ أطـوارِ حِسّك
ذَلِـكَ أدْنَـى عَـالِم المُلـكِ رُتبَـةً ... فَـلاَ تَـرض دارًا تَكُـن دارًا لحبسك

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

ولهذا لم يذكر الإنسان في القرآن، الذي لا شك فيه ولا ريب، إلا مقرونًا بالنقص والعيب كقوله تعالى: **﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾** [المعراج:١٩]، **﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾** [العاديات:٦]، **﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾** [العلق:٦]، **﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾** [العصر: ٢]، **﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾** [الإسراء:٨٣]، **﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾** [الإسراء:١١]، **﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾** [الكهف:٥٤]، **﴿يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾** [القيامة:٥].

وإذا كانت هذه صفات الإنسان بشهادة خالقه، فالأولى أن يشتغل بتصفية خلائقه، وترك علائقه.

وَيكمـــلُ النّقــصانَ مِـــن أَخْلاقِــه بِرِيَاضَـــــةٍ في نَفْـــسِه ويـــسدّدُ

فَـــالنّقصُ فِي أَصْــلِ الطّبيعــةِ كَــامِنٌ كَالنّـــارِ فِي زَنْـــدٍ وذَا لا يُجْحَـــدُ

فَـــسعَادَةُ الإنْـــسانِ إنْ سَـــبَقَتْ لَـــهُ تَلْقَـــاهُ مُـــشْتَغِلاً بِـــأَمْرٍ يُحْمَـــدُ

وَإِذَا تَقَـــدّم لامْـــرِئٍ بِـــشقَاوةٍ تَلْقَـــاهُ مَـــشْغُولاً بِـــأمْرٍ يُفْـــسِدُ

فَـــشواهِدُ الإنْـــسَانِ فِي أَحْوالِـــه وَمآلِـــه لِـــذوي البَـــصَائِرِ يـــشهدُ

مقدارُ خَرْدَلةٍ هَذا هو القَـولُ الـصّحيحُ فَكُـــنْ مُتمَـــسكًا بالـــدّليلِ المُرشـــد

بيتان من هذه الأبيات ليسا للمؤلف عفا الله عنه، والباقي له، وهما الأول والثاني.

فمن عرف نفسه والتباسها بالنقائص النفسية اشتغل بإصلاحها من عيوب البرية، ومن لم ير لنفسه نقصًا ولا عيبًا وقع في عيوب الناس ظنًّا وريبًا، وانخلع من كمال

الإنسانية، والتحق بنقصان العصبة الشيطانية، وهذا لا سبيل إلى دوائه إذا هو كلف بدائه، وللمؤلف عفا الله عنه:

إذا أحـــبّ العَليـــلُ عِلَتَـــه أضـــاعَ فِيـــه الحَكـــيمُ حِكْمَتَـــه

فَـــلا يُبَـــالغْ فِي اهتـــدَا رَجُـــلٍ أعلَمَـــــه رَبُّـــــه هِدَايتَـــــهُ

وما أحسن ما ذكر الشيخ محيي الدين ﷺ في كتابه المسمى بـ «**التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية**»، وهذا ترجمته:

التصوف -صافاك الله تعالى- أمره عجيب، وشأنه غريب، وسره لطيف، لا يمنح لكثيف، بل لصاحب عناية وتصريف، وقول حق، وقدم صدق، له أمور وأسرار غطى عليها إقرار وإنكار، وإنما سقنا هذه المقدمة توطئة لعلم التصوف على الإطلاق دون التقييد، فإن الإنكار عليه شديد، وشيطان المخالف له مريد.

فاعلم -شرح الله تعالى صدرك ونور سرك- أن مبني هذا الطريق على التسليم والتصديق، حتى قال بعض السادة القادة من أهل هذا الطريق: لا يبلغ إنسان دَرجَ الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق أنه زنديق، وانظر إلى قول الإمام زين العابدين ﷺ:

يـا رُب جَـوْهَر عَلـم لَـو أَبـوحُ بِـه لقيـلَ لِي أنـتَ مِّمـن يَعبـدُ الـوَثَنَ

وَلاسْـتَحلّ رجـالٌ مُـسلمونَ دَمِـي يَـرونَ أَقـبح مَـا يَأْتونَـه حَـسَنَا

فاشترط في إنكار هذا العلم النفيس رجالاً سماهم مسلمين، قد وقفوا مع الظن والتخمين، وكيف لا ينكر على هذا الطريق؟ وهل يبقى أثر للباطل عند ظهور التحقيق؟ فمن تكلم في غير هذا المقام فإنما يتكلم على أضغاث أحلام.

ألم تر إلى قول سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد ﷺ: إن المُحدَث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر، وشتان بين من ينطق عن نفسه ودرسه، وبين من ينطق عن ربه وكشفه، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[النجم ٣]، فإياك وطلب الدليل من خارج، فتفتقر إلى المدارج والمعارج، وأطلبه من ذاتك لذاتك، تجد الحق في ذاتك.

أرأيت لما ثبتت نبوة رسول الله ﷺ، واستقر في نفوس العقلاء أنه ﷺ ينطق عن الله تعالى لا عن هوى نفسه، كيف دخلوا في رق الانقياد والتسليم، وتصرفت عليهم وظائف التعبد والتكليف، ولم يسألوا ما الدليل، ولا ما العلة.

ولقد كان الصحابة ﷺ يسألونه عن أشياء حتى نُهوا عن ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

وإن عرض لك أيها الأخ المسترشد في هذا الطريق عارض من عدو أو صديق، وقال لك: طالبهم بالبرهان على هذا الأمر والشأن، يعني: لعلماء الطريقة ورؤساء الحقيقة، فيما يتكلمون به من المعارف الإلهية والأسرار الربانية، فأعرض عنه جانبًا، وقل له جوابًا محاورًا يلزمه بالاتفاق والإجماع: ما الدليل على حلاوة العسل ولذة الجماع؟ وخبرني عن الماهية لهذه الأشياء، فلابد أن يقول لك: هذا علم لا يحصل إلا بالذوق، فلا يدخل تحت حد، ولا يقوم عليه دليل، ثم اضرب له مثلاً آخر، وقل له: لو كان لك دار تبنيها بيدك، وما اطلع عليها أحد غيرك ففشا ذكرها، واتصل بأسماع الناس خبرها، ثم اصطفيت أحدًا من خواصك فأدخلته الدار بمرأى من الناس فشاهد ما فيها، وخرج يحدث الناس بما شاهد، فهل يصح أو يجوز لأحدٍ أن يقول له: ما الدليل على ما تذكره؟ ولو قال ذلك قائل؛ حمّقه الناس وسفهوه، فمن أحسن به الظن صدقه في قوله، ومن لم

فلا يحل له أن ينكر عليه، بل إذا أراد الوقوف على حقيقة ذلك ترغب إلى صاحب الدار ليدخله إياها فيشاهد ما شاهد.

فكذلك يا أخي هذا العلم السَنّي دار رحبٌ، وهو نتيجة التقوى، فإذا رأينا رجلاً اتقى الله ووقف عند حدوه، وقد اتصف بالصفات الحميدة، ثم نطق بعد ذلك بعلم لا تسعه عقولنا وهبه الله سبحانه إياه، فالواجب علينا التسليم والتصديق وعدم الإنكار والاعتراض؛ لأن الله تعالى يخص من يشاء من عباده بما شاء من علومه ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وما بلغنا أن الصحابة ﷺ سألوا رسول الله ﷺ: ما العلة في أن الصبح ركعتان، والظهر والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع؟ ولكن لما ثبتت عصمته، وبان صدقه انقادوا لأوامره.

فلما رأيناك تطلب الدليل والعلة ممن ورثه، ولازم التقوى التي تدل على صحة علمه كدلالة المعجزة على النبوة، علمنا أن صفة الصدق ما استقرت فيك، فإذا كنت كذلك تسلم لهم أحوالهم، ولا تشك في أقوالهم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] عسى الله أن يفتح لك بابًا من عنده.

ولا تنكر عليهم النطق بالغيب، مع إيمانك بالمثل المحسوس الذي نصبه الله تعالى لك، وذلك أن المرآة إذا صقلت وزال عنها الصدأ، أليس تتجلى فيها صورة الناظر إليها حسنًا أم قبيحًا، فإن جاء أحد خلفه تجلت صورته في المرآة، فعندما نظر إليها والحاضرون معه قال: خلفي إنسان، أو شيء على صورة كذا وكذا حتى يستوفي ما رأى، وهو لم يره بعينه الرؤية المعهودة، والتصديق بهذا واجب؛ فإنه محسوس، والمعقول نظير المحسوس، فكذلك الإنسان إذا عمد إلى مرآة قلبه فجلاها بالرياضات والمجاهدات أظهر فيها المغيبات من المعقولات والمكاشفات فنطق بما شاهد، ووصف ما رأى.

فيا ليت شعري طالب الدليل على هذا العلم هل أحاط علمه بجميع معاني الكتاب والسُّنة، حتى يقال له: هو من كذا على حالة دليل العقل.

فغاية العاقل الذي حصل له عقل التكليف ووقف عند أحكامه من واجب وجائز ومستحيل: أن يجعل ما نطق به هذا الصوفي من قبيل الجائز؛ لأنه ما أتى بشيء يهدم ركنًا من أركان الشريعة، ولا من أركان التوحيد، ولا قضيته من قضايا العقل، فالمنكر إنما حرم نفسه حيث صَوَّر صورة من نفسه واتصف بها، وهو الإنكار الناشئ منه الراجع عليه، والصوفي منـزه عما نسب إليه.

ونختم الرسالة بهذه الحكاية، وذلك أن قرة عين العارفين، وثمرة فؤاد العاشقين، رئيس هذا الشأن الشيخ قضيب البان الموصلي [........][1] عليه في الاستغراق.

[.......][2] عليه كنت عند الأستار.... شارح التنبيه القاضي [ابن الزملكاني][3] سلَّمه الله.

فقدم الموَصل فذكر أصحابُ قضيب البان ووقعوا فيه، ووافقهم القاضي كمال الدين، فبينما هم يخوضون فيه ويتناولونه إذ دخل عليهم قضيب البان ﷺ، فبهتوا، وسقط ما في أيديهم، فألتفت إلى القاضي كمال الدين، وقال له: يا ابن يونس أنت تعلم كل ما يعلمه الله تعالى؟

(١) كلمات غير واضحة بالأصل.

(٢) بياض بالأصل.

(٣) بياض بالأصل.

قال: لا، قال: فإن كنت أنا من ذلك العلم الذي لا تعلمه؟

فانقطع القاضي كمال الدين، ولم يدر ما يقول، فانكب على أقدام قضيب البان يقبلها ويبكي، ويقول: اعف عني، فعفا عنه.

فطوبى لعبدٍ أقبل على الاجتهاد، والاستعداد بالزاد، ليوم المعاد، واشتغل بعيبه عن الناس، فدخل في قوله ﷺ: «**أولئك الأكياس**»(١)، والحمد لله، وسلام على عباده الذي اصطفى، وآله أهل الصدق والصفا.

هذا الدر الثمين في محاسن الشيخ محيي الدين ﷺ، تأليف الشيخ الكامل المكمّل، العالم الفاضل المفضّل الأفضل، قدوة المحققين، سراج العابدين والزاهدين، شيخ شيوخ العارفين المحققين، قرة عين الصالحين، مفتاح معالم البداية، وشرح صدور سر الهداية، كشّاف المعضلات، حلال رموز المعاني المشكلات، الشيخ المرشد أبي الحسن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن يوسف القارئ البغدادي، نور الله ضريحه، ووالى من الرحمة فتوحه، آمين.

وصلاته وسلامه على رسوله سيدنا محمد ﷺ وآله، النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، ورضي الله عن الصحابة أجمعين

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٣)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٣٥).

ترجمة الشيخ الأكبر

سيدي محيي الدين بن عربي

سيدي محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي

المتوفى ١٢٧٤ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

من علماء الأزهر الشريف

ترجمة الشيخ الكتاني

هو إمام العلماء العاملين، وقطب الأقطاب العارفين، ولي الله سيدي محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، أبو عبد الله، صاحب التصانيف النافعة، والفوائد اليانعة.

ولد رحمه الله بفاس (سنة ١٢٧٤ هـ - ١٨٥٧م) ووفاته بفاس به في ١٦ رمضان (سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م).

رحل إلى الحجاز مرتين ، وهاجر بأهله إلى المدينة سنة (١٣٣٢ هـ)، فأقام إلى سنة (١٣٣٨ هـ) وانتقل إلى دمشق فسكنها إلى سنة (١٣٤٥ هـ) وعاد إلى المغرب، فتوفي في بلده.

مصنفاته:

له نحو ٦٠ كتابا ، منها:

١- نظم المتناثر في الحديث المتواتر

٢- الدعامة في أحكام العمامة .

٣- الرسالة المستطرفة .

٤- المولد النبوي .

٥- سلوة الأنفاس في تراجم علماء فاس وصلحائها ، ثلاثة أجزاء .

٦- الأزهار العاطرة الأنفاس في سيرة السيد إدريس .

٧- النبذة اليسيرة النافعة في تراجم رجال الأسرة الكتانية ، ختمه بترجمة لنفسه ذكر بها تآليفه ومشايخه وبعض ذكرياته.

٨- الرحلة السامية إلى الأسكندرية ومصر و الحجاز والبلاد الشامية.

٩- جلاء القلوب من الأصداء الغينية في ببيان إحاطته -عليه الصلاة والسلام- بالعلوم الكونية (بتحقيقنا) (١).

---

(١) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (٩/ ١٥٠)، فهرس الفهارس (١/ ٣٨٨)، وشجرة النور الزكية (٤٣٦)، والحجوي (١٤)، ومعجم المطبوعات (١٥٤٥)، ومعجم الشيوخ (١/ ٧٧ - ٨٢).



قال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في جلاء القلوب من الأصداء الغينية ما نصه:

وأما الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ذو المحاسن التي تأخذ القلوب وتبهر، العالم العادل، القدوة الكامل، إمام الواصلين، قرة عيون الكاملين، فخر الأولياء والأقطاب العارفين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، قطب دائرة المحققين، صفوة الصفوة من المقربين، ذو المقامات الفاخرة والكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة، سلطان أهل الحقيقة على الإطلاق، وشيخ مشايخ أهل المعرفة بالاتفاق، وكاشف الأسرار الإلهية، الموصوف بختم الولاية الجامعة المحمدية، الذي قيل فيه: إنه لا تسمع بمثله الدهور والإعصار، ولا يأتي بقرينه الفلك الدوار، الوارث المحمدي محيي الملة والحق والدين: أبو بكر وأبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن العربي -بالألف واللام- على ما وجد بخطه، وهو الموجود في عدة نسخ من فتوحاته وبخط جماعة من العلماء[1]، وذكر جماعة آخرون منهم صاحب القاموس: أن القاضي أبا بكر المالكي وهو محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي دفين فاس وصاحب التصانيف

(١) **قلت**: والنسخة المطبوعة بدار صادر قوبلت على نسخة عليها أختام الشيخ محي الدين قدس سره وهي من محفوظات المتحف البريطاني، وعمن قريب يصدر مختصر الفتوحات للشيخ الشعراني -بتحقيقنا- وقد اختصرها من نسخة الشيخ محيي الدين قدس سره، وإنه من المطبوع والمخطوط ما هو محرف ومدخل عليه ما يتبرأ الشيخ منه.

المشهورة التي منها عارضة الأحوذي في شرح الترمذي يقال معرفًا بالألف واللام، وأن محيي الدين هذا يقال منكَّرا بلا لام، وهو اصطلاح اصطلح عليه الكثير وتداولوه، وسمع أيضًا من أفواه الثقات، وكأنه للتفرقة بينهما، حتى لا يلتبس أحدهما بالآخر.

وفي «نفح الطيب» كان في المغرب يعرف بابن العربي بالألف واللام، واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقًا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي انتهى.

وكأنهم عرَّفوا الثاني لمناسبة كونه ظاهريًا أي: يميل إلى ظاهر الشريعة، قال: والظاهر معروف.

ونكروا الأول لمناسبة كونه باطنيًا أي: يميل إلى باطن الشريعة، وهو الحقيقة، والباطن غير مألوف.

الطائي نسبًا، من ذرية عبد الله بن حاتم الطائي أخي عدي بن حاتم، وأما عدي فلم يعقب، الظاهري مع الاجتهاد في شيء من الفروع مذهبًا وتعبدًا، الصوفي مشربًا وأدبًا، الأندلسي إقليمًا، المرسي[٢] مولدًا، الدمشقي دارا ووفاة ومزارا، فإني اقتبست كثيرًا من فتوحاته البهية، وتحليت بها ما أمكنني من فصوصه الشهية اللذين هما من آخر ما ألف، ولفضلهما تأنس بمطالعتهما والاقتباس من أنوارهما كل من له ذوق وتألف.

وقد علم من هذا أنه ﷺ من أهل الأندلس الذين هم من أهل المغرب الأقصى في الفضائل المعروفة ظاهرًا ونصًّا.

---

(٢) قال في شذرات الذهب (٣/ ١٩٠) ولد بمرسية سنة ستين وخمسمائة ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية سنة ثمان وسبعين.

وقد أقام بفاس مدة، ولقي بها من الأفاضل عدة، وكان له بها مسجد بعين الخيل منها يؤم فيه، ولا زال كثير من أهل الخير إلى الآن يقصده يتبرك به وينتحيه، وهذا المغرب الأقصى وخصوصا منه فاسًا ونواحيها هو الذي خرجت منه الأولياء الجماهير، والكبار المشاهير، كالشيخ الأكبر هذا، وكالإمام الشهير أبي عبد الله: محمد بن سليمان الجزولي مؤلف «دلائل الخيرات» والشيخ أبي الحسن الشاذلي شيخ الطريقة الشاذلية المشهورة شرقًا وغربًا، والقطب سيدي أحمد البدوي دفين طنطا، والقطب الغوث سيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ، والغوث الذي مكث جل عمره في الغوثانية سيدي علي الجمل، وتلميذه مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي شيخ الطريقة الشاذلية الدرقاوية وإمامها، والقطب سيدي أحمد بن إدريس العرائشي المشهور باليمن، صاحب الأحزاب والصلوات، والذي تفرعت عنه طرائق مختلفات، وغيرهم ممن يكثر جدًا، ولكنه هاجر الكثير منهم إلى البلاد المشرقية ليعم النفع بهم سائر البرية، ولأنها منبع الأنوار والحقائق بحلول سيد السادات بها وخير الخلائق ﷺ وفي ذلك يقول صاحب الترجمة ﷺ:

رأى البرق شرقيًا فحنَّ إلى الشرق ... ولو لاح غربيا لحنَّ إلى الغرب
إن غرامي بالبريق ولمعه ... وليس غرامي بالأماكن والترب

ولد ﷺ ليلة الاثنين سابع رمضان المعظم سنة ستين وخمسمائة بمرسية، ثم انتقل منها لأشبيلية وللمرية، وطاف وجال في البلاد المغربية، وكتب لبعض الولاة بالأندلس، ثم ترك ذلك وخرج تائها في البراري إلى أن نزل في قبر فمكث فيه أيامًا، ثم خرج يتكلم بهذه العلوم التي نقلت عنه، ولم يزل سائحًا في كل بلد بحسب اللذة، ثم رحل منها، ويخلف ما ألفه من الكتب فيها، وارتحل إلى المشرق حاجًا فحج وزار، وأقام

بالحجاز مدة، ودخل مصر وبغداد والموصل وبلاد الروم وسكنها مدة، ولقي جماعة من العلماء والصلحاء وجهابذة الحديث، وأخذ عنهم وأجازوه، ولقيه هو جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه، وكان آية من آيات الله علمًا وعملًا ودينًا، وتقى وزهدًا وتوكلًا ويقينًا، وكان أعلم زمانه بحيث إنه كان في كل فن متبوعًا لا تابعًا لأحد من أقرانه، وكان في الكشف والتصوف والتحقيق بحر لا يجاري وإمامًا لا يغالط ولا يباري متضلعًا بالحقيقة والشريعة، متمسكًا منهما بأقوى ذريعة، وله في التوحيد القدم الراسخة، وفي العلوم اللدنية والمعارف الإلهية الذروة الشامخة، محيط بها في الكتاب والسنة من العلوم، مستنبطًا منهما ما تقف دون إدراكه أقدام الفهوم، متصفًا بالولاية العظمى والصديقية الكبرى، وما له من المناقب والكرامات ما لا تحصره مجلدات.

وقد ذكر الشيخ أبو عبد الله القوري والشيخ أبو العباس زروق وغيرهما من الفحول العارفين بالفروع والأصول: أنه كان أعرف بكل فن من أهله وذويه، وأتقن في كل علم ممن يحاوله وينتقيه.

قال الشيخ عبد الرءوف المناوي في «الكواكب الدرية»: وإذا أطلق الشيخ الأكبر في عُرْف القوم فهو المراد، هو في كلام بعضهم أنه أعطي نواطق أكثر أهل القرب والوداد، ووصل في العلوم كلها إلى مرتبة الاجتهاد، وسبب فتحه ومنة الله عليه كان بمحاماته لفقراء الصوفية ومدافعته عنهم وانتصاره لهم كما في كتابه روح القدس في ترجمة شيخه أبي محمد المروزي: ولم أزل أبدا والحمد لله أجاهد الفقهاء في حق الفقراء السادة حق الجهاد، وأذب عنهم وأحمي وبهذا فتح لي ومن تعرض لذمهم والأخذ فيهم على التعيين، وحمل من لم يعاشر على من عاشر، فإنه لا خفاء لجهله ولا يفلح أبدًا.

وقال في كتابه «شرح الوصية اليوسفية[1]»: ولقد رأيت - والله أعلم - رسول الله ﷺ في النوم أو بعض المعصومين فقال: أتدري بم نلتَ ما نلتَ من الله تعالى؟ قلت: لا. قال: باحترامك من يدعي أنه من أهل الله سواء كان ذلك في نفس الأمر كما ادعاه أم لا، فراعى الله تعالى لك ذلك وشكره منك، فأعطاك ما قد علمت.

ومن شيوخه وعمده في الطريق الشيخ أبو جعفر العريني لقيه بأشبيلية في أول دخوله في طريق القوم، وكان الشيخ أبو جعفر هذا بدويًا أميًا لا يحسب ولا يكتب، وإذا تكلم في علم التوحيد، فحسبك أن تسمع.

ومنهم الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكوفي العبسي من أصحاب شيخ المشايخ وسيد العارفين وقدوة السالكين أبي مدين شعيب بن الحسين المغربي البجادي دفين عباد تلمسان، ولسان هذه الطريق ومحييها ببلاد المغرب.

قال الشيخ: دخلت تحت أمره فربى وأدب، فنعم المؤدب ونعم المربي، وقال: وسمعته يقول: إذا شاء الشيخ أخذ بيد المريد من أسفل سافلين وألقاه في عليين في لحظة واحدة.

قال: وجل ما أنا فيه من بركته وبركة أبي محمد المروزي يعني عبد الله ابن الأستاذ المروزي من أصحاب الشيخ أبي مدين أيضًا وأشياخ صاحب الترجمة.

قال ﷺ: عاشرته معاشرة انتفعت به، وأطلعني الله ليلة على المقامات ومشي بي عليها حتى وصلت مقام التوكل، فرأيت شيخنا عبد الله المروزي في وسط ذلك المقام، والمقام يدور عليه كدوران الرحى على قطبها وهو ثابت لا يتـزلزل فكتبت له بذلك.

---

(١) وهو أيضاً: شرح روحانية الشيخ علي الكردي، تحت الطبع ضمن رسائل للشيخ، بتحقيقنا.

ومنهم الشيخ سيدي أبو مدين المذكور، فإنه ﷺ كان معاصرًا له في حياته بأشبيلية، والشيخ أبو مدين ببجاية وبينهما مسيرة خمسة وأربعين يومًا، وكان يريد الرحلة إليه شديد الرغبة في لقائه، ويتمني أن يجتمع به وقد سكن أبو مدين إذ ذاك عن الحركة فأتاه غيبًا وأمده بروحانيته، فاكتفى بذلك عن رؤية الحس ومصاحبته وصار يحليه بشيخنا وبسيدنا وبخلاصة الأبرار، ويذكر أحواله ومآثره، ويعظمه كثيرًا ويحتج بكلامه، وقد لقي كثيرًا من أصحابه، وأخذ من أخباره عنهم ما تضيق به العبارة.

وأرسل الشيخ سيدي أبو مدين مع بعضهم وهو الشيخ أبو عمران موسى السدراتي -وكان من الأبدال- يقول له: أما الاجتماع بالأرواح فقد صح بيني وبينك وثبت، وأما الاجتماع بالأجسام في هذه الدار فقد أبى الله ذلك، فسكن خاطري والموعد بيني وبينك عند الله في مستقر رحمته، ذكر ذلك الشيخ في رسالته روح القدس.

والشيوخ الذين لقيهم وأخذ عنهم وانتفع بهم كثيرون، وقد صرح بذكر الكثير منهم في بعض كتبه كـ «الفتوحات»، ورسالة «روح القدس» وألف فيهم كتابًا سماه «الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة».

ومن أسباب فتحه أيضًا دخول الخلوة، قال العارف بالله القطب سيدي عبد الوهاب بن أحمد الشعراني في كتابه الذي سماه بـ «الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم»، وهو كتاب ذكر فيه من علوم القرآن العظيم نحو ثلاثة آلاف علم.

قال في كتابه «الميزان»: لا مرقى لأحد من طلبة العلم الآن فيما نعلم إلى التسلق أي: التسور إلى معرفة علم واحد منها بفكر وإمعان نظر في كتاب، وإنما طريقنا الكشف الصحيح انتهى من نصه.

ومنها - يعني من علوم الخلوة - أن يفتح عليه - أي: على المختلي - بما شاء من نواطق الأولياء كما وقع لأخي الشيخ أبي العباس الحريثي والشيخ عمر البجائي ففتح على الأول بناطقة الشيخ عبد القادر الجيلي وفتح على الثاني بناطقة أبي الحسن الشاذلي وسيدي علي بن وفا، ولم يكن يعهد منهما قبل الخلوة شيء من ذلك، وكانت خلوة أبي العباس أربعين يومًا، وخلوة الشيخ عمر البجائي سبعة أيام كما أخبراني بذلك.

وأكمل من بلغني أنه أعطي نواطق غالب الصوفية الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ وكانت خلوته ثلاثة أيام بلياليها في قبر مندرس، ثم خرج بهذه العلوم التي انتشرت عنه في أقطار الأرض، وكان موقعًا يعني كاتب إنشاء عند بعض ملوك المغرب، ولم يكن يعهد منه علم واحد مما أبداه في كتبه قبل تلك الخلوة، كما ذكره الشيخ عز الدين ابن جماعة، والشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب «القاموس» ﷺ انتهى.

ويقال: إنه ﷺ أول من بسط الكلام في الحقائق الإلهيات والمعارف الربانيات، وصنف الكتب الكثيرة في هذا الشأن تنشيطًا وتمثيلًا على أهل السلوك في طريق العرفان، وكلامه أول دليل على مقامه الباطن.

وقد أخبر حسبما في «فتوحاته» وهو الصادق أنه دخل مقام القربة وتحقق به، وذلك في شهر محرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة، ومقام القربة هذا بين الصديقية والنبوة، وهو مقام الخضر ﷺ كما يأتي.

وقال في الباب الحادي عشر وثلاثمائة: ما أعرف اليوم في علمي من تحقق بمقام العبودية أكثر مني وإن كان ثم فهو مثلي فإني بلغت من العبودية غايتها، فأنا العبد المحض الخالص لا أعرف للربوبية طعمًا. انتهى.

وذكر في الباب السادس والثلاثين: أن بدايته كانت عيسوية، ثم نقل إلى الفتح الموسوي الشمسي ثم إلى هود، ثم إلى جميع النبيين، ثم إلى محمد ﷺ.

وفي الباب الثالث والستين وأربعمائة: أنه رأى جميع الرسل والأنبياء كلهم مشاهدة عين، ورأى المؤمنين كلهم مشاهدة عين أيضًا، من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة، وصاحب من الرسل وانتفع به سوى محمد ﷺ جماعة منهم إبراهيم الخليل عليه السلام قرأ عليه القرآن، وعيسى تاب على يديه، وموسى أعطاه علم الكشف والإيضاح وعلم تقليب الليل والنهار، وهود سأله عن مسألة فعرفه بها، فوقعت في الوجود كما عرفه، وعاشر من الرسل محمدًا ﷺ وإبراهيم وموسى وعيسى وهود أو داود، وما بقي فرؤية لا صحبة.

وقال أيضًا في الكلام على حضرة الجمال من الباب الثامن والخمسين وخمسمائة: وهنا سر نبوي إلهي خصصت به من حضرة النبوة مع كوني لست بنبي وإني لوارث ثم أنشد:

إني خصصت بسر ليس	إلا أنا والذي في الشرع نتبعه
ذاك النبي رسول الله خير	لله نتبعه فيما يشرعه

وقال في الباب السادس والعشرين وخمسمائة: وقد ذكر كتابه مواقع النجوم الذي ألفه، وهو في المرية بلاد الأندلس ما نصه[1]: وهو كتاب يقوم للطالب مقام الشيخ يأخذ بيده كلما عثر المريد ويهديه إلى المعرفة إذا هو ضل وتاه به. انتهى المراد منه.

وذكر الشعراني في «الأجوبة المرضية» عنه أنه قال في باب الحج من الفتوحات المكية: إن الكعبة كلمته وكذلك الحجر الأسود، وأنها طافت به ثم تلمذت له، وطلبت منه ترقيتها إلى مقامات في طريق القوم فرقي بها؟ وناشدها أشعارًا وناشدته.

وقال تلميذه القونوى:كان شيخنا ابن عربي متمكنا من الاجتماع بروح من شاء من الأنبياء والأولياء الماضين على ثلاثة أنحاء: إن شاء استنـزل روحانيته في هذا العالم، وأدركه مجسدًا في صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العنصرية التي كانت له في حياته الدنيوية، وإن شاء أحضره في نومه، وإن شاء انسلخ من هيكله واجتمع به، وهذا معدود من كراماته ﷺ.

وقد أشار في غير ما كتاب من كتبه نظمًا ونثرًا إلى أنه خاتم الولاية المحمدية الخاصة، وأقر ذلك عليه غير واحد من العارفين كسيدي علي الخواص وغيره كما يأتي وفي ذلك يقول:

بنا ختم الله الولايـة فانتهـت ... إلينا فلا ختـم يكون من بعدي
ومـــا فــاز بــالإرث الــذي ... مــن أمتــه في الكــون إلا أنــا

وعندما تحقق بمظهرية الذات والأسماء والصفات وصار خليفة الله في خلقه أنشد لنفسه:

---

(١) انظره فيه: (ص٧).

في كل عصر واحد يسمو به وأنا لباقي العصر ذاك الواحد

ومن نظمه ﷺ:

خصصت بعلم لم يخص بمثله سواي من الرحمن ذي العرش
وأشهدت من علم الغيوب تصان عن التذكار في عالم الحس
فيا عجبا إني أروح وأغتدي غريبًا وحيدًا في الوجود بلا جنس
لقد أنكر الأقوام قولي وشنعوا علي بعلم لا ألوم به نفسي
فلا هم مع الأحياء في نور ما أرى ولا هم مع الأموات في ظلمة
فسبحان من أحيا الفؤاد بنوره وأفقدهم نور الهداية بالطمس
علوم لنا في عالم الكون قد سرت من المغرب الأقصى إلى مطلع
تجلى بها من كان عقلًا مجردًا عن الفكر والتخمين والظن
وأصبحت في بيضاء مثلي نقية إمامًا وإن الناس فيها لفي لبس

ومن نظمه أيضًا:

أنا المختار لا المختار غيري على علم من اتباع الرسول
ودنت الهاشمي أخا قريش بأوضح ما يكون من الدليل
أبايعه على الإسلام كشفًا وإيمانًا لألحق بالرعيل
أقدم به وعنه إليه حتى أبينه لأبناء السبيل

وقد كان بعض الأولياء من أهل المعرفة الإلهية يقول: أعطي الشيخ الأكبر التفصيل ونحن أعطينا التفصيل والإجمال، فظن بعض الناس من هذا أن هذه زيادة على الشيخ الأكبر.

قال بعضهم: وأنا أقول ليس الأمر كذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تفصيلًا﴾ [الإسراء:١٢] فعلم الله كله مفصل ويستحيل عليه

الإجمال، والشيخ الأكبر كان كلما وجد الحق فصيرته إلى شيء أدركه تفصيلًا من غير إجمال، وهذا العارف كان العلم الذي يلقي إليه فيه التفصيل والإجمال، فكان مقام الشيخ أعلى.

ومن كراماته ﷺ:

ما حكاه صاحب «القاموس» في جواب له من أنه لما فرغ من تصنيف «الفتوحات المكية» وضعها على ظهر الكعبة ورقًا مفرقًا من غير وقاية عليه، فمكث على ظهرها سنة، ثم أنزلها فوجدها كما وضعها ولم يمسسها مطر، ولا أخذ منها الريح ورقة واحدة مع كثرة الرياح والأمطار وهذا من أعظم الكرامات وأكبر الآيات وهو مما يدل على إخلاصه في تأليفها، وأنه بريء مما نسب إليه في تصنيفها، وما أذن للناس في كتابتها وقراءتها إلا بعد ذلك.

ومنها أيضًا: ما حكي عنه من أنه مكث مرة ثلاثة أشهر على شيء واحد، وأنه اقتات من أول المحرم إلى عيد الفطر بلوزة واحدة.

ومنها: ما حكاه الشعراني في «طبقاته»[1] من أن شخصًا من المنكرين عليه أتى بعد صلاة العشاء بنار يريد أن يحرق بها تابوته، فخسف به دون القبر بتسعة أذرع، وغاب في الأرض، فلما علم أهله بالقصة جاءوا وحضروا فوجدوا رأسه، فلما حفروا نـزل وغار في الأرض إلى أن عجزوا وردموا عليه التراب.

وكراماته ومناقبه لا تحصرها مجلدات.

---

(١) انظره فيه: (١/ ١٦٥).

ومما اتفق له أنه لما أقام ببلاد الروم أمر له ملكها بدار تساوي مائة ألف درهم، فلما نـزل بها وأقام بها مر به في بعض الأيام سائل، فقال له: شيء لله، فقال: ما لي غير هذه الدار، خذها لك، فتسلمها السائل وصارت له.

ولما حلَّ دمشق حصلت له بها دنيا كثيرة، فما ادخر منها شيئًا.

وقيل: إن صاحب حمص رتب له كل يوم مائة درهم، والقاضي ابن الزكي كل يوم ثلاثين درهمًا، فكان يتصدق بالجميع، وكان يقول: أعرف اسم الله الأعظم، وأعرف الكيمياء والسيمياء بطريق التنازل، لا بطريق التكسب.

وحكى الشيخ عبد الغفار القوصي في كتاب «**الوحيد في أخبار أهل التوحيد**»[1] قال: حدثنا الشيخ عبد العزيز المنوفي عن خادم الشيخ محيي الدين بن عربي -قدس الله سره- قال: كان الشيخ يمشي وإنسان يسبه وهو ساكت لا يرد عليه، فقلت يا سيدي ما تنظر إلى هذا؟ قال: ولمن يقول؟ قلت: يقول لك؟ فقال: ما يسبني أنا، قلت: كيف؟ قال: تصورت له صفات ذميمة وهو يسب تلك الصفات، وما أنا موصوف بها انتهى.

وهذه فضيلة تدل على غاية الفضل والكمال، وهي شبيهة بما ورد في حديث أبي هريرة من قوله ﷺ: «**أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ**»[2] رواه الحميدي في كتاب «**الجمع بين الصحيحين**» من طريق سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

---

(١) في (١/١٨٠) بتحقيقنا-طبع دارة الكرز-مصر.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٣).

وقد ترجمه غير واحد ممن عاصره أو تأخر عنه من الكبار، كالشيخ الإمام العارف بالله أستاذ الحقيقة وشيخ الطريقة صفي الدين حسين بن على بن أبي المنصور الأزدي الأنصاري في رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره، قال فيها: «رأيت في دمشق الشيخ الإمام الوحيد العالم العامل محيي الدين ابن عربي، وكان من أكبر علماء الطريق، جمع بين سائر العلوم الكسبية وما وقر له من العلوم الوهبية، ومنـزلته شهيرة، وتصانيفه كثيرة، وكان غلب عليه التوحيد علمًا وخلقًا وحالًا، لا يكترث بالوجود مقبلًا كان أو معرضًا، وله أتباع علماء أرباب تواجيد وتصانيف، وكان بينه وبين سيدي أبي العباس الحذاء إخاء ورفقة في السياحات».

والشيخ الحافظ محب الدين ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد، وقال فيه: «كانت رحلته إلى المشرق، وألف في التصوف وفي التفسير وغير ذلك تواليف لا يأخذها الحصر، وله سعة وتصرف في الفنون من العلم وتقدم في الكلام والتصوف».

وقال أيضًا: «صحب الصوفية وأرباب القلوب، وسلك طريق القوم، وحج وجاور، وصنف وكتب في علم القوم وفي أخبارهم، وفي أخبار مشايخ المغرب وزهادهم، وله أشعار حسنة وكلام مليح، اجتمعت به في دمشق في رحلتي إليها، وكتبت عنه شيئًا من شعره، ونعم الشيخ».

والشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه الجليل الذي وضعه في تاريخ علماء العالم، وهو في مجلدات كثيرة، وقال الشعراني في كتابه «اليواقيت والجواهر»: ممن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في «تاريخ علماء العصر» وقال: من أراد أن ينظر إلى كلام أهل العلوم اللدنية فلينظر في كتب الشيخ محيي الدين، انتهى.

والشيخ الإمام شمس الدين محمد بن مسدي في معجمه البديع المحتوي على ثلاث مجلدات، فإنه ترجمه فيه ترجمة عظيمة مطولة، ومن جملتها قوله: وكان يلقب القشيري لقب غلب عليه، لما كان يشتهر به من التصوف، وكان جميل الجملة والتفصيل محصلًا لفنون العلم أتم تحصيل، وله في الأدب الشأن الذي لا يلحق، والتقدم الذي لا يسبق.

وقوله أيضًا: وكان ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات، خاض بحار تلك العبارات، وتحقق بمحيا تلك الإشارات، وتصانيفه تشهد له عند أولي النظر بالتقدم والإقدام، ومواقف النهايات في مزالق الأقدام، ولهذا ما ارتبت في أمره، والله تعالى أعلم بسره، انتهى.

والشيخ العلامة فريد زمانه ونادرة أوانه أبي العباس أحمد المقري وذلك في كتابه الذي سماه: «**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**[1]» فإنه ترجمه فيه ترجمة حسنة طويلة، ونقل فيها كلام غير واحد ممن ترجمه، قال: «وقد زرت قبره وتبركت به مرارًا، ورأيت لوائح الأنوار عليه ظاهرة، ولا يجيد منصف محيد الإنكار ما يشاهد عند قبره من الأحوال الباهرة».

وغيرهم ممن يكثر جدًّا من أهل المشرق والمغرب، ووصفه الكثير منهم بالولاية الكبري والصلاح والعرفان والعلم والأدب وعزة الشأن.

(١) انظر: نفح الطيب (٢/١٧٦).

وفي «لسان الميزان[1]» للحافظ قال: قد اعتد بالمحتج ابن عربي أهل عصره، فذكره ابن النجار في «تاريخ بغداد» وابن نقطة في «تكملة الإكمال»، وابن العديم في «تاريخ حلب» والزكي المنذري في «الوفيات» راجع كلامه.

وقد ذكر بعضهم أن شيخه الشيخ سيدي أبا مدين ﷺ كان يلقبه بسلطان العارفين، ويسميه بالشيخ الأكبر.

وسئل عنه الإمام القطب سعد الدين الحموي حين رجع من الشام إلى بلده: كيف وجدت ابن عربي؟ فقال: وجدته في العلم والزهد والمعارف بحرًا زاخرًا لا ساحل له.

وحكي اليافعي في كتاب «الإرشاد» أن الشيخ ﷺ اجتمع مع الشهاب السهروردي فأطرق كل منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام، فقيل للشيخ: ما تقول في السهروردي؟ فقال: مملؤ سُنّة من قرنه إلى قدمه.

وقيل للسهروردي: ما تقول في الشيخ محيي الدين؟ فقال: بحر الحقائق.

وكان الشيخ كمال الدين الزملكاني من أجل مشايخ الشام يقول: هو البحر الزاخر في المعارف الإلهية، ويقول: ما أجهل هؤلاء ينكرون على الشيخ محيي الدين ابن عربي من أجل كلمات وألفاظ وقعت في كتبه، قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها فليأتوني لأحل لهم مشكلاتها، وأبين لهم مقاصدها بحيث يظهر لهم الحق، ويزول عنهم الوهم.

---

(١) انظره فيه: (٥/ ٣١٢).

وكان الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء يحط عليه كثيرًا، ويقول: إنه زنديق، فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي وعرف أحوال القوم وطريقهم صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطبية، حتى أنه سئل مرة عن القطب الفرد الغوث في زمانه، فتبسم وقال: الشيخ محيي الدين ابن عربي.

ورفع سؤال في شأنه وفي شأن الكتب المنسوبة إليه كـ «الفتوحات» و«الفصوص» هل تحل قراءتها وإقراؤها ومطالعتها إلى الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي الصديقي صاحب «القاموس» في اللغة فقال في جوابه وأنصف: الحمد لله، اللهم أنطقنا بما فيه رضاك، الذي أعتقده في حال المسئول عنه وأدين الله به أنه كان شيخ الطريقة حالًا وعلمًا، وإمام الحقيقة حقيقة ورسمًا، ومحيي رسوم المعارف فعلًا واسمًا:

إذا تغلغل فكر المرء في طرف من علمه غرقت فيه خواطره[1]

عباب لا تكدره الدلاء، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء، كانت دعوته تخترق السبع الطباق، وتفرق بركاته فتملأ الآفاق، وإني أصفه وهو يقينًا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظني أني ما أنصفته:

وما عاش إذا ما قلت معتقدي	دع الجهول يظن الحق عدوانا
والله والله والله العظيم ومن	أقامه حجة الدين برهانا
إن الذي قلت بعض من مناقبه	ما زدت إلا لعلي زدت نقصانا

(١) البيت قائله المتنبي كما في ديوانه (ص١٢٠) وهو من بحر البسيط.

قال: وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر التي جواهرها وكثرتها لا يعرف لها أول ولا آخر، ما وضع الواضعون مثله، وإنما خص الله بمعرفة قدرها أهلها.

ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها، والتأمل لمبانيها انشرح صدره لحل المشكلات وفك المعضلات.

قال: وهذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس من خصه الله بالعلوم اللدنية الربانية. راجع كلامه، وراجع أيضًا رسالته التي خاطب بها سلطان زمانه، وهي التي سماها «بالاغتباط بمعالجة ابن الخياط» وهو رجل من أهل اليمن اسمه: رضا الدين أبو بكر الخياط، عرضت عليه فتوى مجد الدين المذكور، فعارضها وخالفها، وكتب مسائل في درج مشتملة على عقائد زائغة ومسائل خارقة للإجماع، ونسبها للشيخ ﷺ وأرسل إلى العلماء ببلاد الإسلام يسألهم عنها، وكتب ذلك في كتاب، فانتدب المجد لرد كلامه في هذا الكتاب، وأطال في ذكر مناقب الشيخ ﷺ وللمحقق المدقق العالم العامل شيخ الإسلام أحمد بن سليمان ابن كمال باشا مفتي الدولة العثمانية فتوى أبدع فيها في مدحه ووصفه، ثم قال بعد ذلك: وله مصنفات كثيرة منها فصوص حكمية وفتوحات مكية، بعض مسائلها مفهوم النص والمعنى وموافق للأمر الإلهي والشرع النبوي وبعضها خفي عن إدراك أهل الظاهر دون أهل الكشف والباطن، ومن لم يطلع على المعنى المرام يجب عليه السكوت في هذا المقام لقوله تعالى: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾** [الإسراء: ٣٦].

وكان قاضي القضاة الشافعية في عصره الشيخ شمس الدين الخزرجي يخدمه خدمة العبيد.

وقاضي القضاة المالكية زوجه بابنته، وترك القضاء وتبع طريقته بنظرة وقعت عليه منه.

وكان الشيخ مؤيد الدين الجندي يقول: ما سمعنا بأحد من أهل الطريق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محيي الدين.

وكذلك كان يقول الشيخ العارف صاحب «عوارف المعارف» المجمع على إمامته في العلوم الظاهرة والباطنة شهاب الدين السهروردي، وكذا الشيخ كمال الدين الكاشي وقال فيه: إنه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات.

وكان الشيخ محمد المغربي الشاذلي شيخ السيوطي يترجمه بأنه مربي العارفين، كما أن الجنيد مربي المريدين ويثني عليه بغير هذا من الكلام.

وممن أثنى عليه الشيخ الإمام العلامة الزاهد الورع الصوفي العارف بالله تعالى عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد اليمني اليافعي نـزيل الحرمين، وأحد الأئمة الشافعية والأولياء الكبار، وصاحب المصنفات العديدة التي منها «روض الرياحين» وذلك في كتابه «الإرشاد والتطريز في ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز»[1] قال: وقد مدحه وعظمه طائفة كالنجم الأصبهاني، والتاج ابن عطاء الله وغيرهما، وتوقف فيه طائفة، وطعن فيه آخرون، وليس الطاعن بأعلم من الخضر عليه السلام إذ هو أحد شيوخه، وله معه اجتماع كثير، ثم قال: وما ينسب إلى المشايخ له محامل ثم ذكرها.

---

(١) وله أيضاً الأحاديث النبوية في الترغيب والترهيب، ومرهم العلل المعضلة، والثنتين وسبعين فرقة، وخلاصة المفاخر في ترجمة الشيخ عبد القادر جميعهم بتحقيقنا.

وكذا ذكره وأثنى عليه في كتابه «غاية المعتقد ونهاية المنتقد»، والشيخ الإمام العارف الهمام تاج الدين أبو العباس أحمد بن عطاء الله السكندري في كتابه «لطائف المنن».

قال السيوطي في «تأييد الحقيقة وتشييد الطريقة الشاذلية»: وهما – يعني اليافعي وابن عطاء الله – شاهدا عدل مقبولان في تـزكية مثل هذا، فإنهما فقيهان صوفيان انتهى.

وأثنى عليه أيضًا الشيخ عبد الرءوف المناوي شارح «الجامع الصغير»، والشعراني في ترجمته من «طبقات الصوفية» لهما، وتكلم الثاني على علومه وأحواله في كتابه «تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء»، وكذا في كثير من كتبه ككتاب «اليواقيت والجواهر» فإنه ذكر فيه نبذة من أحواله، وجماعة ممن مدحه وأثنى عليه من العلماء، واعترف له بالفضل، فليرجع إلى ذلك من أراده.

وممن أثنى عليه أيضًا العارف بالله سيدي مصطفى البكري في كتابه «السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد»[1]، ونقل الثناء عليه من سيدي أبي مدين وغيره من العلماء والأولياء، وذكر عباراتهم، ثم نقل كلام صفي الدين أحمد القشاشي في آخر رسالته «وحدة الوجود» فيه وقوله: فلو استقصى إنسان وتتبع مناقبه التي تذكر بالسياق والتقريب في مصنفاته وفتوحاته لكان مجلدات، وذكر من جملتها قوله في باب الحب بعد ما ذكر من ذاب منه وصار ماء بين يدي شيخه وإن حبه كان طبيعيًا ولم يكن إلهيًّا، وإلا

(١) طبع بتحقيقنا.

لثبت ولم يذب ما نصه: والله ثم والله لقد أعطاني الله من هذه المحبة ما لو وضع جزء يسير منه على السماوات والأرض لذابتا، ولكن الله تعالى قواني عليها.

ثم ذكر سيدي مصطفى أبياتًا وقصائد مدحه بها، فأنظره.

وممن أثنى عليه الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي في غير ما كتاب من كتبه المشهورة، وقد قال في شرحه لهمزية الإمام البوصيري لدي قولها:

«والكرامات منهم معجزات...البيت»، بعد ما ذكر أن من الكفر الصراح قول بعض الكرامية: إن الولي قد يبلغ درجة النبي، وبعض جهلة المتصوفة: إن الولاية فوق رتبة النبوة، وإن الولي قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف.

ونقل عن الغزالي أن قتل الواحد من هؤلاء خير من قتل مائة كافر، لأن ضررهم في الدين أشد ما نصه: وليس من أولئك العارفان العالمان المحققان الوليان الكبيران المحيوي ابن العربي والسراج ابن الفارض وأتباعهما بحق خلافًا لمن زل منهم قدمه وطغى قلمه، إلا أن يكون أراد بما قاله الذب عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهم انتهى.

وكتب محشية القطب الحفني على قوله: «وليس من أولئك...» ما نصه: أشار بذلك للرد على ابن تيمية حيث جعلهما منهم، حاشاهما وبئس من نسبهما إلى أدنى ضلالة رضي الله عنهما وتبعنا بهما، انتهى.

وممن كان يثني عليه ويعتقده ويحبه المحبة البالغة ويعتقد أيضًا تلميذه ابن الفارض، ويحبه العلامة سراج الدين الهندي الحنفي أحد الأئمة الحنفية وقاضي قضاتها بالديار المصرية، وصاحب التصانيف الجليلة كـ«شرح الهداية» و«شرح المغني» وورث

عنه هذه المحبة تلميذه العلامة قاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكي شارح «مختصر خليل» وكل منهما له شرح على تائية ابن الفارض، وواقعة البساطي هذا مع الشيخ علاء الدين البخاري الذي كان يبالغ في الإنكار على صاحب الترجمة مشهورة، وهي تتضمن كرامة للإمام البساطي بسبب انتصاره لصاحب الترجمة.

وللشيخ سراج الدين المخزومي شيخ الإسلام بالشام كتاب في الرد عنه سماه «كشف الغطاء عن أسرار كلام الشيخ محيي الدين» وقال: كيف يسوغ لأحد من أمثالنا الإنكار على ما لم يفهمه من كلامه في «الفتوحات» وغيرها، وقد وقف على ما فيها نحو من ألف عالم وتلقوها بالقبول، وأطال في هذا الكتاب في مدحه ومدح كتبه ونقل الثناء عليه من غير ما واحد من العلماء المتبحرين كشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني والشيخ تقي الدين السبكي وذكر أنهما رجعا عن الإنكار عليه حين تحققا كلامه وتأويل مراده، وندما على تفريطهما في حقه في البداية، وسلما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية.

وللحافظ السيوطي كتاب سماه «تنبيه الغبي على تنـزيه ابن العربي» ذكر فيه أن الناس افترقوا فيه فرقتين، الفرقة المصيبة تعتقد ولايته، والأخرى بخلافها، ثم ارتضى هو اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه، يعني على من لم يكن أهلًا للنظر فيها، بأن كان عاميًا أو فقيهًا في حكمه لعدم مخالطته لأهل هذا الفن، فمطالعته لها إنما هي بالحذر والظن والتخمين، لا بالفتح والتمكين، وحينئذ فإما أن يتأول الكلام على خلاف المراد فيَضل ويُضل، أو يضيع العمر في تصفح تلك الكتب بلا فائدة، أو يحمل الكلام على ظاهره فيسيء الظن بصاحبه، وربما كفره أو بدَّعه، أو نسب إليه ما هو بريء منه.

ولذا نقل عن الشيخ أنه كان يقول: نحن قوم يحرم النظر في كتبنا لمن لم يعرف مذهبنا.

وفي لفظ: «لمن لم يكن في مقامنا»، نقله الشعراني في «الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية» وغير واحد.

وعن الشيخ أيضًا أنه كان ينشد ويقول من جملة أبيات:

تركنـــا البحـــار الزَّاخـــرات فمــن أيــن يــدري النــاس أيــن

وأما إن كان أهلًا بأن كان مفتوحًا عليه أو مشرفًا على مقام الفتح، أو كان يطالعها بحضرة شيخ عارف يفهمه إياها كما ينبغي فلا بأس، وذو الفتح الصائب والبصيرة النافذة والعلم الراسخ يأخذ منها كل مأخذ، وينال جميع ما يراد من الخير، ويقصد فيزداد بها فتحًا وإيمانًا وقربًا إلى الله وإيقانًا، وعلى هذا القسم يحمل كلام العلماء الذين حثوا على مطالعتها، والأولياء الذين كانوا يحضون بعض تلامذتهم وإخوانهم على معاناتها، كالشيخ إسماعيل الجبرتي شيخ الشيخ سيدي عبد الكريم الجيلي وغيره، لأن من كان مفتوحًا عليه تقرب المسافة البعيدة إليه، وتسهل الطريق الصعب لديه، ولا ينافي هذا ما ذكروه من أن كتب الشيخ كتب فتح لا كتب سلوك، لأن مرادهم أنه لا يسلك بها من كان عاميًا أو في حكمه، وتأمل ما مر عن المجد الفيروزآبادى: أن من خواص كتب الشيخ أن من واظب على مطالعتها انشرح صدره لحل المشكلات وفك المعضلات، وفي نقل الشعراني عنه في كتاب «**اليواقيت والجواهر**» أن مطالعة كتبه قربة إلى الله تعالى ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحق. راجعه.

ومن قصيدة للشيخ سيدي عبد الغني النابلسي في مدحه ﷺ ذكرها آخر كتابه: «الرد المتين»:

كتبـــه النـــور لمـــن يبـــصرها وهي تروي كل صادي القلب ري
مـــن كتـــاب الله والـــسنة قـــد خرجـــت تختـــال في أبهـــى حـــلي

وقد ألف السيوطي كتابا آخر سماه «قمع المعارض في نصرة ابن الفارض».

وللشيخ الإمام العارف سيدي عبد الغني النابلسي كتاب «الرد المتين على منتقد العارف محيي الدين» نقد فيها رسالة لبعض علماء الرسوم في الطعن على هذا القطب المكتوم، وكشف فيها عن معاني العبارات المشكلة في كلامه، وأفصح عن رفيع مقامه، وناقش عبارات المعترضين فيها بصريح كلامه، ثم ختمها بذكر من أثنى عليه من العلماء الأعلام، وذكر من سئل عنه فأفتى فيه بالخير من أئمة الإسلام.

وللكازروني شارح «الفصوص» كتاب بالفارسية سماه «الجانب الغربي» رد به عن الشيخ مما اعترض به على كلامه، كقوله بإيمان فرعون، وقد نقله إلى العربية عالم المدينة السيد محمد بن رسول البرزنجي وسماه «الجاذب الغيبي».

وللشيخ الإمام العارف المربي أبي الحسن على بن ميمون شيخ الطريقة الميمونية رسالة في مدحه والثناء عليه والحط على المنكرين لديه.

وللإمام الأجل مفتي دمشق حامد بن علي العمادي رسالة سماها: «قرة عين الحظ الأوفر في ترجمة الشيخ محيي الدين الأكبر».

والمثنون عليه لا يحصون كثرة وعددًا، وهم أوفر علمًا وأقوى مددًا، وقد أخذ عنه وتخرج به أئمة كبار، منهم أخص تلاميذه الشيخ عبد الله بدر الحبشي والشيخ

إسماعيل بن سودكين، والشيخ صدر الدين القونوي الرومي ربيبه، والشيخ عمر بن الفارض.

وقد حكي في «نفح الطيب» عن المقريزي في ترجمة سيدي عمر بن الفارض أن صاحب الترجمة بعث إليه يستأذنه في شرح تائيته الكبرى فقال له: كتابك المسمى بـ«الفتوحات» شرح لها، انتهى.

قال بعضهم: وهذا يؤذن بأنه كان يستمد في تائيته من فتوحات الشيخ، وأن استمداده كان من فيض إمداده، ويؤيد هذا ما ذكره النجم الغزي في «الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة» في ترجمة القاضي زكريا الأنصاري نقلًا عن بعض إخوانه -أي: إخوان النجم- أنه سمعه يحكي أنه روي أن الشيخ محيي الدين ابن العربي كان يعرض عليه سيدي عمر بن الفارض فيقول: هو كلامنا لكنه أبرزه في قالب آخر.

وكان يقول: هو ماشطة كلامنا.

قال النجم الغزى: والذي يظهر من كلامهما أن ابن العربي أوسع في المعرفة، وأن ابن الفارض أدخل في المحبة انتهى.

وله ﷺ مصنفات كثيرة ورسائل صارت بها الركبان، منها ما هو كراسة واحدة، ومنها ما يزيد على مائة مجلد وما بينهما، وقد عد هو في إجازة كتبها للملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب نيفًا وأربعمائة مصنف، ومن عبارة لبعضهم أنها تقارب الألف، منها تفسير القرآن العظيم المسمى بـ «الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل» وهو تفسيره الكبير في نيف وستين مجلدًا، بلغ فيه إلى قوله تعالى في سورة الكهف ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] واستأثر الله

فقبض روحه عند هذه الكلمة الشريفة، فكان ذلك أعظم برهان وأتم دليل وبيان على ما أوتيه من كمال العلم، واختص به من الأسرار البديعة والفهم، وهذا التفسير كتاب عظيم، كل سفر منه بحر لا ساحل له، ولا غرو فإنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى.

ومنها «فصوص الحكم» وقد ذكر هو في أولها: أنه رأى النبي ﷺ وبيده الكريمة كتاب، فقال له: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس - يعني بهم ناس المخصوص- ينتفعون به. ثم قال: فلا ألقي إلا ما يلقي إلى ولا أنـزل في هذا المسطور إلا ما ينـزل علي ولست بنبي ولا رسول، ولكني وارث، ولآخرتي حارث.

وقد ذكروا أنه أودع فيه جميع علمه مع صغر حجمه، وكشف فيه عن الحقيقة الإنسانية، وبين مظاهرها النبوية، وقال ﷺ من معشراته:

فرصة قد أودعت علمي لديها   في كتاب وسمته بالفصوص

قال الشيخ صدر الدين القونوي في أول فصوصه: وهو خواتم منشآته وأواخر تنـزلاته ورد عن منبع المقام المحمدي والجمع الأحمدي فجاء مشتملًا على زبدة ذوق نبينا انتهى.

وقال بعضهم: من أراد الاطلاع على أذواق مشارب الأنبياء فعليه بكتاب «فصوص الحكم» لأنه ذكر في فص كل نبي ذوقه ومشربه.

وفي معروضات المفتي أبي السعود الحنفي أنه تيقن أن بعض اليهود افترى عليه في كتابه هذا كلمات تباين الشريعة، وأنه تكلف بعض المتصلقين - أي: المتكلفين - لإرجاعها إلى الشرع، قال: فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات انتهى.

قلت: إن صح هذا فهذه الكلمات لا تعرف الآن باليقين، وإنما هي ظن وتخمين، والله أعلم بالواقع.

وقد طعن في الشيخ ﷺ بسبب كتابه هذا وغيره من كتبه كـ«الفتوحات» جماعة من علماء الرسوم ممن لم يفهم مقاصده فيها ولا رموزه وإشاراته، وحمل الكلام على أول احتمالاته، كسعد الدين التفتازاني والشيخ ملا علي القاري، فألف كل منهما رسالة في الرد والتكفير، وبالغ في التضليل والتنفير، وأورد الثاني في رسالته نص كلامه في مواضع من «الفصوص» وهي بضع وعشرون موضعًا، وردها كلها بغاية الرد، وألف رسالة أخرى سماها «العون على من يدعي إيمان فرعون» وما هذه بأول هفوة صدرت منه، وللشيخ تقي الدين الفاسي المكي كتاب «تحذير النبيه والغبي من الافتتان بابن عربي» والمحققون والعلماء وأهل الله على خلاف كلامهم، وعدم قبول ثلمهم، وعده من هفواتهم، وقبيح ما يؤثر من عثراتهم.

وقد ذكروا أن الشيخ ﷺ نهى أن يجمع بين كتابه هذا -أعني الفصوص- وبين غيره من الكتب في جلد واحد، وإن كان من مؤلفاته، لأنه من الإرث المحمدي وقد شرحه من لا يحصى من العلماء، كالشيخ مؤيد الدين الجندي والكازروني والكاشي والقيصري والقاشاني[1] وكمال الدين الزملكاني، وسعد الدين الفرغاني[2] وعفيف الدين التلمساني، والشيخ عبد الرحمن الجامي، وعلي المهايمي والجلال محمد الدواني وعبد الله الرومي والشيخ بدر الدين ابن جماعة، وعبد الغني النابلسي وغيرهم ممن يكثر.

---

(١) شرح القيصري والقاشاني طبعا بتحقيقنا.

(٢) تحت قيد التحقيق.

ومنها كتاب «الفتوحات المكية» وقد قال عنه في الباب الثالث والستين وثلاثمائة منه: والله ما كتبت منه حرفًا إلا عن إملاء إلهي وإلقاء رباني أو نفث روحاني في روع كياني انتهى.

وقال في موضع آخر منه: وهذا الكتاب مع طوله وكثرة أبوابه وفصوله فما استوفينا فيه خاطرًا واحدًا من خواطرنا في الطريق.

قال الشيخ العارف بالله الأستاذ سيدي مصطفى بن كمال الدين البكري في «**روضاته العرشية**» بعد نقله ما نصه: باب في النفس الواحد يدخل قلب العارف من الحكم والمعارف ما لا يدخل تحت حد ولا حساب لأنه عن فيض الوهاب انتهى.

وقال في الفصل الرابع عشر من الباب الثامن والتسعين ومائة في معرفة النفس ما نصه: وإنما نورد في كتابنا وجميع كتبنا ما يعطيه الكشف ويمليه الحق انتهى.

ومما أنشده بعضهم فيه ﷺ:

هو الشيخ محيي الدين عارف ... وأفكار أهل الجهل عن علمه تقصر

وقد شاع إيماني بكل كلامه ... فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

ومن أحسن ما مدح به قول القائل، وهو الشيخ محمد بن سعد الكاشي كما ذكره في «نفح الطيب» مشيرًا لتاريخ وفاته:

إنما الحاتمي في الكون فرض ... وهو غوث وسيد وإمام

كم علوم أتى بها من غيوب ... من بحار التوحيد يا مستهام

إن سألتم متى توفي حميدًا ... قلت: أرخت مات قطب همام

ومجموع ذلك ستمائة وثمانية وثلاثون، وهي سنة وفاته، وكانت على التحقيق ليلة الجمعة سابع أو ثامن عشر ربيع الآخر منها بدمشق الشام، ودفن بسفح جبل قاسيون بتربة القاضي ابن الزكي وقبره هناك مشهور تستجاب عنده الدعوات، وتكشف الخطوب والأزمات، وقد دفن عنده ولداه الإمامان محمد سعد الدين المتوفى سنة ست وخمسين وستمائة، ومحمد عماد الدين المتوفى سنة سبع وستين وستمائة، وقد اعتنى بتربته بصالحية دمشق سلاطين بني عثمان، وبنى عليه السلطان المرحوم سليم خان قبة وضريحًا، وهو الذي أظهره ولم يكن ظاهرًا، وبنى أيضًا بجواره تكية وجامعًا للخطبة، ورتب له الأوقاف، فجزاه الله على ذلك خيرًا، ومن قصيدة لسيدي عبد الغني النابلسي ﷺ في مدحه، ذكرها في آخر كتابه «الرد المتين»:

إن محيي الدين أحيا الدين قل	والمسمى غالبًا طبق السَّما
زره واغنم فضل قبر ضمه	وانشق من نحوه طيب الشذا
وتوسل عند مولاك به	كلما نابك خطب يا أخا
فالذي يقصده فاز وما	خاب من يلجأ إلى ذاك الحما
لم يزل رضوان ربي دائمًا	عنه ما حنَّ اشتياقًا ذو الهوى

وفي «الطبقات الشعرانية» قال: أجمع المحققون من أهل الله ﷻ على جلالته في سائر العلوم، كما يشهد لذلك كتبه، وما أنكر من أنكر عليه إلا لدقة كلامه لا غير، فأنكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة خوفًا من حصول شبهة في معتقده يموت عليها، لا يهتدي لتأويلها على مراد الشيخ، انتهى.

قال الشيخ مولانا عبد الغني في شرحه للديوان الفارضي: ولقد أنصف الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الغفار رحمه الله تعالى في قوله في شأنه قدس سره:

حاشـاك يـا محيـي الـدين الـذي ... لـه الفـضائل في علـم وفي عمـل
أن تقتضي غير ما جـاء الكتـاب بـه ... أو تبتغـي بـدلًا عـن أشرف الملـل
وأن تهـد أسـاس الـشرع معتقـدًا ... فيـه عقيـدة أهـل الزيـغ والـزلل
عمري لقد كذبوا في كل مـا نـسبوا ... إليك من خطأ يـضميك أو خطـل
إن غـرهم كلـمات منـك ظاهرهـا ... يخـالف الـشرع في فهـم لهـم خبـل
فذكرهم قـول عبـد الله حـسبك أو ... أبي هريـرة أو قـول الإمـام عـلي
أو ينشدوا شعر زين العابـدين وإن ... شاءوا فقصة موسى أوضح الـسبل

وقد أراد بعبد الله عبد الله بن عباس، وسيأتي كلامه مع كلام أبي هريرة وعلي وكذا كلام زين العابدين، وأراد بقصة موسى قصته مع الخضر عليهما الصلاة والسلام وهي معلومة.

وقال الشيخ مولانا عبد الغني أيضًا في مدحه تعريبًا لأبيات في ذلك باللغة التركية لبعض فضلاء الروم:

طِيب محيي الدين مسك في الورى ... فـاح لكـن كـل أنـف لا يـشم
وعلـوم خرجـت مـن فيـه ... كـل فهـم بهـداها مـا لا يلـسم
قوسـه مـن ذا الـذي يرمـي بـه ... غرض التحقيـق يـا قـوس هلـم

قلت: سبب الاعتراض والملام عدم فهم المراد -كما أُشير إليه من الكلام- بسبب الجهل بما في كلامه من الرموز والروابط والإشارات والضوابط والحذف لمضافات، هي في علمه وعلم أمثاله معلومات، وما فيه من الألسن المنوعة، والطرائق المتنوعة، والمناهج والاصطلاحات والمذاهب المختلفات، فتارة تجده فقيهًا مقلدًا، وتارة إمامًا مجتهدًا، وتارة صوفيًا كاملا، وتارة بالحقيقة المغطاة عاملًا، وتارة بالمجردة قائلًا، وتارة لا يدري وجهه ومقصده، وتارة يكون عن كشف وذوق وشهود وعيان خبره

وشهده، وهذه الألسن كلها طرائق ومسالك ومناطق، ولكل طريق منها أنوار، يدركها أرباب المعارف والأسرار، وكلامه فيها هو كسبب مقتضى حاله، وما يوقعه المولى تبارك وتعالى في قلبه وباله، ثم له هو اصطلاح خاص سوى ما يتبعه من اصطلاح غيره من الصوفية الخواص، فمن ثم يختلف على المطالع لكلامه الأمر أحيانًا، وحذر الناصحون من مطالعته إلا ممن رسخ في العلم، أو يدركه بالذوق إيقانًا.

وقال بعض المحققين: ليس الشأن في فهم مرامه، إنما الشأن في الجمع بين كلامه.

وفي «الرحلة العياشية» نقلًا عن كثير من المشايخ من جملتهم شيخ الإسلام وإمام الأئمة الأعلام أبي محمد سيدي عبد القادر بن علي الفاسي: إنهم كانوا يقولون محكم كلامه يقضي على متشابهه، ومطلقه يرد إلى مقيده، ومجمله إلى مبينه، ومبهمه إلى صريحه، كما هو شأن كل كلام ظهرت عدالة صاحبه.

وإذا علم هذا فليحذر القابل للنصيحة كل الحذر من التعرض للإنكار عليه وعلى أحد ممن ظهرت عدالته، وثبت لدى أهل المعرفة والتوفيق فضله وكرامته، فإن ذلك بالتجربة والمشاهدة والعيان سُم قاتل، ومجرٌّ إلى الطرد والمقت والخزي والهوان، وليقدر كلام الأولياء قدره، وليعظم شأنه وأمره، وليلحظ باطن إشاراتهم، ولا ينظر إلى ظاهر عباراتهم، لأنه ليس مبنيًا على العقول والأذهان، ولا على ترتيب النطق وفصاحة اللسان، بل على نور القلب وقواعد العرفان، فمن كان من أهل هذا الشأن فسيغنيه الشهود والعيان عن الدليل والبرهان، وإلا فعليه بالتسليم والإذعان، فإنه أولى بأهل التثبت والإيمان، لئلا يقعوا في البعد والحرمان.

لا تكـن قانتًـا في حكـم أمـور   لطـوال الرجـال لا للقـصار
وإذا لم تـر الهـلال فـسلم   لأنـاس رأوه بالأبـصار

قال الشيخ عبد الرءوف المناوي الشافعي في كتابه «إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن»: ولا زال أهل العلم والأخيار والأكابر يلتمسون لكلام هذه الطائفة أحسن المخارج، لعلمهم أن كلامها يرتقي عن دائرة العقول، ويشذ على ظواهر المنقول، فإما تأويل حسن، وإما ظن حسن.

وقال السيد الشريف مسعود بن حسن بن أبي بكر القباب الشافعي في شرحه للامية ابن الوردي لدي قوله:

لا تخض في سب سادات مضوا   إنهـم ليـسوا بأهـل للزلـل

ما نصه: وكذا يحرم التكلم في السادات الذين تكلموا في الطريق، وأظهروا خوارق العادات، كالسري السقطي، وأبي القاسم الجنيد، والحسين الحلاج، وأشباههم من المتقدمين، وكالشيخ محيي الدين ابن عربي وسيدي عمر بن الفارض، وغيرهما من المتأخرين، فهؤلاء السادات -رضي الله عنهم- وإن كانوا قد تاهوا وتكلموا بأشياء خارقة، فلا يجوز سبهم، ولا اعتراض عليهم بحال من الأحوال، لأنهم ملازمون لقواعد الشرع، فلا يصدر منهم قول ولا فعل مخالف للشرع، وما أحسن قول بعضهم: من لم يعرف مصطلحنا لا يجوز له الخوض في طريقتنا، فيجب على كل مسلم أن يلزم الأجوبة الحسنة عن الأكابر المتقدمين من أنبياء وصحابة وتابعين ومجتهدين وعارفين. انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني في «**تنبيه العقول على تنزيه الصوفية عن اعتقاد التجسيم والعينية والاتحاد والحلول**» قال الشيخ محيي الدين نفع الله به في كتاب «الفناء في المشاهدة»: ينبغي لمن وقع في يده كتاب في علم لا يعرفه ولا سلك طريقه أن لا يبدي فيه ولا يعيد، وأن يرده إلى أهله، ولا يؤمن به ولا يكفر، ولا يخوض فيه البتة، رب حامل فقه ليس بفقيه ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾ [يونس:٣٩]، ﴿**فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[آل عمران:٦٦] فقد ورد فيهم الذم حيث تكلموا فيما لم يسلكوا طريقه.

قال: وإنما سقنا هذا كله لأن كتب أهل طريقتنا مشحونة من هذه الأسرار، ويتسلط عليها أهل الأفكار بأفكارهم، وأهل الظاهر بأول احتمالات الكلام، فيقعون فيهم، ولو سئلوا عن مجرد اصطلاح القوم الذي تواطئوا عليه في عباراتهم ما عرفوه، فكيف ينبغي لهم أن يتكلموا فيما لم يحكموا أصله. انتهى منه بلفظه.

وقد نقل كلام الشيخ هذا أيضًا الشيخ سيدي عبد الغني النابلسي في «شرحه للطريقة المحمدية» بعد أن صدره بقوله: وقال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي قدس الله سره في رسالته التي صنعها في تحقيق مقام الفناء في الشهود: فينبغي... إلى آخره.

وقال أيضًا في شرحه المذكور بعد ما نقل فيه عن بعضهم: إن من ولي هذا المنصب فارتقى عن مقام الولاية إلى مقام الوراثة عظمت عداوة الجهال له ما نصه: ومن هنا خوض السفلة ورعاع المتفقهة في حق الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي والشيخ شرف الدين ابن الفارض، والعفيف التلمساني وابن سبعين، ونحوهم مما لا يعرفه الفقيه المحجوب بحجب عالم الخلق عن أسرار عالم الأمر، الذي هو كلمح

البصر، وخاضوا في فهم كلماتهم بما هم بريئون منه، وافتروا عليهم في نسبة المعاني الفاسدة التي تخالف الشريعة إليهم، وسووا بينهم وبين الباطنية والزنادقة والملحدين، ولم يقدروا - من كثرة جهلهم وشدة غباوتهم مع دعواهم العلم- أن يفرقوا بين كلامهم وكلام الكفار، فوسوسوا في صدور عامة المؤمنين الذين هم خير منهم، وأفسدوا عليهم اعتقادهم في أولياء الله تعالى وحرموهم التماس بركاتهم، وأوقعوهم في الإنكار عليهم، وعرضوهم لغضب الله تعالى وحرمانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم انتهى.

وقال أيضًا فيه في موضع آخر ما نصه: ومن أجل الحكماء الإلهيين الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي والشرف ابن الفارض، والعفيف التلمساني وابن سبعين، وغيرهم رضي الله عنهم من العارفين المحققين، فإن كلامهم أنفع للفقيه إذا سلك به في معرفة أسرار الفقه، ولكن بعد اعتقادهم ومحبتهم، ونبذ كلام من تكلم فيهم بسوء من أهل الجهل والغباوة الذين هم ليسوا على طريقهم، ولا يعرفون اصطلاحهم، فإن من جهل شيئًا عاداه، ولا عبرة بنقل المنكرين عليهم لكلامهم وزعمهم أنهم فهموه، لأنهم إن فهموه لما ظهر من تقريرهم كفر أو إضلال بل كان يظهر إيمان وتوحيد، ولكن كل إناء بالذي فيه ينضح، وآنيتهم لما تنجست بكفر الإنكار على أولياء الله تعالى وبغضبهم والتعصب عليهم، كان كل كلمة من كلام أهل الله تعالى إذا دخلت ذلك الإناء النجس تنجست به، وكانت إيمانًا في الآنية الطاهرة فصارت كفرًا في الآنية النجسة القذرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء، انتهى.

وفي رسالة الحافظ السيوطي المسماة بـ «**تنبيه الغبي**»: إن الصوفية تواطئوا على ألفاظ اصطلحوا عليها وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة منها بين الفقهاء، فمن

حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم كَفَرَ أو كفَّر، نص على ذلك الغزالي في بعض كتبه، وقال: إنه شبيه بالمتشابه في القرآن والسنة من أن حمله على ظاهره كفر، وله معنى سوى المتعارف منه.

وفيها أيضًا أنه سأل بعضُ أكابر العلماء بعضَ الصوفية في عصره: ما حملكم على أنكم اصطلحتم على هذه الألفاظ التي يستشكل ظاهرها؟ فقال: غيرة على طريقنا هذا أن يدعيه من لا يحسنه، ويدخل فيه من ليس من أهله.

وترجمة الشيخ ﷺ طويلة جدًّا، وهذا قل من كثر، للتبرك به وبذكره رزقنا الله محبته ومحبة أهل الله كلهم ورضاهم، وجعلنا من جملتهم وفي زمرتهم وتحت لوائهم آمين، ولنشرع في المقصود بعون الملك المعبود، فنقول ومن الله سبحانه وتعالى أستمد، وبه نصول ونجول.

❊ ❊ ❊

الفتح المبين

في ردِّ اعتراض المعترض

على الشيخ محيي الدين

قدَّسَ اللهُ سرَّه

(الرد على السعد التفتازاني في الرد على أباطيل الفصوص)

تصنيف

الشيخ الإمام عمر بن طه بن الشهاب العطار الدمشقي الشافعي

المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

من علماء الأزهر الشريف

ترجمة الشيخ العطار

هو الشيخ الإمام الفقيه المتكلم النحوي الصوفي: سيدي عمر بن طه بن الشهاب أحمد بن عبيد الله بن عسكر العطار: الحمصي الأصل، الدمشقي، الشافعي.

مولده بدمشق سنة ١٢٤٢ هـ.

زار مصر مرارًا ، وأخذ عن علمائها.

من آثاره:

- أين الإسلام.
- الفتح المبين في رد اعتراض المعترض على محيي الدين (كتابنا هذا).
- تحقيق معنى الوجود.
- شرح فصوص الحِكم.
- شرح إيساغوجي في المنطق.
- مجمع الأنوار شرح الإظهار في النحو.
- كشف الأسرار لصلاة المختار ﷺ شرح الصلاة الأكبرية (طبع بتحقيقنا).

وفاته: سنة ١٣٠٧ هـ.

وقيل توفي سنة: ١٣٠٨هـ.



بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن خلع على المكونات حُلل الوجود، فكانت مظاهر أسمائه في الغيب والشهود، فلها لذاتها الإمكان والافتقار والعدم، ولذاته الأنزه الأقدس الوجوب والغنى والقدم.

ربنا تعاليت عن الحلول والاتِّحاد، وتنـزَّهت عن الشريك والشبيه والمضاد، جعلت القوابل بفيضك الأقدس، وأظهرت الأكوان بفيضك المقدَّس، فالأمر كله منك وإليك، وليس المعول في شيء إلا عليك، فسبحانك نطق الكون بواحديتك، وفطر العالم على الإقرار بربوبيتك، وإن من شيء إلا يسبِّح بحمدك، فشكرًا على كمال قدرتك، أبدعت الكائنات على غير مثال سبق؛ فدلَّت على أنك لا إله إلا أنت الملك الحق، وصلاةً وسلامًا على مَن كان هذا المبدع من نوره، سيد الخلق أجمعين، مَن كان نبيًّا وآدم بين الماء والطين، فأنت ﷺ بهذا الأول والآخر، فناهيك بعموم رسالته في الباطن والظاهر ﷺ، وعلى آله وصحبه ذَوي المناقب والمآثر.

أمَّا بعد..

فيقول راجي رحمة ربه الستَّار الغفَّار عمر حفيد الشهاب أحمد العطَّار الدمشقي، محيت عنه الخطايا والأوزار: إنه قد أُرسل إليَّ من بعض الإخوان الملازمين على ممارسة القلم في الأزهر الأنور رسالة منسوبة للعلاَّمة السعد التفتازاني -رحمه الله وعفا عنه-[1] مشتملة على ما لا يليق بشأنه من الفضول والاعتراض على كلام، ومعتقد حبل الله

(١) هي رسالة: الرد على أباطيل حكم الفصوص، (بحوزتنا نسخة مصورة منها- عن دار الكتب المصرية).

المتين، سلطان العارفين الشيخ الأكبر الهمام محيي الدين الشهير بـابن عـربي ﷺ، وأعـاد علينا من نفحاته وبركاته معاشر الموحِّـدين آمـين، فبعـد الاطـلاع عـلى تلـك الرسـالة بتمامها، وجدت يقينًا أن السعد -رحمه الله- مع جلالة قدره، ورسوخ قدمه لم يقف على ما أراد هذا العارف من منطوق كلامه، ولا حام حول مقصده ومرامه، وإنما لاح له من المخدرات الحسان الخدور، ومن الحور المقصورات في الخيـام الـستور، فنظـر وتعمَّـل، ووقف حيث تأمَّل؛ فبدا له الساتر، واحتجب عن المستور.

فأين الجوهر المكنون من الصدف، واللُّباب الخالص من القشور؟ وحيث لم يظهر له الأمر على ما هو عليه في الواقع، ولا كشف له عن الوجوه البدرية القناع والبراقع، قال ما قال في شأن هذا الطود الأشم، وألقى ما ألقى في ساحل هذا البحر الخضم، وتوهَّم أن الأمر هيعة فطار إليها، وتخيَّل أنه ربما يرجى من الله حسن الثواب عليها، ولو اقتصر في اعتراضه على مجرَّد ظاهر الكلام، ولم يتعرَّض لشأن هذا القائل الحبر الهمام لأمكن أن يلتمس له وجه من وجوه الاعتذار؛ لعدم درايته بما انطوت عليه تلك الدار، لكن جيف الهزل لا تعكر صفاء البحور، والرياح العقيمة لا تزحزح الجبال الصخور، والكلمات الأعجمية لم تضر بالكتاب العربي المسطور.

ومن شدة كمال هذا الولي العارف قال في دعائه: اللّهم إني قد تصدَّقت بعرضي ومالي وديني على عبادك، فلا أطالبهم بشيء من ذلك، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا شأن أهل الكمال، وإن العجب العُجاب، والاستغراب كل الاستغراب، إشاعة تلك المقالات الفظيعة، ونشر هاتيك الألفاظ الشنيعة من بعد أن مضى على ذلك أحقاب، وانقطعت تلك العِلل والأسباب، وكيف جوَّز سماع الطعن في شأن هذا الولي العارف صاحب الفيوضات الإلهية، الذي قال بمثله خير البرية:

«**من آذى لي وليًا، فقد آذنته بحرب**»[1]، وهذا من الأحاديث القدسية، ولا تخفى على الله البصير خفية.

إن نجاح الدولة العثمانية أيدها الله دائرٌ مع حسن الأدب، والوقوف مع رجال الله عند الحد، والإحسان إلى قبورهم الشريفة، بإظهار احترامهم، وطلب رضاهم، على الخصوص مزار هذا العارف الذي أنشأه المرحوم السلطان الغازي سليم خان والي هذا الوقت، وهو مشمول بكل الرعاية بالالتفات من حضرة السلطان الأعظم، والخاقان الأكرم مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان أبدَّ الله أيام شوكته وسلطنته، آمين.

اللّهم اجعل التوفيق لجنابه في كل الأمور رفيقًا، ووجوده الشريف على عموم رعيته حرزًا وثيقًا، يا نعم المولى ونعم النصير، بقى القول على المتسبِّب بنقل هذا الشتم والكفر، فعليه من الله ما يستحقَّه من العذاب والوزر، قبَّح الله سعيه وعمله، وخيَّب مقاصده وأمله، ويكفيه ما وسوس له به شيطانه، فزاد به ويله وخسرانه، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾ [النساء:١٤٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٣٨٤)، والحكيم الترمذي في «النوادر» (٣/ ٩١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥).

مسألة

إن قلت: لعلَّ لهذا الناقل غرضًا صحيحًا حيث رأى المصلحة في ذلك سدًّا لباب الفساد نشر هذه المقالة.

قلت: هذا رأي فاسد، وتوهُّم قبيح كاسد، أعوذ بالله من شر كل حاسد.

ولا بأس بذكر نُبذة تتعلَّق ببيان فضل هذا الكامل الراسخ العالم تبرُّكًا بنفحاته الربانية؛ لأن فضله غني عن البيان، فهو كشمس في رابعة نهار، وقد حدث في هذا الشأن بدرسه العام العلاَّمة خاتمة المحدِّثين في الديار الشامية الشيخ حامد العطار -رحمه الله- ورفع درجاته، بأن هذا الحبر الهمام من بعد تأليف كتابه «الفتوحات المكية» نشره على ظهر الكعبة المشرَّفة حولاً كاملاً، وناهيك بشدة الرياح هناك، وشدة وقوع المطر، ومع هذا لم يصب هذا الكتاب من ذلك أدنى ضرر، بل زاد كمالاً وحسنًا، وهذا من أكبر الكرامة.

وقد ذكر مثل هذا الفيروز آبادي -رحمه الله-.

وقد حدَّثني شيخي الشيخ محمد أكرم الأفغاني المولوي[1]: إن حضرة هذا الولي العارف كان ينسلخ من جسمه الشريف حتى يبقى بهيكله الروحاني، إلا أنه كان إذا مرَّ بأحدٍ ولمسه، صُعق من لمسه، فبعده لم يفعل رفقًا بعباد الله، وإنه ﷺ أراد أن ينـزل في بحر الروم، فغلبت عليه الطبيعة فخاف، فوقف وتأمَّل عاقبة الأمر، فأطلعه الله على ما سيقع له إلى يوم موته.

وحدَّثني أيضًا: بأن كتاب «الفتوحات المكية» ينطوي على ثلاثمائة وستين ألف

(١) ذكره أيضًا في كتابه كشف الأسرار (ص ٨٠) بتحقيقنا.

عِلم، وإن الرزية كل الرزية حيث لم أكن أطلب منه -رحمه الله- تفصيل ذلك، فإن هذا الشيخ -رحمه الله كان في ظنّي أعلم عالم على وجه الأرض في كلام هذا العارف، وأنت إذا تأمّلت هذا الكتاب ربما تطلع فيه على ما يزيد على عشرين ألف عِلم، وربما إذا فصَّلت تبلغ العدد المذكور في كلام الشيخ، وقد قال حضرة الشيخ الأكبر عن شأن هذا الكتاب: إنه نقطة من القرآن العظيم، فتكون علوم القرآن العظيم لا حصر لها ولا عد، ولا بُعد في ذلك.

وكراماته ﷺ وأسراره يظهران من كثرة تأليفاته التي كان لا يمشي بها القلم من غير مراجعة، بل ربما يقف قلمه مرات عند توارد علوم كثيرة على كلمة واحدة من كلامه، وشهد لهذا تصديق الله تعالى له حيث فسَّر القرآن العظيم، فأوقفه تعالى فيه على قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف:٦٥]، ولله در القائل فيه:

إذا تَغلْغل فِكر الـمرءِ في طَـرفٍ ... مِن بحرِه غَرقت فِيـه خَواطِـره

وقوله:

ومَـا عَـليّ إذا مَـا قُلـت معتقـدي ... دع الجهـول يظـن الحـق عـدوانًا

والله والله والله العظــيم ومَــن ... أقَامَــه حُجـة لِلــدين بُرهانًــا

إنّ الذي قُلتُ بعـضٌ مِن مَناقِبـهِ ... مَا زِدت إلا لعـلّي زِدت نُقـصانًا

وسيأتي زيادة في ذلك على هذا، وفي هذا القدر كفاية لمحبيه ومبتغيه، ومن تعالى الهداية، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]،وحيث إن القصد الصحيح هو ردُّ كلام السعد عليه إن صحَّت تلك النسبة إليه، فأطوى عن فضوله وشتمه، وأضرب عن سبِّه وهزله صفحًا.

اللّهم اغفر لنا وله، وللمسلمين، هذا وإذا فضل مفضول فاضلاً في بعض المسائل؛ لم يلزم أن يفوقه في كل المقاصد والوسائل، وإني معترف بقلة البضاعة على الخصوص في مثل هذه الصناعة، ولا حرج على فضل الله، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾ [الحديد:٢١]، وقال تعالى: ﴿**قُلِ اللهمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأنت إذا تأمّلت في هذا الشأن كلام العلاّمة السعد، أسقطت بديهة اعتراضاته الواهية، وسهل عليك الرد، فإنه يقينًا كلام هزل مردود، وفي بادئ الرأي مسلك ضيق مسدود، وفي الواقع قد يكبو الجَواد، وإنه لا كمال إلا لله من دون العباد، وإني أشرع في هذا المقصود بعون الله الملك المعبود، وعلى الله التكلان، ومنه المعونة، ورتبت مقالي فيه على مقدمة، وسبع مقامات، وخاتمة.

❊ ❊ ❊

أما المقدمة

ففي ذكر بعض ما يتعلق بعقيدة هذا العارف الهُمام، وقد قال ﷺ فيها شعرًا:

سَائلي عن عَقيدتي أحْسن اللهُ ظنَّه عَلم اللهُ أنَّها شَهد اللهُ أنَّه

أشار إلى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ*إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩-١٨].

ومع ذلك فهو ﷺ مجتهد في مذهبه الخاص الفقهي، والأصلي الديني، فإنه ﷺ نبَّه في كتابه «الفتوحات المكية» على ذلك، وقال هناك: إني إذا أنا ذكرت مسألة وافقت مذهب الحكيم أو المعتزلي أو الجبري أو خلافهم، ليس قصدي تقليد واحد منهم فيها، وإنما هو مجرد موافقة رأي رأيًا.

ومن المعلوم البيِّن: أن ليس جميع ما ذهب فيه الحكيم أو المعتزلي أو الجبري باطلاً وغير صحيح، بل لا بدَّ وأن يكون فيه ما شأنه الصحة، وكثيرًا ما يوافق ﷺ في مذهبه الإشراقيين، والأصل الأصيل في مذهبه: القول بوحدة الوجود الحق، وقد وافق في هذا مَن تقدَّمه من رجال هذه الطريق، كالأقطاب الأربعة ﷺ، وأبي يزيد البسطامي، وأبي مدين، وأبي الحسن الشاذلي، والجنيد، وأبي طالب المكي، وأبي سعيد الخراز، وشمس الدين التبريزي، وجلال الدين الرومي صاحب المثنوي، وابن الفارض، والغزالي، وغير مَن ذُكر من الرجال.

إلا أنهم ﷺ ما دونوا في هذا الشأن كما دوَّن هو ﷺ، فإنه كشف في تدوينه باطن الشريعة الأحمدية، ووضَّح الكلمات العظيمة القرآنية، وبيَّن جوامع الكَلم المحمَّدية، بما

لا يخطر على قلب بشر، ولا يحيط به الفكر، وإنما هو علم لَدني، وكشف إلهي، بل هو نفث في روع، فما قال شيئًا إلا عن الله، فإنه ﷺ العبد الخاص الذي يقول بالحق، ويسمع به ويبصر، فكل كلماته حكم، كما قال ﷻ: ﴿مَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة:٢٦٩].

❊ ❊ ❊

مسألة

ما باله ﷺ دون ذلك، وتكلَّم بالأسرار دون غيره من رجال الله ﷺ.

قلت: إن مبنى ذلك على الإذن الإلهي، ولم يُؤذن لهم، وإلا لامتثلوا.

ولنذكر طرفًا يتعلَّق بالكلام على أساس وحدة الوجود، تمهيدًا لدفع اعتراضات السعد رحمه الله؛ ليعلم أن مذهب أهل الحق: أن الوجود من حيث هو هو، أي: لا بشرط شيء معه هو الحق تعالى، وإن هذا الوجود واحد بوحدة لا تزيد على ذاته، وأنه وجود خارجي، فهذه دعاوى ثلاث ثابتة فيه عندهم.

مسألة

إذا كان لهذا الوجود الوحدة الذاتية، فما هو في الخارج منه، أو في الذهن من الأفراد، فإنما هو أفراد حصصية لا حقيقية، كما تقول: إن القيام من حيث هو واحد، فإذا أُضيف إلى زيد قيل: قيام زيد، وإذا أُضيف إلى بكر قيل: قيام بكر وهكذا، وإذا قطعت النسبة عنهما؛ رجع القيام شيئًا واحدًا.

مسألة

قولنا: «لا بشرط شيء» يُفهم منه: أن جميع ما يعتبر لهذا الوجود من كونه كليًّا، أو جزئيًّا خارجيًّا، أو ذهنيًّا خاصًّا أو عامًّا أمرًا اعتباريًّا، أو حقيقيًّا إلى غير ذلك من وجوه الاعتبارات، ليس يُراد به هذا الوجود الحق المذكور؛ لتقيُّد ذلك وإطلاقه.

نعم هذا يكون له باعتبار تنزُّلاته في مراتبه، وظهوراته فيها كالماء، فإنه من حيث ذاته لا لون له، فإذا ظهر بالأواني المتلوِّنة؛ تبعها في اللونية، فقيل فيه: إنه أحمر أصفر، فاكتسب الوصفين من ظهوره في الإناء المتلوِّن، ثم إن هذا الوجود الحق يستره

في أول مراتبه عن كل قيد وتعيُّن؛ فانتفى العلم به حينئذ لذلك، وإنما دلَّت رسله تعالى عليه، والحالة هذه، ولولا الرسل؛ لم يعلم بحال في تلك المرتبة التي لها الإطلاق، فلا اسم له هنا، ولا رسم.

وهذا شأن الذات الأحدية، قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١]، أشار بضمير الغيبة إلى الغيب المطلق الذي ينفي التعيُّن والعلم، وإنه هو الله الأحد، ثم إن التعيُّن والمعرفة كانا له تعالى باعتبار واحديته، وعند تجلياته بصورها الأسمائية والصفاتية.

فالمرتبة الأولى: هي الكنـز المخفي المشار إليه بقوله تعالى في الحديث القدسي: «**كنت كنـزًا مخفيًّا**»[١].

والمرتبة الثانية: مترتبة المحبة، مرتبة فأحببت أن أعرف، فكان هذا الوجود هو المعلوم المجهول، قال ﷺ: «**سبحانك لا أُحصي ثناء عليك**»[٢] أي: لا أبلغ كل ما فيك.

وقال ﷺ: «**ما عرفناك حق معرفتك**»[٣].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الأنعام:٩١]، والأدلة على هذا المدَّعى مذكورة في كتبهم، ثم إنه لَمَّا كان لهذا الوجود الحق الاعتباران السابقان: أي اعتبار من حيث أحديته وعدم العلم به، واعتبار من حيث واحديته والعلم به من حيث تجلِّياته الدالة عليه بأنه لا إله إلا هو؛ توهَّم السعد -رحمه الله- من هذين الاعتبارين: إن

---

(١) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ١٧٣)، والمناوي في «التعاريف» (١/ ٥٦٨).

(٢) رواه مسلم (١/ ٣٥٢)، والترمذي (٥/ ٥٢٤) بنحوه.

(٣) ذكره المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٤١٠).

الوجود كلي طبيعي عند القوم، لا وجود له إلا بوجود أفراده.

وتوهُّمه مدفوع كما نبَّهنا عليه من أنه له الوجود الخارجي على كلتا الحالتين، إلا أنه في الحالة الأولى لم يعلم أصلاً، وإنما علم بدلالة الرسل عليه، ولا يلزم من عدم العلم بالشيء، عدم ذلك الشيء في الواقع[1].

---

(١) **قال الشيخ المصنف**: واعلم أن الحق تعالى عند السادات الصوفية -رضي الله عنهم- هو الوجود المطلق عن كل قيدٍ، حتى عن قيد الإطلاق، وليس هو أمرًا كليًّا كما توهمه بعضهم حتى يُقال: إن الكليَّ لا وجود له في الخارج، بل هو واحدٌ لو أحسَّ لكان مشخصًا.
وبهذا الاعتبار: أي باعتبار إطلاقه وعدم تقيده لا اسم له ولا رسم، ولا يُعلَم من جهةٍ أصلاً إلا من جهة أنه لا يُعلَم، كما أخبر الرسل عن ذلك.
وهذا الإطلاق أُخِذَ الوجود فيه بشرطٍ لا شيء، وتُسمَّى هذه المرتبة مرتبة الأحديَّة، والذات البحت، والعماء، وجمع الجمع، والغيب المطلق، وغيب الهويَّة، ونشاء ذلك للوجود الحق وذاته، مع إطلاقه من الاعتبارات الملحوظة في الرتب التي تحت هذه المرتبة، وإلا فهذه المرتبة من حيث ذاتها لا علم بها، فضلاً عن الاعتبار، وهو تعالى بهذا الاعتبار غنيٌّ عن العالمين؛ حيث إن ذاته الأقدس لا تعلُّق له بشيءٍ أصلاً؛ لإطلاقه وعدم تقيده، فلوكان له تعلُّقٌ بالغير لم يثبت له الغنى الذاتي، فهو أحدٌ من جميع الوجود أحديةً لا يُتصوَّر معها اثنينيَّة.
كما قال ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه**»: أي وهو الآن على ما عليه كان.
كما قال ذلك بعض العارفين، وهذا هو التوحيد الخالص.
بخلاف ما ذهب إليه الحكماء، وزعموا أنه هو التوحيد، فنفوا صفاته الزائدة على ذاته، وقالوا: إنه تعالى علة العلل وقديمٌ لم يزل، ولم يشعروا أن العلة تقتضي معلولاً، وأنه تعالى يكون محل الصدور، فيثبت الأين معه تعالى.
وقد كان تعالى غنيًّا عمَّن سواه، أحدًا من كل جهةٍ، فبطل ما ذهبوا إليه من دعوى التوحيد الخالص، مع ما لزمهم مما ذكرناه.
وأما ما ذهب إليه السادات من إثبات تلك المرتبة المتقدمة فهو مما لا غبار عليه.
وهو أول المراتب وأعلاها، والمرتبة التي تحتها هي أن يؤخذ الوجود الحق بشرط شيءٍ: أي بشرط =

=

جميع الأشياء اللازمة له: كليِّها، وجزئيِّها، المُسماة بالأسماء والصفات، النسب الإلهية التي لا توصف بوجودٍ ولا عدم، وهذه المرتبة تُسمَّى مرتبة الألوهية، ومرتبة الواحدية، ومقام الجمع.

قال تعالى: ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾ [البقرة: ١٦٣]: أي من ترجع كثرة الأسماء والصفات إليه، وهذه المرتبة باعتبار الإيصال لصور الأسماء - أعني الأعيان الثابتة والحقائق الكونية- إلى كمالاتها على حسب استعداداتها في الخارج تُسمَّى مرتبة الربوبية: أي مرتبة الأفعال الإلهية، كالإحياء والإماتة، والقبض والبسط، والخفض والرفع، إلى غير ذلك من الأفعال المُسمَّاة من جهةٍ بالشئون الإلهية.

قال تعالى: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن: ٢٩]، وقد أشير إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿**سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ**﴾ [الرحمن:٣١] أي: من هذه الشئون، وهي: أي مرتبة الربوبية تقتضي مربوبًا، كما أن الإلهية تتطلب مألوهًا، فهنا لا غنى، فافهم.

قال حضرة الشيخ مُشيرًا إلى هذا:

فالكلُّ مفتقرٌ ما الكلُّ مستغنِ ... هذا هو الحق قد قلناه لا نُكنِّي

فإن القادر يطلب مقدورًا، والعالم يطلب معلومًا وهكذا، وهذا أمرٌ ظاهرٌ، فإذا تأمَّلت ما أشرنا إليه فقد خلصت نفسك من شبهاتٍ لا يمكن ردَّها إلا بما ذكرناه من اعتبار المراتب، والأمر في ذلك سهلٌ، ثم أن البرزخ بين المرتبتين الذي تفرعتا منه، والناظر إليهما هو التعيُّن الأول، وهو العلم الذاتي الذي تعيَّنت به الذات البحت، بواسطة الحب الذاتي، المُشار إليه بقوله في الحديث القدسي: «**كنتُ كَنزًا مَخفيًّا لم أُعرفْ، فأحببتُ أن أُعرف، فخلقتُ الخلق، وتعرَّفت إليهم، فعرفوني**».

هكذا رواه حضرة الشيخ بالمعنى، وفي رواية أخرى: «**فبِي عرفوني**».

عبَّر في هذا الحديث عن الذات البحت بالكنز بجامع النفاسة والاختفاء، وعن هذا التعيُّن الأول بالعلم الذاتي بقوله: «**فبِي عرفونِي**»؛ لأن علمه تعالى عين ذاته، وإنما كان التعيين الأول بالعلم الذاتي؛ لأنه أقدم الصفات، مع أن علم الشيء بنفسه من ضرورياته، على أن علمه بذاته تعالى يستلزم العلم بسائر كمالاته فافهم، نعم صفة الحياة مقدمةٌ على العلم تقدُّم الشرط على المشروط؛ إذ من شأن العالِم أن يكون حيًّا، لكن القصد للمشروط، فكان أشرف الكل وأقدمها، لا يُقال علمه بذاته تعالى يقتضي الإحاطة بكمالاته، وكمالاته لا يُحاط بها لعدم تناهيها، فهو تعالى لا يُعلم ذاته؛ لأنا نقول: العلم الذي يقتضي الإحاطة هو الحصولي لا الحضوري، على أن علمه

=

=

بذاته عين ذاته، فلا إيراد، وصورة هذا التعيُّن الأول هو التجلِّي الذاتي الأول أي: التجلي بصورة هذا التعيين الذاتي، فتجلَّى تعالى لذاته بذاته في ذاته، فحصل علمٌ وعالمٌ ومعلومٌ، ووجد الذات نفسه من غير توهُّم سبق خفاءٍ واستتارًا، بل ذلك مجرد اعتبارٍ لا حقيقة؛ فإن الأمر كائنٌ لا محالة، وهذه الثلاثة الحاصلة من هذا التجلي: أعني العلم والعالِم والمعلوم.

وإن شئت قلت: المتجلي والمتجلى فيه والمتجلي له هو شيءٌ واحدٌ ذاتًا مختلفٌ اعتبارًا.

قال حضرة شيخي: يعني ترجع هذه الثلاثة إلى شيءٍ واحدٍ، وهو الذات البحت، قبل اعتبار هذا التعين والتجلي الذاتيين، فإن مرتبة الأحدية المنطوية على كل شيءٍ تنفي التعدد والتغير لذاتها، وقد بقي مرتبةٌ واعتبارٌ ثالثٌ للوجود، وهو ألا يأخذ بشرط شيءٍ، ولا بشرط لا شيء، ويُسمَّى الذات بهذا الاعتبار بالهوية السارية في جميع الموجودات، وبقي اعتباراتٌ متداخلةٌ فيما ذكرناه من المراتب، وسيأتي التعرض لها إن شاء الله تعالى.

وقد جعل العارف الفرغاني في مقدمته على شرحه لتائية سيدي عمر بن الفارض أول تعيُّنٍ تعيَّن به الحق تعالى هو الوحدة الذاتية أي: غير الزائدة على الذات الأقدس، بمعنى أن ما يُنسب إلى ذاته تعالى يُنسب إلى هذه الوحدة، ولها اعتباران أصليان:

أحدهما: سقوط الاعتبارات عنها بالكلية، وتُسمَّى الذات بهذا الاعتبار بالاسم الأحد، ومتعلقه بطون الذات وإطلاقها وأزليتها.

والاعتبار الثاني: ثبوت الاعتبارات الغير المتناهية لها: أي لتلك الوحدة الذاتية، مع اندراجها فيها اندراجًا جُمَليًّا في أول رتب الذات، وتُسمَّى الذات بهذا الاعتبار بالاسم الواحد، ومتعلقه ظهور الذات ووجودها وأبديتها، فكانت الوحدة المذكورة برزخًا بين هذين الاسمين ومنشأً لهما، وهما متفرعان منها.

وهذه الاعتبارات الثابتة للواحد في أول رتب الذات لا مغايرة بينها ولا تَميُّز ولا تفصُّل، بل لا مغايرة بينها وبين الذات في هذه المرتبة، بل هي عين الذات، بمعنى أن كل ما يُضاف إلى الذات يُضاف إليها: من الجمعية والاشتمال على الكل، حتى أنه لا مغايرة في هذه المرتبة بين هذين الاعتبارين المذكورين؛ لأن هذه المرتبة لذاتها تنفي التعدد والغيرة، فإذن كلٌّ من الاعتبارات عين الآخر بل عين الذات؛ لما أسلفناه وقدَّمناه.

قال العارف الفرغانيُّ: ولا يعرف ارتفاع المغايرة بين الاعتبارات في أول رتب الذات، إلا من ارتفع حالاً ومقامًا عن التقييد بالمراتب المقيَّدة بأحكام الكثرة.

=

مسألة

قولهم: «إن الوجود من حيث هو هو؛ هو الحق تعالى» أي: يعبِّرون عنه تعالى بهذا الوجود، حيث لم يكن شيء ترجع إليه كل الأشياء في جميع مراتبهم إلا هذا الوجود المطلق عن كل قيد المتقيِّد بكل قيد، انتهى.

ثُمَّ ليعلم أن إدراك علم التصوُّف يكون بأحد طريقين:

الطريق الأعلى: هو الذوق، والحصول بالنفث في الروح.

والثاني: يكون بالأخذ من الكتب المدوَّنة للقوم ﷺ، لكن بشرط شيخ عالمٍ به أو ذائق، وهذا الوجه يُعدُّ من الكشف كما ذكره سيدنا العارف ﷺ في «**الفتوحات**»، ولا

=

ولارتفاع حكم هذه المغايرة في هذه المرتبة حكم بعض أكابر المحققين من أهل الله بأن (الواحد الأحد) اسمٌ واحدٌ مركبٌ كـ (بعلبك)، وعني بهذا البعض حضرة سيدنا الشيخ قدَّس الله سرَّه.
ويُسمِي بعضهم هذه الاعتبارات المندرجة في الوحدة في أول رتب الذات بالشئون الذاتية، وهي مسمَّى الأسماء الذاتية والنسب الإلهية المتفصلة تفصيلاً لا حدَّ له ولا عد، في ثانى رتب الذات الأقدس مرتبة الأسماء والصفات، ويدل عليها باطن اسم الله، وباطن اسم الرحمن، والاسم الأحد، والواحد، ومفهوم جميع أسماء الضمائر ومفاتيح الغيب، فالذى يعيَّن هذه الشئون والاعتبارات ما في المرتبة الثانية، كباقى المراتب من الصور والآثار، بغيبها وأزلية أزليتها.
ولهذا الغيب الذي يعين ما فيه ما ذكرنا، وقعت الخشية والرهبة لسيدنا محمد ﷺ المشار إليهما بقوله تعالى: ﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ**﴾ [الأحقاف:٩]؛ لأنه ربما يكون في هذا الغيب والرتبة الأولى ما لم يتعيَّن بالمرتبة الثانية بعد،
فالاطِّلاع على ما في علمه تعالى لا يُوجِد الاطِّلاع على سائر هذه الاعتبارات الغيبيَّة والشئون الذاتية.
يشهد لذلك قوله ﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك**»: أي لا أبلغ كل ما فيك. انظر: كشف الأسرار شرح صلاة الشيخ الأكبر (ص٨٠) بتحقيقنا.

خفاء فيه؛ لأنه علم، والعلم صفة انكشاف.

والطريق الأول عليه المعوّل، فإن الطريق الثاني لا يخلو عن خبط وحيرة، فإن أهل الذوق والشهود إذا رأوا الحال على ما هو عليه في الأمر الإلهي، عبَّروا عنها بألفاظ كيفما اتفق، ولا يتحاشون في ذلك عمَّا يرد على ظواهرها، كقوله: «إن الحق تعالى هو الوجود من حيث هو هو»، فإنهم بالمشاهدة والعيان رأوا أن الحق تعالى الواجب الوجود هو الذي قامت به السموات والأرض وما بينهما، وهو قيُّوم كل شيء، فلم يروا شيئًا يعم هذا الأمر ويناسبه، إلا الوجود المنـزَّه عن كل قيد، فعبَّروا عنه تعالى بذلك اللفظ.

وكقولهم عندما رأوا أنه تعالى لا يخلو شيء عنه: إن العارف لا يكون عرافًا حتى يرى هَوية الحق سارية بكل شيء، وهذا بظاهره حلول، كما إن الأول بظاهره صفة وأمر اعتباري، وكقول سيدنا العارف عندما رأى أن كل شيء لابد وأن يرجع بباطنه إلى الحق شعرًا:

الــرَّب حــقُّ والعَبــد حــقُّ يَـا لَيْـت شِـعري مِـن المكلــف
إنْ قُلــت عَبــد فَــذاك ميِّــت أو قُلــت رب أَنِي يُكلّــف

وهذا بظاهره اتِّحاد وشرك، فبهذا المذكور غلط من غلط، وهم قسمان:

قسم: متصوِّفة، يعني: إنهم مشغوفون بمطالعة كتب القوم، ويتكلَّمون بما تكلَّم القوم به، وهم جهلة لا يدرون مبادئ العلم فضلاً عن مقاصده، ويزعمون أنهم على الحاصل، وهم على الفائت، وهؤلاء هم الجهلة المارقون من الدين يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد:٣٣]، فجهلهم في هذا جهل مركب، وحمار القوم أحسن وأهدى منهم، ومثل هؤلاء يكونون علة غالبة للتكلُّم على القوم، والاعترض عليهم.

والقسم الثاني: من هو من أهل العلم، إلا أنه ليس لهم هذا المشرب العذب، فيسمع كلامًا ظاهره الحلول أو الاتِّحاد، أو أنه مخالف لظاهر الشريعة في الجملة، فيقول على القوم ﷺ بحسب ما ظهر له من حال كلامهم من أنهم حُلولية، أو اتِّحادية، أو وجودية، أو إباحية، أو زنادقة، كهذا العلامة السعد -رحمه الله وعفا عنه- فإنه عبر بهذه الرسالة عن القوم عمومًا، وعن الشيخ الأكبر خصوصًا بهذه التعابير الشنيعة.

ومن علماء الظاهر مَن لزم الأدب وسكت، ووكَّل العلم في شأن كلامهم إليه تعالى، وأحبَّهم وسلَّم لهم، وهذا هو المنهج الأسلم، وعلى كل حال فشأن كلامهم، الإشارة لا صريح العبارة، بل لهم رموزات خفيَّات لا تُدرك إلا من طريق الكشف، والذوق الصحيح، إلا أنه قد اشتهر فيما بين العلماء بأحوال كلام هذا لعارف الهُمام من أن الممارسة على مطالعة كتبه لمن له الأهلية في الجملة، تُورِّث الفتح الإلهي فيها، فإنه من شأنه ﷺ في تأليفاته أن يفسِّر بعض كلامه السابق بلاحق منه، فيقول: وهذا معنى قولي فيما تقدَّم كذا وكذا، فمِن هذا يحصل للمتأمِّل إدراك الباقي في الجملة، فإنه ﷺ ما تكلَّم بشيء في كتبه قد أحاله العقل السليم، أو ردَّه الفكر الثاقب.

فإن كلماته حكم مرجعها إلى العلم اللدني، تظهر لمن فتح الله عين بصيرته، وإذا حُجبت فإنما تُحجب عن ذي الفهم السقيم، أو عن منكر أساء الظن به، فصاحب العقل والعين، أو صاحب أحدهما؛ هو الذي يُسقى من رحيق كلامه المختوم، ويتنافس في دُرر مبانيه، وجواهر معانيه، وهذا هو الفضل العظيم، والخير الكثير، والرزق المقسوم،

نحن قسمنا قدرنا، ولله در القائل:

أمَولاي مُحيي الدين أنت الذي بَـدت عُلومَـك فِي الآفَـاق كَالغيْـث إذا هَمـا

فَكـشفت مَعنـى كُـل عِلـم مُكتـم وأوْضحتَ بِالتحقيق مَا كَـان مُـبهَمَا

وأنت إذا تأمّلت ما نذكره من كلام السعد -رحمه الله- ومن كلام هذا الختم، الوارث المحمّدي، وجدت البَوْن بين الكلامين.

فأُريها السُهى وتريني من وجهها القمر، فسارت مشرقة وسرت مغربًا، وأين الثُّريّا من يد المتناول؟

ونشرع في المقصود، بعون الفتّاح العليم المعبود، وسميته: «**الفتح المبين في ردِّ اعتراض المعترض على محيى الدين**».

* * *

المقام الأول من المقامات السبعة

قال العلاَّمة السعد -رحمه الله- قولهم: إن الوجود من حيث هو هو؛ هو الحق، وإنه واحد بوحدة ليست تزيَّد على ذاته، وإنه موجود خارجي، وليس له إفراد حقيقية، وكل ذلك باطل.

أما أولاً: فلأنه لو كان تعالى هو الوجود؛ لكان ذاتًا قائمًا بنفسه لا معنى، قائمًا بالغير، ولامتنع تثنيته وجمعه؛ لأنه حينئذٍ يكون لفظ الوجود وعلمًا لذات الواجب كلفظ الجلالة، ولا خفاء في امتناع بثنية لفظ الجلالة وجمعه، ولما صح اشتقاق الموجود من الوجود لغةً وشرعًا وعرفًا، ولأن الوجود معروف لكل واحد، وليس الواجب كذلك، انتهى.

أقول: إن نقل هذا المدَّعى عن القوم عمومًا، وعن حضرة الشيخ الأكبر خصوصًا صحيح ومسلم، إلا أن اللوازم التي ذكرها السعد -رحمه الله- هنا باطلة، وغير واردة.

أمَّا الأول: فلمَّا أسلفناه في المقدمة من بيان مذهبهم في هذا، وهو عين هذا المذكور.

وأمَّا كون اللوازم المذكورة باطلة وغير صحيحة، فلاختلاف الموضوع في هذه المسألة، لأن المراد من معنى الوجود عند القوم ﷺ غير ما أراده السعد -رحمه الله- من معناه، وهذا أمر مقرَّر بين العلماء، كما هو مذكور في محلِّه، وإذا تغاير المعنيان من لفظ واحد؛ بطلت الملازمة الخاصة قطعًا؛ لأن اللازم لأحد المعنيين المتغايرين ليس لازمًا للمعنى الآخر.

وإنا قد أسلفنا: أن القوم ﷺ لَمَّا كشف لهم الأمر عن عيان؛ رأوا أن الأشياء

جميعها في كل مراتبها الغيبية والشهادية ترجع إلى شيء واحد، وتقوم به، عبَّروا عن ذلك الشيء الواحد بالوجود، واصطلحوا عليه، حيث لم يكن لفظ أوفق منه في تأدية ذلك؛ لعمومه وشموله، إذ كل الأشياء في مراتبها الخمس قائمة بالوجود الواحد الحق، لا تخرج عنه بحال، وسيأتي ذكر هذه اللوازم فردًا فردًا في كلام العلاَّمة السعد -رحمه الله- وتكلَّم على بُطلانها تفصيلاً هناك، وتطَّلع عليه إن شاء الله مع تمام الإيضاح والإفصاح شعرًا:

جَـاء شَقيــق عَارضـًا رمحــه إنَّ بَنـي عَمـك فيهـم رَمـاحُ

❊ ❊ ❊

المقام الثاني

قوله -رحمه الله-: إن الوحدة عندهم عبارة عن اعتقاد أن وجود الكائنات حتى وجود الخبائث والقاذورات، هو الله تعالى، ولا يخفى ما في هذا من الكفر الصريح عند كل أحد، انتهى.

أقول: أراد السعد -رحمه الله- بضمير الجماعة: الذكور العائبين الشيخ الأكبر، ومَن حذا حذوه من القوم القائلين بوحدة الوجود، ثم إن عين هذه العبارة لم تقع في كلامهم خصوصًا في كلام سيدنا العارف الشيخ الأكبر، فإنه ﷺ لم يستعمل لفظ الجلالة عند تنبيهه على وحدة الوجود؛ تعظيمًا لشأنها، وإنما استعمل لفظ الحق، فيقول: إن العالم أو الكون هو الحق، فنحوا القاذورات، وإن كان من العالم، إلا أنه لم يقع التصريح بخصوص ذكره من أحد منهم؛ أدبًا معه سبحانه وتعالى.

قال سيدنا في كتابه «فصوص الحكم»: كُن وقايته في الذمِّ؛ كما هو وقايتك في الحمد[1].

---

(١) **قال الشريف ابن ناصر الكيلاني: قول الشيخ: (واجعلوا ما بطن منكم وهو ربكم وقاية لكم)** فإن ظاهرَكم خلْق وباطنهم حقٌّ فاسد، والخير كله مِن المحامد إلى باطنكم، كما جعلتم ظاهركم وقايةً باطنكم في إسناد الشر، فاجعلوا باطنكم وقاية ظاهركم في إسناد الخير.

لما ورد في الخبر الصحيح أنَّ الله تعالى يحب أن يُمدح وفي حديث طويل:

«**وما من أحدٍ أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك وعد الجنة**» رواه الحاكم في المستدرك عن المغيرة ابن شعبة ﷺ.

فالحق المحامدُ إليه، كما تُلْحقُ المذام إلى نفسك، كما هو فعْل الأدباء، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] وإنما عرَّفنا الله تعالى بأهل الأدب وحكى لنا حكايته ﷺ، حتى نتأدَّب بآدابه تعليمًا لنا وتنبيهًا وتعظيمًا له وتنويهًا.

=

فقول السعد: حتى وجود الخبائث والقاذورات، هو الله، لم يصح جملةً ولا تفصيلاً عنهم ﷺ هذا، ومعنى قولهم ﷺ: إن العالم هو الحق تعالى، يعنون بهذه العبارة إنه لو قطع النظر عن خصوصيات العالم؛ رجع الأمر إلى الباقي، وهو الحق، إذ كل شيء من العالم به ذرة منه، لا قيام له بنفسه، وإنما قيامه بالوجود الذي هو الحق تعالى؛ لأن

=

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ [النحل:١٢٣] فلهذا كان ﷺ يقول في الأدعية المأثورة معلّمًا لنا «**والخير كله بيديك والشر ليس إليك**» فافهم.

فإن الأمر الصادر منكم إمّا ذم، فهو لكم وأنكم سواد الوجه في الدّارين كل يشاكلُه عمله، وإمّا حمد، له الحمد في الآخرة والأولى، وأخبرًا عَلِم الخلْقُ به ﷺ أن الحمد لله على كل حال ما قيده بشيء حتى الأمر في جميع الأحوال سواء كان بواسطة أو بغير واسطة، وإن شئت قلت في الجمع أو الفرق، فإن له عواقب الثناء وذلك؛ لأن الحمد هو الثناء، والثناء على قسمين: ثناءٌ عليه بما هو له كالثناء بالتسبيح، وثناء عليه بما يكون منه وهو الشكر على من أسبغ النَّعماء وإلا لا.

والعبد وما في يده لمولاه فلا يملكُ شيئًا؛ حتى يكون الحمدُ بما هو له، ولا يُخرج منه شيئًا، فإن خروج الشيء عن الشيء فَرع أنْ يكون له شيء، وقد قلنا أنه ليس له من الأمر شيء، فالحمد لله كله له، فافهم.

فكونوا وقايته في الذَّم فتكونوا كالوقاية من أسنَّة المكاره وسِنان اللسان، وأضيفوا كل مكروه إليكم فداءاً له.

(واجعلوا وقايتكم في الحمد): أي ألحقوا الوجود والخير كله إلى ربكم؛ ليكون الخلاص لكم الخلاص مِن شرور الزهو والظهور.

قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج:٣٧] فالظاهر مُتَّقي والباطن مُتَّقي فالكل مُتَّقي وهو الكل أنه.

قال تعالى: ﴿أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦] هذا حقيقة أعوذ بك منك، فافهم. وانظر: حكم الفصوص (ص٣٧٥) بتحقيقنا.

العدم نعت ذاتي للعالم لا يصحُّ له الوجود إلا إذا قام بالوجود الحق، فلا وجود للحق تعالى، والعدم لك، وإذا وجدت فإنما توجد بوجود مُستعار، فما خرج شيء عن الحق تعالى، بل الكل راجع إليه، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:١٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق:٨].

مسألة

إن قلت: إن قولهم: إن العالم هو الحق، أو إن الكل هو تعالى أمر فظيع؛ بل هو كفر كما قال السعد.

قلت: هنا زلت أقدام الجهلة ممن يدَّعي علم القوم، ووقع الناس في الإنكار عليهم، والمخلص من هذا هو أن يُقال: مادام العالم بخصوصياته كهذا زيد أو شجر أو قمر؛ فهو غير الحق قطعًا، وإن القول بأنه والحالة هذه هو الحق؛ كفر بإجماع الأمة بلا توقف، وإذا قطع النظر عن الخصوصيات، واضمحلت بتمامها، وخرجت عن كونها زيدًا أو شجرًا أو قمرًا، ولم يبقَ سوى الوجود الباطن الذي هو من ورائها وحده لا غير؛ رجع العالم إلى أنه هو الحق تعالى.

فالعالم بقطع النظر عن خصوصياته وتعيناته؛ هو الحق تعالى، وباعتبارها هو غير قطعًا، والقول بأنه هو الحق؛ كفر قطعًا، ثم إن حضرة الشيخ الأكبر جعل الوجود الحق بمنـزلة مرآة، وإن المكونات صور ظهرت فيها، أو إن المكونات بمنـزلة مرائي، وإن الوجود الحق ظهر فيها، فارتبط الشيء، ودار الأمر بين حق وخلق من غير أن يكون شيء من الحق في الخلق وبالعكس، كما إنه ليس من المرآة شيء في الصورة، ولا شيء من الصورة في المرآة، وحينئذٍ فالقاذورات ونحوها لا تُردُّ على القول بوحدة

الوجود التي فيها كمال التوحيد، إذ لا اختلاط لشيء بشيء، وإلى عدم الاختلاط الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن:١٩] أي: بحر الوجود وبحر الإمكان.

وقوله تعالى: ﴿يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:٢٠] على أن القاذورات ليست قاذورات لأنفسها وذواتها، كما إن الطيبات كذلك، وإنما نشأ لها ذلك من عارض ملائم وغير ملائم؛ إمَّا من جهة شرع أو عرف، أو عقل فيهما.

ألا ترى أن الجعل يتأذَّى من رائحة الورد، وإن كثيرًا من الناس من يتأذَّى باللحم الضأني المقلي بالسمن العظيم، وإن منهم مَن يلتذ بأكل الجراد الميِّت، ومن الحيونات ما يلتذ بأكل القاذورات والخبائث، فلو كان الطيب طيبًا لذاته والخبيث خبيثًا لذاته، ما اختلف فيه الحال طيبًا وخبثًا؛ لأن مقتضى الذات لا يتغير، فرجع الحال في الطيب والخبيث إلى الملائم العارض وغير الملائم، فكان الكل شيئًا واحدًا.

وإن السادة ﷺ قالو: إن الاسم القُدوس سارٍ بكل شيء[1]، فرجع الحال إلى أن

---

(١) **قال الشيخ المصنف: مسألة مهمة:** وهي أنا نجد في المحسوس ذا شرفٍ في الجملة كالإنسان والورد وهكذا كل مناسبٍ، ونجد ذا خسةٍ كالكلب والقاذورات وهكذا من غير المناسب، فكيف نقول أن الحضرة سارية به، أم كيف نقول أن ذلك قائم بالحق، بل كيف نقول أنه عين الحق؟!.

الجواب: أن الأشياء كلها الاسم القدوس سارٍ فيها، فهي بهذا الاعتبار على حدٍّ سواء، ولكن غير مناسبٍ، وذو الخسة منها إنما عرض له ذلك من أمرٍ خارجٍ، إما شرع أو عقل أو عادة، لا من حيث كونه مظهرًا للحق، فالكلب مثلاً قبحه الشرع مع أن العادة تألفه، فإن فيه خواص الحرس والزمام والحرص، بل تميل القلوب إليه عند كثيرٍ.

=

القول بوحدة الوجود كلام لا غبار عليه، ولا اعتراض لديه عند مَن له هذا المشرب دون علماء الرسوم الناظرين إلى المباني، لا إلى ألباب المعاني، وتراهم كالعِهن المنفوش، كما قال ابن الفارض سيدنا العارف عمر المصري:

=

فلو كان حسنه وقبحه ذاتيين لاستوى ذلك عند الجميع، والحال ليس كذلك، والورد مثلاً وإن مال إليه القلب عادةً فإن الجعل يكرهه.

فلو كان شرفه لذاته لم تقع الكراهة فيه لشيء أصلاً، ألا ترى الجراد فإنه يؤكل عند البعض ويجد فيه اللذة مع أن البعض لا يأكله ولو بألوف، وكذلك العنب فإن كثيرًا من الناس يكرهه مع أنه من أنفس ما يتفكه به عند جمع.

فلو كان ذلك ذاتيًا لم يختلف الحال حُسنًا وقُبحًا.

وكذا القاذورات فإن الحيوانات يقتتان عليها ويبادرن إليها بعد تقلبها في الأطوار الرديئة عندنا.

فلو كان ذلك ذاتيًا لوقع الاتفاق، وهكذا باقي الأشياء جميعها حسنها وقبيحها.

وقس الصفات مثلاً: الشجاع يجد اللذة في القتل ونحوه، مع أن الجبان يكره ذلك، وكذا الوطأ ذاته فإنه بالنكاح أمرٌ مستحسنٌ، بالسفاح أمرٌ مكروهٌ محرمٌ مع أن الفعل واحد، وهذا أمرٌ لا ينكره ذو عقلٍ، فإذن رجع التحسين والتقبيح إلى الملائمات وعدمها لا إلى ذات الأشياء، وإذا [كان] هذا، فالكل مظاهره وقائم به.

وكونه عينًا ليس معناه أن الإنسان ونحوه هو الحق تعالى من حيث الخصوصيات، فإن هذا كفرٌ بإجماع، بل معناه أننا إذا قطعنا النظر عن الخصوصيات: أي عن كون الشيء إنسانًا أو حمارًا.

وهكذا رجع الجميع إلى شيءٍ واحدٍ هو الحق تعالى، والله أعلم والهادي.

وقد ذُكر في هذه الجملة من الاصطلاحات الهوية والسر. انظر: كشف الأسرار (ص١٣١).

تمسَّك بأذيَال الهوى واخْلع الحَيا وخَل سَبيل النَّاسِكين وإنْ جَلوا

فالقول بوحدة الوجود، هو السرُّ المصون، والجوهر المكنون، وبه يندفع كثير من المشبه، ويتحقَّق العلم الإلهي، إلا أن الغلط فيه كفرٌ صريح، وضلالٌ مبين، وأظن أن المتحقِّق في هذه المسألة أندر من كل نادر، ولولا عناية سبقت لهذا الحقير من ملاحظة شيخي الشيخ محمد أكرم-المولوي- في آخر أمري في هذا البحث؛ لكنت على خطر عظيم، ولقد لقيت عددًا لا حصر لهم يتكلَّمون بالوحدة، وهم على شفا جرفٍ هار، نسأل الله العافية.

والكلام في هذا البحث طويل الذيل جدًا، اقتصرنا على ما لا بد لنا فيه من الردِّ والذَّب، ولله در هذا العارف ﷺ حيث قال بهذا المعنى شعرًا:

بَيـن الـتَّدلُّل والتـذلُّل نُقطـة فِيهـا يَتيـه العـالِمُ النحـريرُ

هي نُقطـة الأكـوان إن جَـاوزتَها كُنتَ الحكيمُ وعِلمـك الإكسيرُ

فإن فهمت ما مضى؛ هان عنك فهم ذلك، وقد ذكرنا قبل أن القصد الذَّب والبيان، فنترك ألفاظ الطعن الواردة من السعد في حق هذا العارف في هذا المقام.

❊ ❊ ❊

المقام الثالث

قوله -رحمه الله-: إن مذهبه، يعني: الشيخ الأكبر: أن ذوات الممكنات من الأرض والسموات وما بينهما من المكونات، على ما ذهب إليه السوفسطائية؛ سراب وخيال لا حقيقة له، ويلزم منه ألا يكون للملائكة ورسلهم، ولا للأنبياء وأممهم، ولا لشرائعهم ومِلَلِهم، ولا للجنة والنار، ولا للبشارة والإنذار، ولا للكتاب والحساب، ولا للثواب والعقاب تحقُّق في الخارج، بل هم سراب وخيال.

أقول: لما كان هذا كفرٌ بإجماع أهل الملل؛ للزومه تكذيب كل الرسل، والكتب المنـزَّلة، وهذا بالحقيقة راجع لتكذيب الحضرة الإلهية.

تلا هنا السعد -رحمه الله- قوله تعالى معرضًا بالشيخ الأكبر: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد:٤٣].

وإني أقول: أنا لم أقف في كتب سيدنا العارف بالله على عين هذه الجملة، وإن المذكور في كلامه بكتاب «**فصوص الحكم**»: إن العالم خيال، وتارة قال: إن العدم نعت ذاتي للممكن، وفي عباراتهم ﷺ: إن العالم عدم محض، وهذه الجمل بمعنى ما تقدَّم عن السعد، إلا أنه بيَّن مذهب السوفسطائية ومذهب القوم، خصوصًا هذا العارف في هذه المسألة، كما بين الأرض والسماء تقريبًا، وعند البيان يظهر الحال.

فإن مذهب أهل الحق في المكونات من أنها عدم محض، راجع إلى أصل لا بدَّ من بيانه أولاً؛ حتى يظهر مرادهم في ذلك، وهو أن حقائق المكونات وماهيتها عبارة عندهم عن الصور العلمية المسمَّاة بالأعيان الثابتة؛ لثبوتها في العلم، وعدم براحها عنه، حيث إنها لم تشم من رائحة الوجود الخارجي، فضلاً عن كونها موجودة، ومجموع هذه

الصور؛ هو الحضرة العلمية؛ وهي صور أسمائه تعالى وصفاته، ولو شمت هذه الأعيان من رائحة الوجود الخارجي، لزم حدوثها، ويلزم منه حدوث العلم القديم، وهذه الحقائق هي المرائي التي ظهر بها ظل الوجود الحق، أو هو مرآتها؛ وهي ظهرت به قولان تقدَّم بيانهما.

وإنما قلنا: إن ظلَّ الوجود هو الظاهر لا نفس الوجود؛ لأن الوجود الحق في مرتبة أحديته الأزلية لا تعلُّق له بمظهر أصلاً، وظهوره إنما يكون باعتبار تجلِّياته على حسب شئونه لا باعتبار ذاته، فكان الظاهر ظله لا هو في هذه المرتبة الواحدية.

وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ**﴾ [الفرقان:٤٥] أي: ظل الوجود على الأعيان، ولو شاء لجعله ساكنًا، فحصل لهذه الأعيان بهذا الامتداد الوجود العلمي؛ فكانت صور أسمائه تعالى وصفاته، فهي بباطنها وجود حق، وبظاهرها خلق، فهي الحق الخلق عندهم، ثم إن هذه الحقائق التي امتدَّ عليها ظل الوجود العلمي سألت بلسان حالها الذي هو أعظم من سؤال المقال من حضرة الواجب تعالى؛ فتجلَّى إليها بما سألته، فأفاض عليها من خزانة جوده، فألبست آثارها حلل الوجود الخارجي، فكان هذا المكون الغيبي والحسي ظلَّ هذه الأعيان حقائق المكونات وماهياتها.

وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [النحل:٤٠]، فالشيء المأمور والمخاطب بقول «كُن»[1] هو هذه الأعيان،

---

(١) **قال الشيخ المصنف**: والمراد بلفظ: (كن) المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [النحل:٤٠]، فكلمة (كن) هي الكلمة الفهوانية، وإنما قيدها بالفهوانية =

لإخراج الكلمة الوجودية، فإن مادتها النفس الرحماني، وهو الرق المنشور الذي قبل العالم المشار إليه بالكتاب المسطور.

فكان كل فردٍ من العالم كلمة وجودية؛ إذ الكتاب مجمل تفصيله الكلمات، وعند البعض قول (كن) عبارة عن مقابلته تعالى الأعيان الثابتة عند استعدادها لقبول الوجود الخارجي، فتعقله تعالى إياها هو عبارة عن قول (كن فيكون).

قول الشيخ: (الكلمة الفهوانية) تصريحًا بمذهبه، وهو ظاهر الآية الكريمة، ومع ذلك لا بدَّ من المقابلة المذكورة عند الجميع، وقوله تعالى: (كن) يكون من وراء حجاب القائل، هذا وكل عين ثابتة في حال عدمها مستعدة لسمع قول (كن) كما نصَّ على ذلك حضرة الشيخ قُدِّس سره، والمادة من حيث هي ما يكون الشيء معها بالقوة.

وأما مادة الكلمة الفهوانية فهي بحسب الظاهر الكاف والواو والنون، وليس ذلك مرادًا بل المراد الشيء الذي يقبل التكون، وهو الوجود العلمي والصور الثابتة.

وعبَّر عن ذلك بالمادة؛ لتوقف أثر (كن) عليه، فكان هو قوامها، فما لبس التكوين تحقق به قول (كن) كما تحقق هو به أيضًا.

وكونه ﷺ بحقيقته مادة الكلمة الفهوانية بهذا المعنى ظاهر؛ لأن الشيء هو الوجود العلمي.

وهو ﷺ نفس ذلك الوجود بل هذا الوجود تفصيله، وظل من ظلاله لسبق حقيقته، وتقدم تعينه الجملي الكلي أن حمل الشيء في الآية على ما تفصل، وعلى كلٍّ فهو مادة الكلمة الفهوانية.

(الطالعة من كن كن إلى شهادة فيكون) الطالعة: صفة لمادة، والكن بكسر الكاف هو المحل الذي يستتر به، ففي الكلام استعارة حيث شبه ظهور الشيء المعبر عنه بالمادة من الغيب بطلوع شخص من كنه بجامع الوضوح بعد الخفاء، أو شبه الغيب الذي كان به الشيء بالكن بجامع الخفاء.

واستعار له لفظ الكن والقرينة إضافته إلى (كن).

وهذه المظاهر الحسية ظلالها، ومن هنا قال سيدنا العارف:

أنــا الْقــرآن والــسَّبع المثـــانِي   ورُوح الــــرَّوح لا رُوح الأوانِي

وقال في الأعيان وظلالها:

=

والطالعة ترشيح مبني على الاستعارة أو باق على حقيقته، والمعنى الظاهر من غيب (كن) إلى شهادة فيكون.

واعلم أن الشيء الظاهر من الغيب إلى الشهادة لا بدَّ لظهوره من أمور الإرادة والأمر: أي قول (كن) والاستعداد من العين لذلك مع القبول له، فكان الشيء الظاهر الموجود كالنتيجة بين مقدمتين.

وقد تطلق الكلمة على هذا الشيء الموجود؛ لأنا قدمنا أنه كلمة وجودية؛ لأنه أثر الكلمة المذكورة.

قال تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٧١]، ولأنه قائم بالنفس الرحماني: أي الوجود المتعين بالتعينات بعد تعينه بالتعين الأول، هذا ويحتمل أن يكون الكلمة الفهوانية هي الطالعة من كن كن: أي من كنها؛ لأن (كن) أول ما ظهر من الغيب، ومادتها ما تحققت به: أي باطنها وهو الوجود المتعين، وقد قدمنا أنه هو الحقيقة المحمدية؛ لأنها عبارة عن الذات مع أول تعين، فكل ما تعين به الوجود الحق كان من وراء حقيقته ﷺ، ويكون قد وضع المظهر أعني (كن) موضع المضمر: أي الطالعة من كنها لنكتة بديعية، وهي الجناس اللفظي، ولأجل مقابلة قوله: (شهادة فيكون)، فكما أضاف الشهادة إلى ما هي له استحسن أن يُضاف الغيب إلى ما هو له: أي إلى لفظه، ولا يخفى ما في قوله: (الكلمة الفهوانية الطالعة من كن كن) على إرادة هذا المعنى من التشبيه بالكلمة اللفظية المبني عن اللطافة والظرافة، حيث أن الكلمة اللفظية تخرج من القلب الذي هو كالكن لها بواسطة النفس المتقطع إلى الفم وبه ينتهي التقطع، فكلما تقطع النفس حدث حرف، لذلك سُمِّي الحرف بالمقطع، فإذا ضُمَّت الحروف وتحصلت الكلمة ظهر معناها، وسموا كلمة (كن) بفلك الحياة، ولا يخفى عليك ما ذُكر في هذه الجملة من الاصطلاحات.

بَـل ثَـمَّ شَيء فَـصـار كَونـاً وكَـان غَيبـاً فَـصـار عَينـاً

إذا تقرَّر هذا، وعلمت أن حقائق الأشياء وماهيتها صور مخزونة في العلم الإلهي، وأنها ما شمت من رائحة الوجود الخارجي، وإن هذا المكون الموجود ظلها وأثرها، فكون المكون عدمًا محضًا، معناه: أنه راجع من هذه الحيثية إلى العدم؛ لانعدام حقائقه في الخارج والراجع إلى العدم عدم، نعم هو باعتبار إن وراءه الوجود حيث ظهر هذا المكون به موجود قطعًا؛ لظهوره بظلِّ الوجود الذي انطبع هو به، فالمكونات موجودة باعتبار ظهورها في الوجود، ومعدومة من حيث أنفسها؛ فلها الوجود المتوازن.

وأمَّا مذهب السوفسطائية: فالمكونات لا وجود لها بحال، فافترق المذهبان، وبطلت اللوازم التي ساقها السعد هنا رحمه الله.

وفيما سيأتي بهذا المعنى، فإن جميع لوازمه المذكورة بهذا المعنى مبنية على عدم المكون مطلقًا، وقد علمت أن المكون عندهم ليس عدمًا مطلقًا؛ بل له الوجود من وجه، وقد أثبت هذا العارف على المنوال المذكور في قوله بخطبة «الفتوحات المكية»:

الحمد لله الذي أوجد الأشياء من عدم وعدمه، فأثبت لها الوجود، فدار الأمر في أن الأشياء دائرة بين وجود وعدم؛ فهي الموجودة المعدومة، فظهر من هذا ومما قبله أن أهل الله تارة قالوا: إن العالم هو الحق، ولا تنسَ المراد منه، وتارة قالوا: إنه عدم، وتارة قالوا: هو موجود، وغير الحق على حسب اعتباراتهم وأنظارهم فيه.

فبطل إيراد السعد هنا، وفيما قبله حيث لم يقف على مراد هذا العارف فيما تكلَّم به، وقد قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨].

وفي هذا نصٌّ وإشارة إلى أن المكونات حق وباطل، وإن الباطل كل آن، يدمغه الحق فيزول، ثم يأتي أخرى بتجلٍّ ثانٍ، ولأجل هذا قال ﷺ: «**أصدق كلمة قالها لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[١]؛ لأنه أظهر الأمر على ما هو عليه، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨][٢] أي: وجه الشيء على ما قاله رجال هذه الطائفة: فقوله: هالك اسم فاعل؛ وهو حقيقة بالحال، فهلاك الأشياء حالي، وبقاء الوجود ثابت بحكم هذا الاستثناء، وسيأتي لهذا مزيد على هذا المذكور إن شاء الله تعالى.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٩٥)، ومسلم (٤/ ١٧٦٨).

(٢)وقد ذكر الإمام الرازي ذلك في مواضع من كتبه قال في «التفسير الكبير»: في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] بعد أن أثبت وحدانية الواجب، فثبت أن واجب الوجود واحد، وأن كل ما عداه ممكن، وكل ممكن فلابد له من مرجح، وافتقاره إلى المرجح إما حال عدمه أو حال وجوده، فإن كان الأول ثبت أنه محدث، وإن كان الثاني فافتقار الموجود إلى المؤثر، إما حال حدوثه أو حال بقائه، والثاني باطل؛ لأنه يلزم إيجاد الموجود وهو محال فثبت أن كل ما سوى الله تعالى محدث سواء كان متحيزًا وقائمًا بالمتحيز، أو لا متحيزًا أو قائمًا بالمتحيز، فإن نقضت هذه الدلالة بذات الله وصفاته، فاعلم أن هناك فرقًا قويًّا، انتهى

المقام الرابع

مما أورده السعد -رحمه الله- على سيدنا الشيخ الأكبر، ومَن حذا حذوه وتبعه في أن الوجود واحد شخصي، وموجود خارجي.

قال السعد: وإن من البين المعلوم أن الوجود من الأمور الاعتبارية، والمعقولات الثانية التي لا يحاذي بها أمر في الخارج، أي: الواقعة في الدرجة الثانية من التعقُّل، فإنا ما لم نتحقق أن لها ماهيات كالإنسان والفرس، والشجر والحجر، لا يمكن أن تعقل أن لها وجودًا، ولا وجود للمعقولات الثانية؛ لكونها كليات إلا في الذهن، كما إنه لا وجود للعام إلا في الخاص، انتهى.

أقول: إن الجواب الكافي في ردِّ هذا كله، هو أن الوجود الذي يراد به الحق تعالى في اصطلاح القوم، هو غير ما ذكره العلاَّمة السعد، وهو بالبديهة غيره؛ لأن ما ذكره السعد مقيَّد بكونه كليًا، والوجود المصطلح عليه عندهم لا يوصف بكلية ولا جزئية، وإن السعد نفسه يعبِّر فيه على لسانهم بالوجود المطلق، على أن نمنع أن الوجود أمر اعتباري، فإنه متحقِّق في نفسه من غير اعتبار المعتبِر.

ألا ترى قوله ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه**»[1]، فإن كان من الكون وهو الوجود؛ فالوجود كائن ولا شيء، فأين اعتبار المعتبِر له، وهو واضح على أن السعد -رحمه الله- موافق للأشعري، والأشعري قسَّم الوجود إلى الواجب والممكن، والمقسِّم متحقِّق في الأقسام؛ لأن المقسَّم يراد به مطلق الشيء المنقسم، وهو هنا مطلق الوجود، فيكون وجود الواجب أمرًا اعتباريًا، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «النوادر» (٤/ ١٠٤)، وذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٢٨٩).

وإن كثيرًا من العلماء صرَّحوا بالفرق في معنى الوجود بين أهل الحق، وأهل النظر، فقالوا: إن الوجود عند أهل النظر أمر اعتباري عارض للماهيات، وقيوم لها، فيقول أهل النظر: اللون للزجاج، ويقول أهل الكشف: اللون للخمر، فبطل جميع ما أورده السعد هنا، كما بطل مُدَّعاه، ولوازمه؛ للفرق بين المعنيين: ﴿**فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى**﴾ [النساء:٩٥]، فما أوقع السعد فيما أوقعه إلا نظره للصدق دون ما بطن فيه من الجوهر، انتهى[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) **قال ابن المظفر**: قال الشيخ صدر الدين ﷺ: الحق سبحانه من حيث وحدة وجوده لم يصدر عنه إلا واحد لاستحالة إظهار الواحد، وإيجاده من حيث كونه واحدًا أو أكثر من واحد، لكن ذلك الواحد عندنا هو الوجود العام المفاض على أعيان الممكنات ما وجد منها وما لم يوجد، مما سبق العلم بوجوده، وهذا الوجود مشترك بين العلم الأعلى الذي هو أول موجود المسمى أيضًا بالعقل الأول وبين سائر الموجودات ليس كما يذكره أهل النظر من الفلاسفة، انتهى.

وعلى هذا كيف يصح أن يقال عن الشيخ وأتباعه أنهم يقولون: إن الوجود العام عين الواجب – سبحانه هذا بهتان عظيم– والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انظر: عين الحياة–بتحقيقنا– طبع دار الآثار الإسلامية.

المقام الخامس

في قول السعد -رحمه الله-: إن الوجود المطلق مع أنهم جعلوه واحدًا شخصيًا منبسط في المظاهر، متكرر عليها بلا مخالطة، متكثِّر في النواظر بلا انقسام، فإن ذلك باطل؛ لأن انبساط الشيء من حيث الذات في الأشياء ما يكون إلا بانقسامه إليها انقسام الكلي إلى جزئياته، فلو كان الوجود المطلق واحدًا شخصيًا أو واجبًا؛ لامتنع أن ينقسم فيمتنع انبساطه، وكذلك تكرر الواحد الشخصي على الأشياء؛ إنما يكون بحصولاته المتعاقبة عليها، وذلك عليها، وذلك لا يمكن إلا بتحيُّزاتها المتعاقبة، وذلك هو المخالطة، فتكرر الواحد بالشخص على الأشياء من غير مخالطة لها باطل، وكذا تكثُّر الشيء في النواظر لا يكون إلا بانقسامه إلى الأجزاء أو الجزئيات، فالتكثير بالنواظر بدون الانقسام باطل، انتهى.

أقول: إن هذا المقام اشتمل على ثلاث دعاوى كما رأيت:

الأولى: منها في أن الوجود الواحد منبسط في المظاهر من غير انقسام، مع أن الانبساط يقتضي القسمة كما ذكره، والجواب عن هذا يظهر بما مثَّل به سيدنا العارف في هذا المقام، حيث مثل لهذا الانبساط الذي هو الامتداد على المظاهر بالنور على الزجاج حيث أن اسمه تعالى النور قد امتدَّ على القوابل حقائق الأشياء، فظهرت ظلالها؛ وهي ما تراه من الأكوان، وما غاب عنك منها كالأرواح.

ولاشك أن الانبساط بهذا التمثيل لا يلزم منه انقسام أصلاً، ولو كانت القوابل متعددة.

ألا ترى أن نور الشمس لو فُرض امتداده على كُواة لا تنتهي عددًا؛ لم يلزم من

امتداده عليها انقسامه، بدليل أن الكُواة لو أُزيلت؛ بقي النور على حالة من وحدته غير منقسم، وشاهد هذا الحس، فإنكاره مكابرة.

ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان:٤٥]، وقد مرَّ تفسير الظل قبل، وقوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، وما ذلك إلا لظهورهما به كباقي المكونات، فالاسم النور هو الذي ظهر به كل شيء.

ثم إن السعد -رحمه الله- فسَّر الانبساط بالإضافة، وقال: هكذا أراد القوم، والذي في عبارة العارف بالله في «الفتوحات المكية» وخلافها، هو ما ذكرناه في ذلك، على أن قوله -رحمه الله- بأن الانبساط يقتضي الانقسام من انقسام الكلي إلى جزئياته، لا ينافي ما ذهب إليه هذا العارف من وجه، فإن طبيعة الإنسان لم تنقسم من حيث ذاتها، وإنما انقسمت باعتبار ظهورها في أفرادها، ففي الحقيقة لم يقع الانقسام إلا للمظاهر، وهذا هو المدعى.

الثانية من الدعاوى الثلاث

في قوله -رحمه الله-: كون هذا الوجود متكررًا على المظاهر بلا مخالطة، مع إيراده الذي أورده هنا عليه، انتهى.

أقول: ليس المراد من التكرار ما فهمه العلاَّمة السعد منه، وساق الاعتراضات عليه، وإنما معناه ما سنذكره بعد، وهذا على فرض وقوع عين هذه العبارة في كلامهم، وإني لم أجد ذلك في عبارة سيدنا العارف، والذي في كلامه بهذا المعنى هو ما ذكره في كتابه «فصوص الحكم»، «والفتوحات المكية» وهو: إن لهذا الوجود الحق تجلِّيات لا عدَّ لها ولا انقطاع، بها يحصل الفيض الإلهي الدائمي على المكونات في كل آن آن، ولو

انقطع هذا الفيض آنًا واحدًا؛ لكان هذا العالم عدمًا محضًا، وشأن هذا التجلِّي الوجودي الحق تجدُّد الأمثال به من سائر المكونات الشهادية في كل آن آن تبعًا للتجلِّي، وإن هذا ليعم الذرات أيضًا.

ولا يخفى أن مَن لازم التجدُّد في الأمثال في الآنات فناؤها فيها أيضًا، ففي كل آن لم يبقَ لعالم الشهادة أثر أصلاً، ثم تجدد الأمثال من غير فاصلة، ولا يكون للمثل عود أصلاً، فإن التجلِّي لا يُكرَّر؛ وذلك لاتساع الأمر الإلهي، فمعنى التكرار عندهم ﷺ هو ما ذكرنا من تجدُّد التجلِّيات، ولَّما كان ذلك صورته؛ صورة التكرار لعدم الفرق بين الصورة الفانية والصورة المتجدِّدة التي خلفتها، فكأنها عادت نفسها، فتوسع في الأمر.

وقيل: فيه تكرار هذا إن صحَّ التعبير به.

ومن هنا أورد السعد -رحمه الله- ما أورده في هذا البحث من المخالطة، وغيرها من اللوازم التي لا تعلق لها أصلاً في هذا البحث من بعد حلِّ كلامهم، وفهم المراد منه على أنه إن أراد بالمخالطة هو أن يكون شيء من الحق في الخلق، فممنوع لِما ذكرناه في الصورة والمرآة، وإن أراد بالمخالطة الملاقاة؛ فإنه لا يضرُّ، إذ ظاهر كل شيء خلق، وباطنه حق عندهم، بمعنى أن كل شيء يرجع من بعد قطع النظر عن خصوصياته، أي: خصوصية كونه شيئًا إلى شيء واحد، وهو الوجود الحق؛ فبطل ما ذكره العلاَّمة السعد في شأن كلامهم هنا بجميع لوازمه، كما هو باطل في السابق واللاحق؛ لتحقُّق الاختلاف في موضوعات المسائل بينه وبينهم ﷺ.

ثالثة الدعاوى

كون الوجود الحق متكثِّرًا في النواظر بلا انقسام، وهو محال، انتهى.

أقول: إن الجواب عن الانبساط يكفي في دفع هذا هنا، ومع هذا أُمثل مِثالاً لدفع هذا الاعتراض، مَثل هذا العارف به في دفع دعوى الانقسام في كتابه «فصوص الحكم» وهو أن الأعداد المتكثِّرة المنقسمة في الظاهرة، هي في الحقيقة عبارة عن الواحد مكرَّرًا، فلا تعدُّد، ولا انقسام في نفس الأمر، وهذا التعدُّد والتكثُّر والانقسام؛ إنما هو باعتبار ظهور الواحد في مراتب العدد، وذلك إن الواحد في أول مراتب العدد واحد، فإذا ظهر في المرتبة الثانية من مراتب الأعداد؛ قيل فيه ثان، وهكذا الثالث والرابع إلى ما لا يتناهى من مراتب الأعداد، فما تكثَّر الواحد أبدًا ولا انقسم، وإنما ظهر في مراتب حكمت عليه بالكثرة والتعدُّد والقسمة من غير أن يكون ثلم لوحدته.

ومتى لم ينقسم العدد؛ لم ينقسم المعدود، وهكذا القول بالوجود الحق، فإن شيء واحد ظهر عند تجلِّيه في مظاهر أسمائه وصفاته بصورة المتكثِّر المنقسم من غير أن ينقسم، وهذا المذكور، إنما هو اعتماد على الذهن، فربما يكون في كتبه ﷺ غير ذلك، إلا أنه لم يخرج عمَّا ذكرناه[1].

---

(١) **قال الشيخ في الباب الخامس والعشرين من «الفتوحات»**: وأما سر المنزل والمنازل فهو ظهور الحق بالتجلي في صور كل ما سواه، فلولا تجليه لكل شيء ما ظهرت شيئية ذلك الشيء، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [النحل: ٤٠]، وهذا هو التوجه الإلهي لإيجاد ذلك الشيء، وهو التجلي لظهوره أن يقول له: كن فيكون، سمع ذلك الشيء خطاب الحق فيكون ذلك بمنزلة سريان الواحد في منازل الأعداد، فتظهر الأعداد إلى ما لا يتناهى بوجود الواحد في هذه المنازل، فلولا وجود عينه فيها ما ظهرت أعيان الأعداد ولا كان لها اسم. =

تتمة

تتعلَّق بهذا المقام، وهي أن الأشعري -رحمه الله- قد ذهب إلى تجدُّد الأمثال في العرض، فإن العرض لا يبقى زمانين عنده، كما هو مُقرَّر، وعلى أن العالم كله يرجع إلى جوهرٍ واحد، فيكون ما ذكره قريبًا مما ذُكر، ذهب إليه سيدنا العارف ﷺ من وحدة الوجود، وتجدُّد الأمثال، وإن اختلفا من جهة ما، وقد علمت أن تجدُّد الأمثال تابع لتجدُّد التجلِّيات، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩] أي: آن، والله أعلم(١).

❊ ❊ ❊

=

ولو ظهر الواحد باسمه في هذه المنزلة ما ظهر لذلك العدد عين، فلا يجتمع عينه واسمه معًا أبدًا فيقال: اثنان، وثلاثة وأربعة، وخمسة إلى ما لا يتناهى، وكلما أسقطت واحدًا عدمت حقيقة الثلاثة؛ فذلك الواحد هو الذي يحفظ وجود العدد، ولو ظهر باسمه بأن يقال: واحد ما كانت الثلاثة، ولا الأربعة، ولا غيرها، كذلك إذا قلت، الله فني العالم، وإذا أخليت العالم من حفظ الله لم يكن العالم وفني، وإذا سرى حفظه في العالم بقي العالم موصوفًا بالوجود، فيظهر هذا، وتجلّيه يكون بقاء العالم.

(١) **قال في عين الحياة (ص١٠٠)**: فإن قلت: المتكلمون فرقوا بين الحدوث و التجدد حيث قالوا: الحادث هو الموجود بعد العدم، وأما ما لا وجود له وتجدد فيقال: متجدد، ولا يقال: حادث كالأحوال والإضافات والسلوب.

قلت: هذا تحرر في إطلاق الألفاظ، وإذا حققنا المقام وجدنا التجدد والحدوث لا تباين بينهما في المعنى، فإذا صح التجدد في المعدومات الخارجية عند من لا يقول بالوجود الذهني، فتكون صحته عند من يقول به من باب الأولى.

المقام السادس

في ذكر لوازم أوردها السعد -رحمه الله- على دعوى: إن الوجود المطلق هو الواجب تعالى.

فقال هنا: لو كان الواجب هو الوجود المطلق؛ لزم أن يكون حقيقة الواجب من أجلى الضروريات؛ لكون الوجود المطلق أظهر الأشياء، ولزم أيضًا من ذلك أن يكون الواجب موجودًا في الذهن لا في الخارج؛ لامتناع أن يكون للوجود المطلق وجود عيني، ولزم أيضًا من ذلك أن يكون الوجود المذكور معدومًا قبل الأذهان ومفتقرًا إليها؛ لأنه لا يوجد المطلق إلا فيها، فإذن ليس الواجب عند القوم في الخارج سوى الوجود اللفظي والذهني؛ لامتناع أن يكون للمطلق وجود عيني، وهم مصرِّحون بذلك[1].

ويقول: لا تعيُّن لوجود الله في الخارج، بل وجوده هو وجود الكائنات على مثال الكلي الطبيعي الذي لا تحقُّق له في الخارج إلا في ضمن جزئياته، فيكون ليس

(١) **قال الشيخ المكي**: القول بأن الواجب هو الوجود المطلق يعني الوجود العام، وهو الوجود بالمعنى المصدري، ومدار هذا القول على نفس الصانع، وإثبات العالم طبائع مستقلة كل واحد منها مبدأ لإفراده، وهذا أفحش أنواع الكفر، فإنه عين التعطيل وهو ضد كلام الشيخ في التوحيد، فهو وإياه على طرفي النقيض، فإن حاصله أن وجود الصانع أمر معقول ذهني، ووجود العالم أمر حقيقي خارجي.

وحاصل كلام الشيخ أن الباري هو الموجود الحقيقي، والعالم هو الموجود الاعتباري الخيالي... (ص٤٨).

للواجب تحقُّق في الخارج من حيث ذاته، بل من حيث مظاهره، وقد تقدَّم أن المظاهر سراب لا تحقق لها، فلا تحقُّق للواجب؛ لعدم تحقُّقه إلا في ضمن المظاهر، وهذا هو حقيقة الزندقة، انتهى.

أقول: إن اللازم الأول سيأتي الكلام عليه في المقام السابع، وأمَّا كون الوجود المطلق لا يوجد إلا بالأذهان، ويلزم منه الافتقار إلى الأذهان، وإنه معدوم قبلها، وإنه لا وجود له عيني، فكله مردود وباطل؛ لأن مبنى هذه اللوازم على أن يكون هذا الوجود المطلق كليًّا ومعقولاً ثانيًا، كما هو كذلك عند النظَّار.

وأمَّا القوم فينـزِّهونه عن كل ذلك حتى عن الإطلاق؛ لأنه عندهم واحد بوحدة، هي عين ذاته، وأن تعيُّنه بذاته ليس بشيء زائدٍ عليه، إذ لا شيء معه في مرتبة إطلاقه حتى يحتاج إلى أن يتميَّز بأمر زائد على ذاته في تلك المرتبة الأحدية الذاتية التي تأبى لذاته التعدُّد، وأن يكون هناك غير شيء واحد، وقد عُبِّر عن هذه المرتبة الأحدية بالعماء الأزلي، الذي له أزلية الآزال، وهو غير العماء المذكور في الحديث بقوله ﷺ: «**كان ربنا عماء؛ ما فوقه هواء، وما تحته هواء**»[1]؛ لأن العماء في اللغة؛ هو الغيم الرقيق، وإن هذا فوقه هواء، وتحته هواء، وُهم مَن يتوهَّم أن هذا العماء هو الغيم الرقيق الذي فوقه هواء وتحته هواء.

وقد تقدَّم البحث عن هذه المرتبة، مرتبة كان الله ولا شيء معه، وحيث إنها ثابتة إلى الآن.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢)، والطبري في تفسيره (١٢/ ٤).

قال الجنيد: وهو الآن على ما عليه كان[1]، بعد أن ذكر هذا الحديث ولفظه، كان معناه وجد، فالذات الأحدية المعبَّر عنها بالوجود المطلق موجودة في الخارج قطعًا، وأن

---

(١) انظر: كتابنا الجنيد (ص٢٤٧)، قال مشيرًا بذلك إلى أن كثرة العالم التي لا تُحصى ولا تتناهى ما أخرجت الحق عز وجل ألا يكون معه أحد؛ إذ مرتبة الأحدية ثابتة له أزلاً وأبدًا، فكثرة العالم لا تخرجه عنها.قال تعالى: ﴿قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]: أي من كان له المرتبة الإلهية الواحدية التي لا تتناهى كثرة، هو الأحد الذي لا شيء معه، المنزَّه عن أن يكون له اسم أو رسم، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿هو﴾ فإنه ضمير غيبة، بل هو غيب الغيبة؛ لعدم تقدم المرجع، فكانت المراتب لا تتزاحم، بل لكل حكمٍ أزل الآزال وأبد الآباد، أو أن الإشارة بذلك إلى أن العالم كله وإن كان له وجود صوري لكنه يرجع من وجهٍ إلى العدم، فإن الوجود لصاحبه، وهو الظاهر، والمظاهر تتلاشى من حيث نفسها، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]: أي وجه ذلك الشيء، وهو الحق تعالى الوجود الخير، فكان العالم من هذه الحيثية عدمًا محضًا، فرجع الحال مع هذا الوجود الصوري إلى قوله ﷺ: «كان الله ولم يكن معه شيء ثان»، وإلى قول الجنيد: (وهو الآن على ما عليه كان)، والمدينة: المكان الذي فيه الأنواع المتكثرة والأجناس المختلفة، مع لوازمها وأحكامها، والمراد بها المرتبة العمائية، مرتبة الإنسان الكامل الذي جمع تفصيل كل شيء، ومع ذلك يرى أن لا شيء، فهذه المرتبة المتأخرة الجامعة، عين المرتبة المتقدمة التي هي لا كثرة فيها ولا تفصيل، بل لا غيرية أصلاً، ففي المدينة استعارة، حيث استعيرت للمرتبة المذكورة، وأضيفت إلى الجملة بعدها؛ دفعًا لتوهم ثبوت الكثرة التي تكون في المرتبة: أي بأن يكون لتلك الكثرة وجود غير وجوده تعالى، بل كلها لا وجود لها، فهي العدم الصرف، ولا يخفى ما في قوله: «من مكة كان الله، ولم يكن معه شيء ثان، إلى مدينة، وهو الآن على ما عليه كان». من اللطافة التي فيها مطابقة الظاهر للباطن، فإن هجرته كانت من مكة المشرفة محل التوحيد الصرف، حيث لم يكن معه ﷺ موحد غيره، حتى بعث فهاجر من محل التوحيد الصرف إلى عالم الشهادة، بل إلى نوعٍ آخر منه؛ ليجمع ما كان متفرقًا ومنتشرًا، فرجع الكل إليه، فكان الأمر على ما كان عليه من التوحيد، ولم يكن للتفرق والانتشار حكم في قلم التوحيد.

وفي هذه الجملة حل هذا الحديث الشريف المشهور بين القوم، وحل ما ضمنه الجنيد سيد الطائفتين، فكان هذا لخفائه من قبيل الاصطلاحات، بل هو أول الاصطلاحات؛ لأن علماء الرسوم لا يحومون حول هذا المعنى المذكور. انظر: كشف الأسرار (ص١١٣).

هذا الوجود هو هو، فهو موجود في الخارج قطعًا بنص هذا الحديث الذي ذكره سيدنا العارف ﷺ عند إرادته الذات الأحدية في كتبه أكثر من مرات متكررة.

نعم هو تعالى لا يعلم بهذه المرتبة إلا من طريق دلالة الرسل عليه، ولا يلزم من نفي العلم به في الخارج، والحالة هذه عدم وجوده فيه، فهو موجود في الخارج قطعًا بذاته من غير ظهوره في مظهر، إلا أنه لا يُعلم بحال، والحالة هذه، فيتوهَّم من عدم العلم به عدم وجوده في الخارج، كما توهَّمه السعد، وقال ما قال.

وأمَّا الجهة التي يعلم بها تعالى لخلقه؛ فهي من حيث ظهوره في مظاهره المكونات التي قيامها به، ووجودها بوجوده، فإنه تعالى القيُّوم الذي قامت به جميع المكونات، فهو بها ظهورًا من غير احتياج إليها في ذاته، وهي به وجودًا، فما كان باعتبار مرتبة أحديته الذاتية كالكلي الطبيعي الذي لا تحقُّق له إلا في ضمن جزئياته، بل هو كائن ولا شيء حتى الآن.

نعم تعيُّنه لخلقه في الخارج إنما كان بصور تجلِّياته، وإن أول تعيُّناته كان بالحقيقة المحمَّدية المشار إليها بقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري**»[1]، فهو النور الذاتي الساري بجميع الأسماء والصفات.

فالحاصل هنا مرتبتان:

---

(١) روى عبد الرزاق في المصنف (١٨) عن معمر عن ابن المنكدر عن جابر قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيءٍ خلقه الله تعالى؟ فقال: هو نور نبيك يا جابر خلقه الله، ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كل شيء... الحديث، وانظر: الجزء المفقود من الجزء الأول من مصنف عبد الرزاق (ص٦٣)، وشرف المصطفى للخركوشي (١/ ٧٠٣)، وكشف الخفاء للعجلوني (١/ ٣١١)، والمواهب اللدنية (١/ ٧١)، ومواكب ربيع في مولد الشفيع للحلواني (ص٢٧، ٣٣).

مرتبة الأحدية: التي ينتفي العلم بها؛ لعدم التعيُّن، ولا يلزم منه عدم وجود الذات.

ومرتبة الواحدية: التي يكون العلم بها لحضرة الحق تعالى؛ للتعيُّن والظهور بصور التجلِّيات المختلفة.

وكون المظاهر سرابًا لا تحقُّق لها قد علمت جوابه قبل، وكون الوجود المطلق لا وجود له إلا في الذهن، قد علمت دفعه من أن المارد بالوجود غير ما أراده المعترض، وإن قيد إطلاقه؛ إنما هو لبيان عدم تعيينه في أول مراتبه، وليس المراد منه الشيء المطلق حتى يكون كليًّا، ويلزم منه ما يلزم.

فالحاصل: أن السعد -رحمه الله- أخذ الأشياء على ظاهرها واستشكل، وقال ما قال، إلا أنه -رحمه الله- ما أحسن الظن بهذا العارف، وربما خطر في باله أن هذا العارف لا يعرف الكلي من الجزئي، ولا المطلق من المقيَّد، ولا العام من الخاص، مع أن هذه الأشياء لا التفات إليها في البحث عن العلم الإلهي، فبطل ما أورده -رحمه الله- هنا على هذا الهُمام.

تنبيه: قد علمت مما تقدَّم أن الذات الواجب الوجود المعبر عنه بالوجود، هو متعيِّن لا متعيَّن، وعلى كلا الحالتين هو موجود في الخارج، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

المقام السابع

في قوله -رحمه الله- في رسالته المؤلَّفة في الاعتراضات على سيدنا الشيخ الأكبر، ومَن تبعه من القوم رضوان الله عليهم: وأمّا إنكارهم لما أطبق عليه العقلاء؛ فلأن العقلاء أطبقوا على أن حقيقة الله تعالى غير مدركة بالعقول، كيف وقد رُوي عن الأصفياء أنهم قالوا: ما عرفناك حق معرفتك، وليس ذلك إلا للاستحالة عند المحققِّين؛ ولعدم الوقوع مع الإمكان عند الأخرين، وعلى أنه تعالى موجود في الخارج مبدأ للممكنات، مؤثِّر في وجوداتها الحادثة، واحد حقيقي لا تكثُّر فيه أصلاً بحسب الأجزاء الذهنية، ولا الخارجية، ولا بالجزئيات، وعلى أن الوجود المطلق أعرف الأشياء، معدود في ثواني المعقولات، لا وجود له في الخارج، مشترك بين الموجودات، مقول عليها بالتشكيك، وله جزئيات كثيرة لا تكاد تتناهى، هي وجودات الأشياء.

ولا خفاء في أن الاعتبار العقلي المعدوم في الخارج، المتكثِّر المنقسم إلى الجزئيات يمتنع أن يكون واجب الوجود وإله الممكنات، انتهى.

أقول وبالله التوفيق: إن هذا المقام يشتمل على أربع دعاوى:

الأولى منها: هو أنه تعالى لا تدرك العقول حقيقته.

والثانية: أنه تعالى موجود في الخارج، وله التأثير في كل ما سواه، وإن كل ما سواه حادث.

والثالثة: أنه تعالى واحدٌ حقيقي.

والرابعة: أن الوجود المطلق الذي يعنون به الحق يخالفه في جميع ما ذكر.

والجواب عن هذا بعد معرفة ما تقدَّم، سهل بمعونته تعالى:

أمَّا كون حقيقته تعالى لا تدرك بالعقول، فهو مسلَّم عند كل أحد، إلا أنه تعالى من حيث أُلوهيته تقع عليه المعرفة، قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ**﴾ [محمد:١٩]، وهكذا الوجود المطلق الحق، فإن شأنه شأن المعرفة وعدم المعرفة، فهو من حيث ذاته، وقطع النظر عن تعيناته، فالجهل به واقعٌ ألبتَّة كما تقدَّم عند البحث عن المرتبة الأحدية الذاتية، وإنه من حيث ظهوراته في مظاهره الكونية، فالعلم به واقع عقلاً وكشفًا، وذوقًا وشرعًا، هذا إن جرينا على أن الوجود نفسه؛ هو الحق تعالى من غير تأويل.

وأمَّا إذا اعتبرنا التأويل السابق من أن مراد القوم من قوله: إن الوجود هو الحق أي: يعبِّرون عن الواجب تعالى بالوجود من حيث هو هو، فلا إشكال، ولا إيراد على أن كون الوجود المراد أعرف الأشياء، يؤيد بإنه هو الحق تعالى، فإنه سبحانه وتعالى أخبر عن ذاته الواحدية في القرآن العظيم: بأنه الظاهر، وبأنه النور، وهذان أعرف الأشياء، فكان المانع من معرفته، والحالة هذه جدية ظهوره كالشمس قال تعالى: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [النور:٣٥]، فإنه بالنور تظهر الأشياء.

وكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللّهم اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا**»[1]، والحديث في صحيح البخاري، وهذا هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**﴾ [الأنعام:١٢٢]، فإنه بهذا النور يُفرِّق بين الحق والباطل المكون، وهذا المقام غير مقام: «والعجز عن درك الإدراك إدراك».

وإنه ﷺ لَّما سُئل: «**هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه**»[2] استبعادًا عن رؤيته تعالى، وما ذلك إلا لشدة الظهور وحدّته.

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٣٢٧)، ومسلم (١/ ٥٢٥)، وأبو داود (٢/ ٤٤).

(٢) رواه مسلم (١/ ١٦١)، وأحمد (٥/ ١٥٧)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٥٤).

وقد ورد: «اللّهم يا مَن ليس حجابه إلا النور، ولا خفاؤه إلا شدة الظهور»، فكان النور من جملة صورة تجلِّياته الدالة على أنه تعالى من ورائها[١].

وقد صحَّ حديث: «**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأُحرقت سُبُحَاتِ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[٢].

ولعلَّك تقول: إن النور من جملة الحجب على ما ذكرناه، وليس هو الحق!

قلت: إن الشاهد في هذا المذكور، هو أن الحق سبحانه وتعالى أظهر الأشياء عند مَن فتح الله عين بصيرته، ومن جملة ما يدل على شدة ظهوره، كونه يتجلَّى بالاسم

---

(١) **قال الشيخ المصنف**: هذا في التجلِّي الظاهري وهو المشار إليه بقوله ﷺ: «**ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة**»، وكذا القول بالتجلِّي الباطني حرفًا بحرف، وقد بقي تلوين آخر من حيث أن الظاهر يحجب الباطن وكذا العكس.

وقد أشير إليه بقوله ﷺ: «**إن لله سبعين ألف حجاب من نورٍ وظلمة**» انتهى.

فإذا ارتفع حجاب النور خلفه حجاب الظلمة وهكذا، فيقع العارف: أي بالحيرة حتى يحصل له الجمع بين هذين التجليين الظاهري والباطني بالتجلِّي الحاصل لهما والجامع بينهما، الذي هو البرزخ الأكبر المتفرع عنه كل تجلٍّ بسبب حاق واسطيته واعتداله، فإنه لا يغلب فيه حكم أصلاً لا ظاهر ولا باطن، ويُسمَّى هذا المقام مقام التمكين في التلوين، فإنه يتلون الظاهر والباطن، والمتجلَّى له متمكن في نقطة اعتداله لا يميل إلى أحدهما، بل لا يمكن أن يميل؛ لارتفاع التميز والغلبة، بل الظاهر عين الباطن وعكسه، وهذا هو التمكين الحقيقي، وما مضى من التمكين في الظاهر والباطن: أي بكلٍّ منهما، فهو تمكين في الرتبة، وهذا التجلِّي في حالة التمكين المذكور مقامه مقام الجمع بين السيرين السابقين، ويكون كل من التجلِّي والمتجلَّى له آلة. انظر: كشف الأسرار (ص١٦٠).

(٢) رواه ابن ماجه (١/ ٧١)، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ٢٤٥) بنحوه.

النور؛ حتى يعلم أنه من ورائه، ولا يُخفى أن هذا باعتبار مرتبة أولهيته، لا باعتبار ذاته الأقدس الذي لا يعلمه إلا هو تعالى دون أحدٍ من خلقه.

وأمَّا كون الوجود المطلق معقولاً ثانيًا، وأنه لا وجود له في الخارج: فقد علمت بطلانه فيما تقدَّم، وقد ذكرنا أنه ليس لهذا الوجود الحق إفراد حقيقية أبدًا؛ وإنما له إفراد خصيصة، لا تضرُّ بعلم وحدته، وإذا كان مرادهم من قولهم: إن الوجود هو الحق تعالى أي: يعبِّرون عنه بذلك، فكونه مبدأ الآثار، ومؤثِّرًا في كل ما سواه من الحوادث ظاهر؛ لرجوع ذلك للحق على الوجه الحق، وقد قدَّمنا أنه في كل آن وطرفة عين له التأثير في كل ما سواه عند أهل الحق.

وكون الواجب له الوجود الخارجي دون هذا الوجود فممنوع؛ لأنه هو هو، وكيف لا يكون الواجب موجودًا في الخارج على مذهب أهل الحق، وهم يقولون: إن كل شيء راجع إلى الحق، فما خرج عنه تعالى في الخارج شيء أصلاً؛ بل ولا في الذهن، وهذا كمال التوحيد قال ﷺ في ذلك شعرًا:

ومَــا ثــمَّ إلا الله لا شيء غَـــيْره	ومَـا ثـمَّ إذ لا ثـمَّ فَـالعيْنُ واحِـدةٌ
لــذلِك قُلْنـــا لِلـــذَّوات بأنَّـهـــا	وإن لَم تكـن فَهـي لله بـالله سَـاجدةٌ

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، اللّهم نوِّر بصائرنا بنور معرفتك، وحقِّق قلوبنا بكمال خشيتك، وكفى بهذين البيتين دليلاً على كمال معرفة هذا الهمام، فإنهما بأعلى طبقات التوحيد: ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ثم قال السعد -رحمه الله وعفا عنه- من بعد ما أنهى الكلام على لوازمه العقلية

التي أوردها على عقائد القوم الذين وافقوا فيها حضرة هذا الهُمام من القول بوحدة الوجود الحق، وقد عرفت بطلان جميع لوازمه المذكورة في ذلك، وأمَّا استدلالهم بالسمع فبقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

قال السعد -رحمه الله- وجوابه:

إن المراد بالمعيَّة هنا: ما أجمع عليه المفسِّرون: المعيَّة بالعلم، لا بنفس الذات؛ لاستحالة كون الذات الواحد في آن واحد في كل مكان، ويلزم على هذا التقدير أن يكون قوله تعالى لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] مناقضًا لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]؛ لأن معنى الآية الأولى على ما يقتضيه المقام: إنه تعالى مع موسى وهارون لا مع فرعون وملأه، وإنه تعالى مع النبي ﷺ، وأبي بكر ﷺ لا مع أبي جهل وغيره من أعدائه، وإنه تعالى مع الذين هم محسنون دون الظالمين المفسدين، فلو كان معنى الآية: إنه تعالى بذاته في كل مكان لتناقض، انتهى.

أقول: وبه أثق وأستعين إن مذهب هذا العارف، ومَن حذا حِذوه، هو بعينه في نحو هذه المسألة مذهب السلف من وجه، وهو الأخذ بالظواهر المفهومة من كلام الله، وكلام رسله جميعًا عليهم الصلاة والسلام، سواء كان ذلك تنـزيهًا أو تشبيهًا، فالأمران

في الشأن الإلهي على حدٍّ سواء عنده بلا فرق؛ لأن الكل من عند الله.

فالوقوف عند أحدهما دون الآخر ليس هو إلا تحكُّمًا، وإن مَن أَوَّل وصَرَّف الألفاظ عن ظواهرها مع أنه متعسِّفٌ جاهلٌ، أو صاحب سوء أدبٍ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن العظيم، ليقف عنده العربي والعجمي، وليس هو خاصًا بالخواص، والمفهوم من الألفاظ عند العموم، إنما هو معانية الأولية، وهكذا أقوال الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام- فإنهم تكلَّموا بمثل هذا، وخاطبوا به عوام الذين لا يدرون التأويل، ولا يخطر لهم ببال.

وإن المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] إنما هو المعيَّة الذاتية عند العموم لا المعية بالعلم، فإنهم لا يدرونها، والحال إنهم مخاطبون بسماع القرآن العظيم كالخواص كما تقدَّم، فثبتت المعيَّة الذاتية بالمفهوم الأول المقصود من اللفظ بهذا النص، ولو أُريدت المعيَّة بالعلم وخُوطب بها العموم؛ لقيل علم الله، أو علمه، أو علمي معكما أينما كنتم، فإنه تعالى أعلم بمراده بكلامه من المؤوِّلين الصارفين مفاهيم الألفاظ إلى غيرها.

فكون المفسِّرين أجمعوا على المعيَّة بالعلم لا يصلح للمعارضة؛ إذ هو على مذهب دون مذهب، حيث وافقوا في ذلك مذهب الخلف، ولا قائل ببطلان مذهب السلف، فإنه أسلم وفيه الأدب، وهذا الذي مشى عليه هذا الهُمام، وأما لازم السعد الذي ذكره من أنه لو كانت المعيَّة بنفس الذات؛ لكان الشيء الواحد في آن واحد في مكان واحد، وهو غير معقول؛ بل هو محال.

فجوابه: إن هذا اللازم ليس بمحال عند هذا العارف ، حيث كانت جميع

الأشياء قائمة بهذا الوجود الحق، وليس لها القيام بنفسها، وهو موضوع المسألة التي خالف بها السعد هذا الهمام، ولزوم كون الشيء الواحد في آن واحد في كل مكان مدفوع؛ لرجوع الأمر لشيء واحد ظهر في مظاهر قائمة به لا تخلو عن الأمكنة، فالأمكنة المتعددة للمظاهر المتعدِّدة لا للوجود الحق، والأشياء وإن قامت به فهي أغيار باعتبار خصوصياتها.

وبهذا اندفع شبهة سنذكرها بعد، فما كان شيء واحد في آن واحد في كل مكان، بل أشياء قائمة بشيء واحد لا تخلو عن الأمكنة، وبقى هنا لازم مشهور بين أهل العلم، وهو إنه يلزم من كون المعيَّة ذاتية، أن يكون الذات مع الشيء حيث كان الشيء، ومن الأين ما هو مستقذر، وهو تعالى يتعالى عن الأين مطلقًا، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٨٠]، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٤٣].

وبسط الكلام هنا أن يقال: إنه سبحانه وتعالى **«كان الله ولا شيء معه»**[1] كما صحَّ في حديث، وذلك في مرتبة أحديته الذاتية الثابتة له تعالى أزلاً وأبدًا؛ ولذا قال الجنيد: وهو الآن على ما عليه كان، وهذا الإشكال فيه، ثم ذكر لنا سبحانه وتعالى: إنه معنا حيث كنا قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، فنسب المعيَّة له سبحانه وتعالى على وجه يعلمه هو، لائق بمرتبة أولهيته، وكمال ربوبيته.

ولاشك أن المعيَّة من سمات الحوادث، وقد نسبها تعالى إليه من سمات

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧١)، وأصله في البخاري بنحوه.

الحدوث من أن معناه ما يُفهم من اللغة بالمفهوم الأول؛ إلا أن نسبته إليه تعالى مجهولة علينا، وموكول علمها إليه لا إلى غيره كائنًا مَن كان، وإذا عُلم الشيء من اللفظ، وجهلت نسبته حال تركُّبه تركيبًا تامًا أو ناقصًا؛ بطلت جميع لوازمه؛ لتحقُّق الجهل بالمارد من تمام التركيب، وعلى هذا فلا إيراد.

وهذه النسب تكون لمرتبة ألوهيته لا إلى ذاته الأقدس الأنزه؛ لتعاليه تعالى، والحالة هذه عن كل شيء كما تقدَّم، وقد علمت من قولنا السابق أنه لا يجوز لأحد إطلاق شيء من سمات الحوادث عليه تعالى، وإن نسبة هذه إليه تعالى لا يكون إلا من وجه أولهيته الجليلة العظيمة، فبطلت اللوازم الواردة في هذا الموطن على المذهبين، مذهب أهل الحق القائلين بالوحدة، ومذهب أهل النظر حيث جُهلت النسبة.

بقي الكلام على الآيات التي أوردها السعد -رحمه الله- في معرض الاعتراض على ما ذهب إليه هذا الهُمام من القول بالمعيَّة الذاتية، وإنما هي المفهومة من اللفظ القرآني.

الآية الأولى: قوله لموسى وهارون: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ [طه:٤٦].

وجوابه: إن هذه المعيَّة معيَّة مخصوصة يُراد منها المعية بالمعونة، فما اتَّحدت بالمعيَّة المطلقة الذاتية، وإذا اختلف الموضوع في المسألة؛ انتفى التناقض بينهما على أن هذه الآية تصلح دليلاً لِما ذكره هذا العارف، حيث كان ختم الآية: أسمع وأرى، والذي يسمع هو الواجب تعالى لا علمه؛ إذ لا معنى لقوله: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ [طه:٤٦].

الآية الثانية: وهي قوله تعالى: ﴿**إذ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة:٤٠]،

فالمعيَّة هنا أيضًا معيَّة مخصوصة، وهي المعيَّة بالنصر، فلم تناقض المعيَّة الذاتية.

الآية الثالثة: أيضًا المعيَّة فيها معيَّة بالمعونة لا مطلقًا، وهذا من قبيل قوله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم**»[1]: أي نظر رحمة، وإن كان ينظر مطلقًا، فبطل قول السعد هنا في جميع ما أورده على هذا الهمام، هذا وإن القول بالمعيَّة الذاتية؛ هو مذهب أهل التحقيق، وأهدى إلى سواء الطريق؛ وذلك لظهور تحقُّق علمه تعالى بكل الأشياء فردًا فردًا، وذرَّةً ذرَّةً، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة، وهو بكل شيء عليم، ولا يؤده حفظهما؛ لأنه تعالى إذا كان مع الأشياء؛ يعلم من علمه بنفسه الأشياء، ولا أقرب من هذا، ولا أكمل.

وأمَّا كون الصفة: أي صفة العلم معنا، ومع الأشياء كما عليه أهل النظر؛ فليس لهذا القول ما للأول من ظهور إحاطة علمه تعالى بكل شيء، هذا وإنه قد نُقل إلينا تواترًا من أن بعض الأولياء كان في آن واحد في أماكن متعدِّدة، وقد أدركت مَن أدرك هذا، والله أعلم.

ثم قال السعد -رحمه الله-: ومن أدلتهم السمعية على أن الوجود المطلق هو الحق قولهم: الوجود خير محض؛ لأن الشر في ماهية عدم وجود أو عدم كمال موجود، فالأول كالعمى، والثاني كنقصان الثمار كمالاتها اللائقة بها بواسطة البرد.

وقال على هذا: إنه لا يلزم من كونه خيرًا محضًا؛ أن يكون واجبًا؛ إذ ليس ذلك من اللوازم المساوية للواجب، انتهى.

أقول: إني لم أقف في كلام هذا العارف على أن القوم ﷺ اتخذوا هذه الجملة

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٧)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٨)، وأحمد (٢/ ٢٨٤).

دليلاً على أن الوجود هو الحق، والمذكور في كلامه ﷺ: هو إن الوجود خير محض مجرَّدًا عن كونه دليلاً على أنه الحق، ويمكن أن تُتَّخذ هذه الجملة دليلاً على هذا المدعَى، وهو إن الذي يقابل الخير المحض هو الشر، والشر عدم محض، والعدم لا يُنسب للواجب تعالى، قال ﷺ: «**والخير كله بيديك، والشر ليس إليك**»[١]، فنفى الشر عنه تعالى؛ لكونه أمرًا عدميًا، وإذا انتفى أحد المتناقضين؛ ثبت الأخر، فكان بهذا الاعتبار الخير لازمًا للوجود الحق مساويًا، وبعض أهل الله يُعبِّر عن الوجود بالرحمة، وعن العدم بالغضب، والردى، وإلى هذا الإشارة بقوله ﷺ: «**سبقت رحمتي غضبي**»[٢]، وفي رواية للقوم: «**غلبت رحمتي غضبي**»[٣]، والمعنيان متقاربان في أداء المارد.

قال ابن الفارض سيدنا عمر المصري العارف بالله في قصيدته التائية:

فَلفـظ وكـلي بِي لِـسان مُحـدِّثٌ ... ولَحـظ وكـلي في عَـين لِعـبرةِ
وسَمـع وكلي بالنِّداء أسـمْع النِّدا ... وكلـي فِي ردِّ الـردى يَـد قُـدرةِ

والشاهد في آخر المصراع.

تتـمة

قد تقدَّم أنه تعالى له أن ينسب لجنابه ما هو من سمات الحدوث، كما تقدَّم كذلك محبوه تعالى؛ فإنهم ينسبون لأنفسهم حال سكرهم، أو شطحهم، أو تدلُّلهم ما هو من صفات الحق تعالى إلا الوجوب الذاتي، كقول أبي يزيد: « سبحاني سبحاني ما

(١) ذكره المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٤٣٦)، (٩/ ٢٨٩).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٢٧٤٥)، ومسلم (٤/ ٢١٠٨)، وأحمد (٢/ ٣٨١).

(٣) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤٣٣)، والمناوي في «فيض القدير» (٤/ ٤٨١).

أعظم شاني»[١]، و«ما في الجبة إلا الله»، وقول الآخر: إني عجبت لشخص كيف ما عبد؟ وقول الحلاج: «أنا الحق»، وأمثال هذا[٢].

---

(١) قلت: قيل لأبي القاسم الجنيد قَدَّس الله روحه: إن أبا يـزيد يسرف في الكلام. قال: وما بلغكم عن إسرافه في كلامه؟ قيل يقول: «سبحاني سبحاني ما أعظم شاني». فقال الجنيد: إن الرجل مستهلكٌ في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه؛ لذهوله في الحق عن رؤيته إيَّاه، فلم يشهد إلا الحق تعالى، فنعته، فنطق به، ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنًّا من الحق به، ألم تسمعوا مجنـون بني عامـر لما سئل عـن اسم نفسه؟ فقال: ليلى، فنطق بنفسه، ولم يكن من شهوده إيَّاه فيه، وقيـل لـه: من أنـت؟ قال: أنا من ليلى ومن ليلى أنا.

وقال الشيخ أبو النصر السراج رحمه الله: وقد قصدت بسطام فسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك، وعلى تقدير صحة ذلك، فنقول: قوله سبحاني سبحاني على معنى الحكاية عن الله ﷻ أنه يقول: سبحاني سبحاني لأنا لو سمعنا رجل يقول: لا إله إلا أنا فاعبدني، لا يختلج في قلوبنا شيء غير أنا نعلم أنه هو ذا يقرأ القرآن، أو هو يصف الله بما وصف به نفسه، وكذلك لو سمعنا دائما أبا يـزيد وغيره وهو يقول: سبحاني سبحاني، لم نشك أنه يسبح الله ويصفه بما وصف به نفسه.

وكذا قال: الشيخ شهاب الدين السهروردي في العوارف: وما يحكى عن أبي يـزيد قوله: سبحاني حاشا لله أن يعتقد في أبي يـزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى.

قال: وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله أنا الحق. وانظر: كتابنا في الإمام الجنيد قدس سره.

(٢) **قال في عين الحياة**: قال الإمام الغزالي في «مشكاة الأنوار» إشارة: العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، لكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانًا علميًا، ومنهم من صار له ذلك حالًا ذوقيًا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، فقال أحدهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني، وقال الآخر: ما في الجبة سوى الله.

وقال فيها أيضًا: الكل نوره، بل هو الكل، بل لا هوية لغيره إلا بالمجاز.

=

ومنه قوله ﷺ: «**كن أبا ذر**»[1]، فإن كلمة كُن للجناب الإلهي، وقد نُقل عن القوم في ذلك جمل كثيرة، وأنت تراهم حين رجوعهم لأنفسهم لا أحد مثلهم في إظهار كمال العبودية لحضرة الجناب الإلهي.

قال أبو يزيد: هنا أريد أن لا أريد، حتى أن مذهبهم ﷺ ركون المرد إلى نفسه أو إلى غيره شركٌ خفيٌّ، وإن مَن قال: لا إله إلا الله وله ركون إلى غيره؛ كان كاذبًا في قوله، ومن هنا شرط الإخلاص ﷺ لقائل هذه الجملة، وضمن له الجنة، وإنها تخرق السموات السبع، وتكون سببًا للمغفرة.

وقد ذكر حضرة العارف ﷺ في «**الفتوحات المكية**» نادرة وقعت لأبي يزيد البسطامي في ذلك: وهو إنه قد عاهد نفسه ألا يسأل أحدًا سواه تعالى، وكان له صاحب تاجر أوصاه بأنه إذا قصده فقير يرسله إليه، فجاءه فقير فتذكَّر وصية صاحبه التاجر، فذهب به، فشمَّ منه حال سيره رائحة الكفر، فسأله عن مذهبه، فأخبره بأنه مجوسي، فتفكَّر ﷺ عند ذلك في وجه المناسبة بالصحبة الخاصة، فلم يجد شيئًا إلا قصده التاجر لأجل هذا المجوسي، وقصد غير الله إشراك فثبت المناسبة.

فإذا كان حال رجال الله هذا وأمثاله؛ فكيف يُنسب إلى جنابهم الحلول والاتِّحاد والزندقة، وإباحة المحرَّمات، وإنكار وجود الحق مع أن السير عندهم مشروط بكمال

=

وقال فيها أيضًا: كل ما أشرت إليه فهو بالحقيقة إشارة عليه، وإن كنت لا تعرفه أنت لغفلتك عن حقيقة الحقائق انتهى.

فانظر – رحمك الله– إلى هذه الإشارات بعين التحقيق، وتأمل هذه العبارات بالفكر الدقيق، وهل يصح حملها إلا على ما حققناه؟ وإلا فهي عبارات خيالية، وإشارات واهية، وحاشا مرتبته العالية، وشميه المتعالية من أن ينسب إليه الهذيان أو الخروج عن الإيمان، والله المستعان وعليه التكلان. انظر: عين الحياة (ص٢٠٩).

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٢)، وذكره المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٣٦٨).

العبودية، ومراعاة تمام الشريعة المحمَّدية على الخصوص التمسُّك بالسنن النبوية، والتخلُّق بالأخلاق المرضية.

وقد نصَّ هذا العارف بأن مَن قصد الله من غير الطريق المحمَّدي؛ رد بعصا الأدب إلى اصطبل الدواب، فمدار هذه الطريقة على اتِّباع الشريعة لا غير، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وقد ذكر هذا العارف نادرة: وهي أن امرأة كانت تُغسِّل امرأة ميتة، فعند وضعها يدها على فرجها قالت: كم فعلت وفعلت، فلصقت يدها على فرج تلك المرأة حتى اشتدَّ الأمر، فأرشدهم لحلِّ هذا بعض العلماء العارفين، قيل: وهو الإمام مالك، بأن تحدَّ هذه القائلة حدَّ القذف، فحدُّوها؛ فخلصت يدها، فبالله عليك إذا كان هذا المذكور حال عقيدة هذا العارف بالله؛ فكيف اجترأ على جنابه بعض مَن اجترأ، وافترى عليه بما افترى، وقد قال في شأن كتاب «الفصوص» شعرًا:

كِتابُ الفصُوصِ ضَلالُ الأُمَم ودِينُ القلُوبِ نَقيض الحكم
كِتاب إذا رمَت ذمَاله ومَدك بَحر طَما وانْسجَم

إلى أن قال:

عَجزت عَن العشر فِي ذمَّة وعَن عَشْر عَشْر ومَا ذَاك ذَم

مع أن هذا الكتاب الشريف كان بإشارته ﷺ وأمره، وفي الحقيقة هو بحرٌ لا ساحل له، قد جمع فيه هذا العارف علوم الأنبياء الإلهية الخاصة بهم، وختم به حديثًا متعلِّقًا بختم الرسل سيدنا محمد ﷺ، وتكلَّم عليه بما لا يخطر ببال من الحقائق الإلهية التي تخلَّق بها سيدنا محمد ﷺ خاتم المرسلين.

نقلهما السعد -رحمه الله- واعترض عليه فيهما، وسيظهر لك الحال عند بيان هذا المقال، وإلى الله المرجع والمآل.

الأولى منهما: قوله ﷺ في «الفتوحات المكية»، وفي كتابه «فصوص الحكم»: إن كل مَن عبد شيئًا؛ فما عبد إلا الله؛ وإنما كان خطأه في طريق العبادة؛ حيث لم يكن مأذونًا فيها على هذه الطريقة، انتهى.

أقول وبالله التوفيق: إنه قد عُلم مما تقدَّم أن جميع الأشياء كائنًا ما كان يرجع إلى الحق تعالى بالمعنى الذي ذكرناه، والقيد الذي أفصحناه، وإن العالم من حيث إنه عالم هو غير الله تعالى، وله الافتقار والعدم؛ بل هذا ذاتي له لا يفارقه بحال من الأحوال، كما إن للحق تعالى وجوب الوجود والغنى المطلق، لا إله إلا هو، ولا معبود سواه.

ولَمَّا كان العالم راجعًا إلى الحق من وجه، وهو تعالى من ورائه؛ إذ لا قيام لشيء إلا بالوجود الحق، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ**﴾ [البروج: ٢٠].

صحَّ قوله ﷺ: بأن مَن عبد صنمًا مثلاً؛ فما عبد بالحقيقة إلا الله بشهادة قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: حكم؛ لأن القضاء هو الحكم، ولا راد لحكمه، فثبت أنه ما عبد على أي حالة كانت العبادة من أحوالها إلا الله تعالى؛ لكن من حيث لا يشعر العابد للصور بذلك، وإن تخيَّل الألوهية فيما عبده.

وأمَّا السعد -رحمه الله-: ففسَّر قضى بمعنى أمر كعادة المؤوِّلين، والتأويل لا يقول به هذا العارف ﷺ؛ بل مذهبه الأخذ بالظاهر من لفظ القرآن، لكونه خطابًا للعربي والأعجمي، ولفظ قضى معناه الأولى: حكم، كما فهمته السيد عائشة الصدِّيقية

-رضي الله عنها وعن أبويها- عند أمرها الكاتب، والقصة مشهورة، لكن بقى شيء، وهو إنه إذا كان الحال كذلك، فما بال رسول الله ﷺ أقام النكير على عبدة الأوثان، وأمره تعالى بقتلهم إن لم يؤمنوا، وكسر أوثانهم وأصنامهم.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز عدة آيات قرآنية تدلُّ على كفر عبدة الأوثان وإشراكهم، وأنه تعالى لا يغفر لهم، وهذا باتفاق جميع أهل الكتب المنـزَّلة، لا شبهة فيه أصلاً، فما التخلُّص من هذا.

أقول: إن التخلُّص منه سهل واضح.

أمَّا أولاً: فلأنه لا يلزم من هذا القول صحة عبادتهم وجواز تقريرها، ونفي إشراكهم.

قال حضرة الشيخ الأكبر ﷺ في «الفتوحات المكية»: إن الله شرع لنا ألا نعبده في شيء منها أي: المعبودات المجعولة، وإن علمنا أنه تعالى عينها، يعني: من حيث رجوعها إليه تعالى عند قطع النظر عن جميع خصوصياتها، وعصى من عبده في تلك الصورة، وجعله مشركًا، وحرَّم على نفسه المغفرة له، فوجبت المؤاخذة في الشرك ولا بدّ، فهذه عبارته ﷺ في **«الفتوحات»**.

ثم إنه ﷺ صرَّح في كتبه: بأن عبدة الأوثان كان كفرهم ومؤاخذتهم بسبب أنهم ما عبدوا إلا الصورة؛ لأن نظرهم لا يقع إلا عليها، لا على ما وراءها الوجود الحق، فلذلك أمر الله تعالى سيدنا محمد ﷺ بإقامة الحجة عليهم في تبيين خطئهم بقوله تعالى: **«قل سمَّوهم»**[1] [الرعد:٣٣]، فلو سمَّوهم حجرًا أو صنمًا فيكونون معترفين بأنهم ما

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ١٥٨)، وعبد الله في «السُّنة» (٢/ ٥١٦).

عبدوا الله، قال تعالى: ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**﴾ [النجم:٢٣].

وأمَّا العارفون بالله أهل التوحيد الخالص فيعلمون أن هؤلاء الكفرة ما عبدوا إلا الله عند التحقيق؛ لشهود أهل الحق في جميع الصور، أي صورة كانت فإن نظرهم إنما يقع على الحق في جميع الأشياء، ولما جهل عابد الصور الأمر ما هو عليه في شأن عبادتهم إيَّاها، ولم يكن لهم معرفة أهل المعرفة قال تعالى عنهم: ﴿**أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾ [الأعراف:١٧٩].

هذا وكونه سبحانه وتعالى من وراء الصور يشهد له حديث تحوُّله بصور تجلِّياته يوم القيامة لخلقه، فيعرفه العارفون في جميعها، وينكره الجاهلون؛ حيث لم توافق صورة تجلِّيه تعالى معتقدهم فيه، فعُلم بما ذكرناه ونقلناه أن عبدة الصور كافرون مشركون عند هذا الهُمام، وإنه لا يجوز لأحد أن يعبد الله من وراء هذه الصور، وإن كانت الصور راجعة إليه تعالى؛ لعدم الإذن الإلهي في ذلك، وإنهم حيث عبدوا ما عبدوا إلا صنمًا، تخيَّلوا الألوهية فيه، وهذا موضعٌ زلت به أقدام، ولولا البيان؛ ما حُرِّكت البنان، وبالله التوفيق.

المقالة الثانية

في مسألة الحائط الذي مُثِّلت به النبوة لرسول الله ﷺ في منامه

روى البخاري ؓ في باب ختم النبيين: أن رسول الله ﷺ قال: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي؛ كرجل بنى دارًا فأكملها وحسَّنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجَّبون ويقولون: لولا موضع اللبنة؛ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[١]، انتهى.

قال سيدنا العارف ؓ في هذا الحديث: إنه ﷺ أشار بهذا إلى أنه قد خُتمت به النبوة، وإن كمالها كان به؛ حيث تمَّ الحائط المذكور بجنابه الشريف، حيث كان عبارة عن تلك اللبنة التي كان كمال الحائط بها.

ثم قال ؓ: إن كل مَن له الختمية؛ لابد وأن يرى هذه الرؤيا في عالم المثال، وذكر أن مَن لهم الختمية ثلاثة: محمد ﷺ؛ فإنه خاتم الأنبياء، وعيسى؛ لأنه خاتم الولاية مطلقًا، فلا ولي بعده، فبقى الثالث، وهو خاتم الولاية المحمَّدية، وهو هذا العارف محيي الدين ؓ.

وقد قال في ذلك شعرًا:

فَلكلّ عَصرٍ واحدُ يَسمو بِه   وأَنَا لِباقي العَصرِ ذَاكَ الواحدُ

وحيث إن الختمين لابدّ وأن يريا هذه الرؤيا، فإذا رأياها؛ رأيا الحائط ناقصًا عن موضع لبنتين، لبنة تخصَّهما من حيث إنهما يأخذان عن الله تعالى، وهي لبنة من

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٠٠)، ومسلم (٤/ ١٧٩١)، والترمذي (٥/ ١٤٧).

ذهب، ولبنة من حيث إنهما يأخذان عن الله تعالى بواسطة سيدنا محمد ﷺ، وهي لبنة من فضة، الفضة له ﷺ، والذهب لهما.

وقد ذكر ﷺ في «الفتوحات المكية»: أنه رأى تلك الرؤيا، وقد أشار في الكتاب المذكور إلى أنه خاتم، وعيسى خاتم، عند قوله في الخطبة، وعلي يترجم بينه وبين الختم؛ يعني: عيسى.

ثم قال بعد: فإن بينك وبينه مناسبة في الحكم، فضمير بينه الأول عائد للرسول الأكرم ﷺ، وضمير المخاطب عنى به نفسه، والمناسبة في الحكم؛ هي الختمية، هذا ملخَّص كلامه ﷺ هنا.

قال السعد -رحمه الله-: انظر إلى هذا الوقح كيف فضَّل نفسه على سيد الخلق؟ ولم يرضَ بالمساوة، حيث جعل لبنة نفسه الذهبية، ولبنة سيدنا محمد ﷺ الفضية، وقد خالف في هذا الإجماع، وزاد في سبِّه وشتمه فيما لا يُقدر قدره.

أقول: إن الجواب عن هذا سهل: المأخذ لمن فهم المراد، وترك العناد، وذلك إنه ليس القصد من ذكر الفضة والذهب التغالي في الثمن، والزيادة في الاعتبار حتى يلزم ما يلزم من النقص عند إرادة الفضة؛ وإنما القصد شدِّة الصفاء، ومراعاة المواطن؛ موطن التجلِّي الإلهي على قلوب العارفين، وذلك إنه لابدّ للتجلِّي الإلهي من صورة حاملة له.

وتلك الصورة الحاملة هي حقيقة المتجلِّي له، فإذا صفت وخلُصت من الشوائب الكوينة؛ كان التجلِّي بها أكمل وأعلى، حتى يقرب من كونه ذاتيًا، ومن المعلوم إنه لا حقيقة أكمل من حقيقة محمد ﷺ، ولا أصفى منها، فكانت بالفضة الصافية أشبه

حيث كان بالذهب الصبغ، ومن هنا قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥]، ولم يقل: من ذهب، حيث كان الموطن يقتضي ظهور بياض الماء؛ وهو بالفضة يظهر لا بالذهب.

فإن الماء ربما اكتسب منه لون الصفرة الغير المرغوبة في الماء، وحيث لم يكن لحقيقة من حقائق الكُمَّل هذا الصفاء، وكانت حقائقهم ليست كحقائق غيرهم ممَن هو دونهم في المعرفة، ناسب تشبيه حقائقهم بالذهب الخالص المشوب بنوع كدورة من كدورات الحجب الكونية؛ حيث لم تخلص خلاص المصطفى ﷺ، ولو شُبِّهت حقائقهم بغير الذهب؛ لفاتت المناسبة في المعدنية.

ولربما أدَّى ذلك إلى نقص أنظر كمال معرفة هذا الهُمام في العلم الإلهي، ومراعاته المناسبات والتشبيه، ومما يدلُّ على أن هذا الهُمام ﷺ لا يرى أن لأحدٍ من خلق الله كمالاً وفضيلة كما هو لسيدنا محمد ﷺ، وأنه لا يكون من بعد الواجب تعالى إلا محمد ﷺ ما ذكره ﷺ من السرِّ الخفي في بيان ذلك؛ وهو موافقة شأنه ﷺ ليوم الإثنين، فإنه وُلد يوم الإثنين، ونُبِّئ يوم الإثنين، وتُوفِّي يوم الإثنين، وهكذا باقي شئونه فإن لها هذه الموافقة.

ووجه الاستنباط من ذلك هو: أن الله تعالى قال: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فكان له تعالى الاسم الأحد، ومن المعلوم إنه من بعد الأحد الإثنين زمانًا وعدًّا، وإن الإثنين لمحمد، فكان من بعد الأحد الواجب محمد خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد العاملين من نُبئ وآدم بين الماء والطين ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

الفتح المبين

في ردِّ اعتراض المعترض

على الشيخ محيي الدين

قدَّسَ اللهُ سرَّه

(الرد على الملا علي القاري في رده على الشيخ الأكبر)

تصنيف

الشيخ الإمام عمر بن طه بن الشهاب العطار الدمشقي الشافعي

المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

من علماء الأزهر الشريف



بسم الله الرحمن الرحيم

ولَّا أنهيت الكلام على رسالة العلاَّمة السعد -رحمه الله- وتمثَّلت بقول سيدنا البوصيري ﷺ[1]:

وِقايـةُ الله أغْنَـتْ عَـنْ مُـضاعفـةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وعَنْ عَـالٍ من الأُطُمِ

وكانت هذه الوقاية بمجرد الفتح من الله العليم، حيث لم أراجع فيها كتابًا تكفَّل بردِّ هذا القادح، وأظهر السرَّ العظيم، وكل ذلك كان ببركة هذا الحَبر البحر الهُمام، ومَن وافقه من أولياء الله الكرام.

وجدت رسالة أخرى بمثل هذا الشأن مشتملة على الإنكار، والسبِّ، والردِّ، والطعن منسوبة للشيخ الفقيه علي القاري[2]، قد ذكر فيها جملاً نقلها عن كتاب «فصوص الحكم»، و«الفتوحات المكية»، والنقل صحيح، **والرد باطلٌ، واللوازم كاذبة** بأدلَّة جليَّة، وقد شنَّع على مَن يقول بتلك الجمل، واعترض عليه، ونسبه إلى الكفر والإلحاد، والحلول والاتِّحاد، وزاد في ذلك بما لا مزيد لديه.

وكان الحامل له على ذلك، والموقع له في أضيق المسالك، هو أنه قد حصلت له مناظرة مع بعض المتصوِّفة من أهل زمانه في حلِّ معاني تلك الجمل العرائس، المقلَّدات بالجواهر المكنونة، والدرر النفائس، وكان السائل كالمسئول في ذلك، فزال الإشكال، وخفي الحال هنالك.

---

(١) في البردة (ص١٢٠).
(٢) هي رسالة الرد على القائلين بوحدة الوجود -طبع دار المأمون للتراث- دمشق، تحقيق علي رضا، سنة ١٩٩٥م.

لا يَعرِفُ الشوق إلا مَن يُكابِـدهُ ولا الـصَّبـابةَ إلا مَـن يُعانِيـهَـا

فخبط كل منهما خبط عشوي؛ لركوبهما متن ثور عميًا، وإن مهر هذه العرائس بذل النفوس، لا ملك الملوك، فضلاً عن الفلوس، وفي الحكم لم يصح اقتضاض هذه الأبكار؛ لكثرة حجبها، واختفائها عن الأبصار، فلم ينل الشيخ القاري منها في يقظة ولا منام، ولا قارب لشط الولي، وبعد المرام، وقد اعتضد بنقل أقوال عن العلماء في شأن هذا العارف قطب الأولياء، فاعترض على مَن قال فيه بالمدح، وسلَّم قول مَن قال بالقدح؛ وهذا خروج عن جادة الإنصاف، وركون إلى سبيل الاعتساف.

وقد يَنكر ضُـوء الـشمسِ مَـن رمَـدٍ ويَتأذَّى الجُعلُ مِن ريحِ الطَّيبِ والوَردِ

وحيث إن هذا الولي العارف الراسخ قد سامح كل مَن تكلَّم في شأنه؛ لعلمه بأنه بحر خضم، وطود شامخ، فلا يتزحزح عن مكانه بالأنفاس، ولا يعكر بجد القول، فضلاً عن هزل الناس، فاترك ما قاله هذا الشيخ في حقِّ هذا الهمام، وعند الله تجتمع الأخصام، ربنا ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحشر: ١٠]، وإن فضل هذا العارف بلغ مبلغًا كَلَّ عنه اللسان والفهم، وحاز مرتبة تنـزَّهت عن الحدِّ والرسم.

فقلْ فِيه مَـا تَهـواه إنْ شِـئت أنـَّـه لِيقبلــه عَيْنًـا وإنْ كَـان أكْوانـًا

فكم له من غوصٍ في بحار كلام الله العظيم، وكم له من كشف لجوامع كلمه ﷺ، فمن سجيته ﷺ: معرفة الحقائق، والاطلاع على أسرار الدقائق والرقائق، فسبحان مَن تفضَّل عليه وكمله، ورفع قدره ومنـزله، أفمَن كان ميتًا فأحييناه، وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس، كمن هو أعمى؛ فهو الناقد البصير، وإلى الله المرجع والمصير.

وقد حصرت اعتراضات الشيخ القاري، ولوازمه في ذلك في مقامين وخاتمة:

المقام الأول: في قول المعترض: إن هذا الهمام يقول: بقدم العَالم، ويحلُّ الزِّنا، وإنه يفسِّر القرآن برأيه.

المقام الثاني: في ذكر الجمل التي نقلها المعترض عن الكتابين السابقين في الذكر، وهي أربعة وعشرون جملة في كلامه، أرجعتها إلى ثلاثة عشر منها: قصد خفَّة الضبط.

والخاتمة: في القول بشأن إيمان فرعون، انتهى.

الجواب:

أقول: إن دعوى نسبة القول إلى العارف بقدم العالم أمرٌ باطل لا يصحُّ أبدًا، قال هذا العارف في «**الفتوحات المكية**» في الباب الثالث والعشرين والمائتين منها ما نصَّه:

والخلق من حيث عينه هو ثابت، وثبوته لنفسه أزلاً، واتِّصافه بالوجود أمر حادث طرأ عليه، انتهى[1].

يعني: إن الخلق من حيث إنه أعيان ثابتة أي: صور علية هو أزلي، فكان قدم الخلق باعتبار ثبوته في العلم الإلهي الأزلي، وقد ذهب إلى هذا محقِّقو علماء الكلام.

وأمَّا من حيث إنه متَّصف بهذا الوجود الخارجي، فهو حادث قطعًا؛ لقوله ﷺ، واتِّصافه بالوجود أي: الخارجي أمرٌ حادث طرأ عليه، فكان نسبة ما ذكر إليه ﷺ من القول بقدم العالم منكرًا من القول وزورًا، هذا وإن مَن فرَّ من القول بقدم العالم؛ إنما فرَّ لأجل قاعدة ذكرها المتكلِّمون، وهي إن ما ثبت قدمه امتنع عدمه، وعدم العالم في كل

---

(١) في الفتوحات (٤/ ٢١٥).

آنٍ من العرش إلى الفرش مقرر لدى هذا العارف؛ لأن مذهبه القول بتجديد الأمثلة.

قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق:١٥]، فكان هذا العارف أشدَّ حرصًا من المعترض على حدوث العلم، وكان أقرب تصديقًا لكلام الله، وما جاءت به الرسل من هذا المعترض.

وقد تقدَّم نقله ﷺ حديث:

«**كان الله ولا شيء معه**»[١].

وقال ﷺ في الباب السابع والثمانين منها عند ذكره قوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [لقمان:٢٩]: إن كل شيء لا بدَّ وأن ينتهي إلى أجل مسمًّى من غير استثناء، مع أن هذا المعترض لا بدَّ وأن يستثني الجنة والنار وغيرهما[٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فائدة لا بدَّ من ذكرها: قال الشيخ أبو الفتح ابن مظفر المكي: اعلم أن جماعة كثيرة ممن يعتقد الشيخ ﷺ ويقول بكماله في قاله وحاله يعتقد أن الشيخ يقول بقدم العالم، وجماعة كثيرة ممن ينكر على الشيخ، اعتقدت أنه يقول أيضًا بقدم العالم.

والذي أقول به: أنه قد أخطأ الفريقان، وأريد أن أنقل كلام الشيخ ﷺ في ذلك أولًا، وأتتبعه ثانيًا، فمن ذلك ما قد تقدم نقله في المقدمة عنه ﷺ من أنه لا يقول: بعلية الحق أي إيجابه بل بفاعليه يعني باختياره، ومن يثبت الاختيار لله تعالى فقد لزمه القول بحدوث أفعاله كما تقرر في علم الكلام، وما يقال: من أن القصد إذا فرض قديمًا لا يلزم منه حدوث العالم ليس بجيد فتأمل، وفيما نقلناه عنه في فصل «سلسلة الوسائط» من «عقلة المستوفز» وهو: أنه سبحانه ليس بعلة لشيء، بل هو الواحد أوجد ما أوجده إيجاد من لم يكن إلى ما كان ما ثم قديم أزلي انبعث عنه الأولية لا إله إلا هو، ومن ذلك ما في الباب التاسع والستين قال بعد أن شرح ماهية الزمان وبين حقيقته، وأشار إلى معنى الأزلية المنسوبة إلى الله: فالحق سبحانه يقدر الأشياء أزلًا، ولا =

يقال: يوجد أزلًا، فإنه محال من وجهين: فإنه كونه موجدًا إنما هو بأن يوجد ولا يوجد ما هو موجود وإنما يوجد ما لم يكن موصوفًا لنفسه بالوجود وهو المعدوم، فمحال أن يتصف الموجود الذي كان معدومًا بأنه موجود أزلًا فإنه موجود عن موجد أوجده.

والأزل عبارة عن نفي الأولية عن الموصوف به، فمن المحال أن يكون العالم أزلًا في الوجود، ووجوده مستفاد من موجده وهو الله تعالى.

والوجه الآخر من المحال الذي لا يقال في العالم: إنه موجود أزلًا؛ لأن معقول الأزل نفي الأولية، والحق هو الموصوف به، فيستحيل وصف وجود العالم بالأزل؛ لأنه راجع إلى قولك: العالم المستفيد الوجود من الله غير مستفيد الوجود من الله؛ لأن الأولية قد انتفت عنه بكونه أزلًا، فيستحيل على العالم أن يتصف بهذا الوصف السلبي الذي هو الأزل، ولا يستحيل على الموصوف به، وهو الحق أن يقال: خلق الخلق أزلًا بمعنى قدر، فإن التقدير راجع إلى العلم، وإنما يستحيل إذا كان خلق بمعنى أوجد، فإن الفعل لا يكون أزلًا.

وإن قلت: لعله أراد إثبات الحدوث الذاتي.

قلت: من قوله: ولا يستحيل على الموصوف به إلى الآخر لا يتمشى معه ذلك الاحتمال.

وحاصل كلام الشيخ في هذا الباب أن الزمان أمر معدوم في الخارج، موهوم في ذهن الإنسان لما يراه من الليل، والنهار، والشهر، والسنة، وذلك يترتب على الشمس وحركتها فهو امتداد وهمي، وأكثر الناس ممن يقول: بحدوث العالم يتخيل وجود الحق ووجود العالم امتدادًا زمانيًا لا ابتداء له، انتهى آخره بحدوث العالم.

وقد قال بذلك جماعة من أئمة الأشاعرة، فالشيخ ينفي ذلك؛ لأنه عند فرض عدم المتوهم ولا وجود له أصلًا حينئذٍ، فهو معدوم مطلق، فلا يتصور كونه بين الحق والعالم، وما يقال من أنه لو قدرت تلك المدة التي كان العالم فيها معدوم لكانت كذلك، فكلام لا طائل تحته؛ لأنه إثبات للزمان مع فرض عدمه، لأن ما يقبل التقدير والمساواة هو الزمان لا غير، فالعالم حادث ولا امتداد، وقد ذهب إلى هذا جماعة من محققي الأشاعرة قال في «المواقف» وشرحه: سواء قلنا أن العالم حادث بالحدوث الزماني كما هو رأينا، أو بالحدوث الذاتي كما هو رأى الحكيم، فتقدم الباري سبحانه عليه لكونه موجدًا إياه ليس تقدمًا زمانيًا وإلا لزم كونه تعالى واقعًا في الزمان، بل هو بقدم ذاتي عندهم، وقسم سادس عندنا كتقدم بعض أجزاء الزمان على بعضها ، انتهى. =

=

ومما يؤكد ذلك ما قاله في أول «الفتوحات» في «عقيدة الخواص»، وقد لا توجد في بعض النسخ، وقد توجد رسالة مستقلة تسمى «بالمعرفة» مسألة: ليس العالم مع الباري في وجوده.

أقول: هذا نفي لقدمه الذاتي.

ثم قال: ولا بينهما بون يقدر بل هو ارتباط ممكن بواجب، ومخلوق وخالق، فهو في الدرجة الثانية من الوجود، والباري في الدرجة الأولى، وليس بينهما رتبة مثاله – ولله المثال الأعلى – الحيزان المتجاوران للجوهرين ليس واحد منهما في درجة الآخر ولا بينهما حيز، فيكون بهذه المثابة الارتباط على التقريب، إذ العبارة لا تسع أكثر من هذا في هذه المسألة.

وهذا مذهب ثالث لاح بين القدماء والأشاعرة، فانتفى القدم عن العالم.

أقول: هذا تصريح بالحدوث الزماني؛ لأنه ما نقل عن أحد من العقلاء القدماء والمحدثين أنه قديم بالذات، وإنما ذهب القدماء إلى أنه قديم بالزمان حادث بالذات، فقوله: «ولا يقول به القدماء» نفي للقدم الزماني.

ثم قال: وانتفى التقدير والوهمي الذي يقدره الأشاعرة بين الحق والخلق، وانتفى الحدوث والافتقار عن الله وثبت القدم الإلهي، انتهى .

ولو حمل كلام الشيخ ﵁ على إثبات الحدوث الذاتي لما كان مذهبه ثالثًا لمذهب القدماء والأشاعرة بل كان غير مذهب القدماء، ولو لا ذلك لما كان يحتاج إلى مثال الجوهرين المتجاورين في الحيزين، لأنه إنما جاء به ليبين أن العالم مع حدوثه لا امتداد بينه وبين وجود الحق، كما لا واسطة بين الحيزين، ولكون هذا المعنى في غاية الدقة قال العبارة: لا تسع أكثر من هذا، وهذا هو الذي قال المحققون من المتكلمين من الأشاعرة، فإن تقدم الحق على العالم كتقدم الأنات المتتالية التي لا نشك في تقدم بعضها على بعض مع أن المتأخر منها ليس وجود مع وجود المتقدم، فالمتقدم كان ولا متأخر ثم وجد المتأخر وليس بين وجود الأنين أمر ممتد هذا كلامهم وهو لا يتمشى عند الحكيم، لأنه يثبت بين كل أنين فرقًا زمانًا يقبل انقسامات غير متناهية.

وقال في الباب الرابع والعشرين من «الفتوحات»: اعلم أن المتضايفين لابد أن يحدث لكل واحد منهما اسم تعطيه الإضافة، فإذا قلت: «زيد» فهو إنسان بلا شك لا يُعقل منه غير هذا، فإذا قلت: «عمرو» فهو إنسان لا يُعقل منه غير هذا، فإذا قلت: «زيد بن عمرو أو زيد عبد عمرو» فلاشك أنه قد حدث لزيد اسم البنوة إذا كان ابن عمرو، وحدث لعمرو اسم الأبوة إذا كان أبا

=

=

لزيد، فبنوة زيد أعطت الأبوة لعمرو، وأبوة عمرو أعطت البنوة لزيد، فكل واحد من المتضايفين أحدث لصاحبه معنى لم يكن يوصف به من قبل الإضافة، وكذلك «زيد عبد عمرو» فأعطت العبودية أن يكون زيد مملوكًا، وعمرو مالكًا، فقد أحدثت مملوكية زيد اسم الملك والمالك لعمرو، وأحدث ملك عمرو لزيد مملوكية زيد، فقيل فيه: مملوك، وقيل في عمرو: مالك.

ولم يكن لكل واحد منهما معقولية هذين الاسمين قبل أن توجد الإضافة، فالحق حق والإنسان إنسان، فإذا قلت: الإنسان والناس عبيد الله، قلت: إن الله ملك الناس لابد من ذلك.

فلو قدرت ارتفاع وجود العالم من الذهن جملة واحدة من كونه ملكًا لم يرتفع وجود الحق لارتفاع العالم، وارتفع وجود معنى الملك عن الحق ضرورة، ولما كان وجود العالم مرتبطًا بوجود الحق فعلًا وصلاحية وقوة، لهذا كان اسم الملك لله تعالى أزلًا وإن كان عين العالم معدومًا في العين، لكن معقوليته موجودة مرتبطة بالاسم الملك فهو مملوك لله تعالى وجودًا، وتقديرًا، وقوة، وفعلاً فإن فهمت وإلا فافهم، وليس بين الحق والعالم بون يعقل أصلاً إلا التميز بالحقائق، انتهى.

أقول: من قوله «فلو قدرت» إلى قوله: «وإلا فافهم» تصريح بحدوث العالم، وجواب عن ما يرد عليه من تعطيل الصفات في الأزل بإثبات الصلاحية والقوة أزلًا، ولولا أنه أراد بقوله: وإن كان عين العالم معدومًا، تقدم عدمه على وجود كما هو مذهب المتكلمين في أجزاء الزمان لما احتاج إلى إثبات القوة الصلاحية.

ومن قوله: «فافهم إلى آخره» إشارة إلى ما تقدم من نفي الامتداد المتوهم.

وقال في الباب السادس والعشرين: فاعلم أن الأزل عبارة عن نفي الأولية عن الله تعالى من كونه إلهًا، وإذا انتفت الأولية عنه سبحانه من كونه إلهًا، فهو المسمى بكل اسم سمى به نفسه أزلًا، فهو العالم الحي، المريد، السميع، البصير ، المتكلم، الخالق، القادر، الباري، المصور، الملك، لم يزل مسمى بهذه الأسماء وانتفت عنه أولية التقييد، فسمع المسموع، وأبصر المبصر إلى غير ذلك.

وأعيان المسموعات والمبصرات معدومة غير موجودة، وهو يراها أزلًا كما يعلمها ويميزها، ويفصلها أزلًا ولا رتبة لها في النفسي الوجوب، بل هي في رتبتها الإمكانية، فالإمكانية لها أزلًا لم يكن قط واجبة لنفسها ثم عادت ممكنة، بل كما كان الوجوب الذاتي لله أزلًا كذلك الإمكان

=

=

للعالم أزلًا، فالله في مرتبته بأسمائه الحسنى مسمى منعوتًا موصوفًا ، فعين أوليته عين آخريته، وعين ظاهريته عين باطنيته، لا يقال هو أول بنسبة كذا ولا آخر بنسبة كذا، فإن الممكن مرتبط بواجب الوجود ارتباط افتقار إليه في وجوده، فإن وجد لم يزل عن إمكانه، وإن عدم أو بقى على عدم لم يزل عن إمكانه، فكما لم يدخل على الممكن في وجوده وصف يزيله عن إمكانه، كذلك لم يدخل على الخالق الواجب الوجود في إيجاده العالم وصفًا يزيله عن وجوبه، فلا يعقل الحق إلا هكذا، ولا يعقل الممكن إلا هكذا، فإن فهمت علمت معنى الحدوث ومعنى القدم، انتهى.

أقول: قد بين الشيخ في هذا الكلام أن آثار الأسماء تترتب على الأعيان الثابتة، فلا يلزم تعطيل الإلهية بحدوث العالم، وهذا الذي خاف منه الحكماء، فقالوا: بقدم العالم حتى لا يلزم تعطيل الإلهية، ولا حدوث أمر للذات لم يكن عليه، لأنها واجبة من جميع الجهات ليس لها جهة، ممكنة، وبهذا شنعوا على القائلين: بحدوث العالم.

قال ابن سينا في كتاب «المبدأ والمعاد»: إن هؤلاء المعطلة الذين عطلوا الله عن وجوده، ثم تكلم على ما يلزم من حدوث العالم، وهو في هذا الكتاب يسمى من يقول بحدوث العالم معطلًا في مواضع منه هذا على أسلوبه، وأما على أسلوب الشيخ ﷺ فلا يلزم تعطيل الإلهية؛ لأن الأعيان الثابتة مظهر آثارها، ومطرح أنوارها.

وإلى هذا أشار الشيخ في الباب الحادي والأربعين بعد ما تكلم على إدراك الأشياء بنور الشمس ونور البصر معًا، فقال: «ونظيره الذي يؤيده إيجاد العالم» فإنه من حيث ذاته عدم ولا يكتسب الوجود إلا من كونه قابلًا لإمكانه، والحق قادر على إيجاده، فلو زال القبول للإيجاد من الممكن لكان كالمحال الصرف لا يقبل الإيجاد، وقد اشترك المحال والممكن في العدمية، ولو لم يكن اقتدار الحق ما وجد عين هذا المعدوم الذي هو الممكن، فلم تظهر الأعيان العدمية في الوجود إلا بكونها قابلة وهو مثل نور البصر، وكون الحق قادرًا وهو مثل نور الشمس فظهرت الأعيان كما ظهرت المبصرات بالنورين، فكما أن الممكن لا يزال قابلًا، والحق قادرًا فيحفظ عليه البقاء في الوجود، وهو من ذاته عدم، كذلك الباصر لا يزال نور بصره في بصره والشمس متجلية بنورها، فيحفظ الأبصار للمبصرات، وهي من ذواتها غير منورة، بل هي مظلمة، فأعقل إن كنت تعقل فهذا الأمر أصل ضلال العقلاء لما لم يعقلوه.

=

أقول: أراد بهم الفلاسفة ممن يقول: بقدم العالم.

ثم قال: وهو أصل جهل المتكلمين لما لم يعقلوه.

أقول: أراد بهم من يقول: بحدوث أسماء الأفعال من الأشاعرة مثل الخالق والمصور وغيرها.

ثم قال: ومن هذا الأمر تبين لك قدم الحق وحدوث الخلق، لكن على غير الوجه الذي يعقله أهل الكلام، أقول: لأنهم يجعلون بين وجود العالم ووجود الحق مدة موهومة غير متناهية من وجهة الأزل كما تقدم.

ثم قال: وعلى غير الوجه الذي يعقله الحكماء.

أقول: لأنهم قالوا بحدوثه الذاتي، وقدمه الزماني.

فمذهب الشيخ كما تقدم مذهب ثالث، ثم قال: إلا إنهم -يعني الحكماء- أقرب إلى العلم من غيرهم حيث لم يعقلوا الله إلا إلهًا وغيرها ليس كذلك، انتهى.

وقال في آخر الباب الثاني من «الفتوحات»: إن الحقائق أُعطت لمن وقف عليها ألاَّ يتقيد وجود الحق مع وجود العالم بقبلية ولا معية ولا بعدية، فإن التقدم الزماني والمكاني في حق الحق تقدس وتعالى قد رمت به الحقائق في وجه القائل به على التحديد، اللهم إلا أن يقول من باب التوصيل، كما قال الرسول ﷺ ونطق به الكتاب، إذ ليس كل أحد يقوى على كشف هذه الحقائق.

ولم يبق لنا أن نقول: إلا أن الحق تعالى موجود بذاته لذاته مطلق الوجود غير مقيد بغيره ولا معلول ولا علة لشيء، بل هو خالق المعلولات، والعلل، والملك، القدوس، الذي لم يزل، وأن العالم موجود بالله سبحانه لا بذاته مقيد بوجود الحق في ذاته، فلا يصح وجود العالم ألبتة إلا بوجود الحق تعالى، وإذا انتفى الزمان عن وجود الحق تعالى وعن وجود بدء العالم، فقد وجد العالم في غير زمان، فلا نقول من جهة الحقائق: إن الله موجود قبل العالم، إذ قد ثبت أن القبلية من صيغ الزمان ولا أن العالم بعد وجود الحق إذ لا بعدية ولا مع وجود الحق، فإن الحق هو الذي أوجده وهو فاعله ومخترعه ولم يكن شيئًا، ولكن كما قلنا: الحق موجود بذاته والعالم موجود به.

فإن سأل متوهم: متى كان وجود العالم من وجود الحق؟

قلنا: «متى» سؤال عن الزمان، والزمان من عالم الغيب، هو مخلوق لله تعالى، فهذا السؤال باطل،

وأمّا نقل المعترض عن هذا الهُمام أنه قال بحلّ الزنا، فترك الجواب عن هذا هو الجواب، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

بقي القول على قول المعترض أنه ﷺ يفسِّر القرآن برأيه، وهو مما لا يجوز.

أقول: إن تفسير القرآن بالرأي عبارة عن أن يبيِّن أحد معنى آية على وجه يخالف به نصًّا، أو ينكر فيه على جمهور المفسِّرين، وشأن هذا العارف في تفسير كلام الله ليس كذلك، فإنه إذا ذكر آية في كتابه قال بظاهرها كغيره، ثم يلتفت إلى البطن الذي يليه، وهكذا إلى سبعة أبطن، ويستنتج منه ما يوافق مذهبه كغيره من المجتهدين، فإن

=

فانظر كيف تسأل، فإياك أن تحجبك أدوات التوصيل عن تحقيق هذه المعاني وتحصيلها، فلم يبق إلا وجود صرف خالص لا عن عدم وهو وجود الحق تعالى، ووجود عن عدم وهو وجود العالم، ولا بينية بين الوجودين، ولا امتداد إلا التوهم المقدر الذي يحيله العلم ولا يبقى منه شيئًا.

ثم قال: لما علم الحق نفسه علم العالم، إذ لم يزل العالم مشهودًا له سبحانه وتعالى، ولم يكن موجودًا لنفسه، فلم يكن مشهودًا لنفسه، انتهى.

ولو أردت أن أجمع كلام الشيخ في حدوث العالم لكان مجلدة كبيرة، وفيما أوردناه كفاية لأهل العناية.

وقال في «عقلة المستوفز»: إن الله كان ولا شيء معه وهو يعلم، ويريد بقاء المعدوم في العدم أي موصوفًا بالعدم، يعلم نفسه بنفسه، ويسمع كلامه من كونه متكلمًا، ويرى ذاته وهو الحي لذاته، فهذه الأسماء والنسب وهي الحي ، العالم ، السميع، البصير ، المريد هي التي لم يزل حكمها أزلًا، وأما كونه قادرًا، ورازقًا، وخالقًا، ومبدعًا، فصلاحية الإيجاد وما بين الوجودين امتداد ولكن الارتباط بين الوجودين ارتباط المحدث بالقديم على الوجه الذي يليق بالجلال، انتهى.

واعلم أن ما أوردناه من كلام الشيخ في الباب التاسع والستين: يدل على حدوث المجردات والماديات... وراجع عين الحياة (ص١٨٦)، ضمن كتابنا «إرشاد ذوي العقول» طبع دار الآثار الإسلامية.

كلاً يأخذ من القرآن ما يوافق مذهبه، إلا أنهم ينظرون إلى الظاهر، وهو ينظر إليه وإلى الباطن.

وقد صحَّ أن للقرآن ظهرًا وبطنًا عند السادة ﷺ حتى أنهم قالوا في قوله ﷺ: «**أُنزل القرآن على سبعة أحرف**»[1]: إنه أشار إلى الأبطن السبع المذكورة.

وقد نُقل عن سيدنا ابن عباس ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿**يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ**﴾ [الطلاق:١٢]: لو سمعتم ما أقول في تفسير هذه الآية لرجمتوني.

والله أعلم أنه أراد ما هو غير المتبادر من ظاهر الآية، وهو المنكر عند المخاطبين، ثم إن لهذا الهمام في فهم كلام الله تحقيقات لا تخطر ببال عارف فضلاً عن عالم، ولنذكر من ذلك شيئًا، زيادة في الفائدة، وبيانًا لمزيد فضله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾ [ص:٥].

فالمفسِّرون جعلوا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾ من قول الكفرة المحكي عنهم، وهو ﷺ جعله من قول الله تعالى، أو من قول الرسول المحكي عنه ﷺ؛ وذلك لأن الإله إله لنفسه في بادئ الرأي من غير جعل جاعل، وهو ظاهر فيكون الكفرة جعلوه مجعولاً مما يتعجَّب منه إذا وقع ممَّن له عقل على الخصوص ما جعلوه من آلهتهم، فإنه ربما كان حجرًا يستجمر فيه، وهذا المعنى أدق سرًّا مما ذهب إليه المفسِّرون من كون التعجُّب راجعًا إلى جعل الآلهة إلهًا واحدًا.

ومن ذلك ما قاله ﷺ في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ**

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٩٠٩)، وأبو داود (٢/ ٧٥)، والترمذي (٥/ ١٩٣).

اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] من أن المعنى: لو كان هذا القرآن مصنوعًا صادرًا من عند أحد من الخلق؛ فلا بد وأن يلتزم صانعه مذهبًا خاصًا من المذاهب مع إنكاره لخلافه، ككونه جبريًّا أو قائلاً بخلق الأفعال، أو بالكسب، أو بالإرادة الجزافية، أو بالأسباب والشروط الصادرة منه تعالى التي يستند إليها العبد في فعله.

وهكذا بقية الاختلافات الموجبة لوقوع الاختلاف في كلام هذا الصانع، حيث تمسَّك بما يوافق رأيه منها، وحيث لم يكن فيه اختلاف في شأن العقدية، بل كُل ذي عقدية يأخذها ويفهمها منه، إمَّا بطريق الإشارة، أو صريح العبارة، يُعلم منه أنه من عند مَن لم يلتزم مذهبًا خاصًا، وهو الله تعالى، فلم يقع الاختلاف؛ لعدم الالتزام المذكور.

قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر:٣٩]، فهذا جبر محض، ﴿وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية:٣٩]، فهذا كسب أو خلق للأفعال، وعلى هذا فليقس سائر مذاهب الإسلامية، فهم اختلفوا في المأخذ لا في المأخوذ منه.

وأمَّا المفسُّرون فذهبوا في معنى هذه الآية إلى غير هذا المذكور، وفي كلامه ﷺ من الأسرار اللطيفة ما ليس في كلامهم لهذا ونحوه، فسبحان مَن خصَّ مَن شاء بما شاء، وإليه المرجع والمآب.

❊ ❊ ❊

المقام الثاني

في ذكر الجمل المنقولة من كلام سيد العارفين ﷺ المعترض عليها الشيخ على القاري

الأولى: منها قوله في كتاب «فصوص الحكم» في فصِّ آدم ﷺ: إنه للحق بمنـزلة إنسان العين من العين[1].

---

(١) قال ابن ناصر في شرح قول الشيخ: (**وهو للحق تعالى بمنـزلة إنسان العين من العين الذي به يكون النظر، وهو**): أي الإنسان المذكور المعبر عنه بالبصر، فيبصر بالإنسان الكامل الكمالات الأسمائيَّة بجملتها هذا من مقام قُرب الفرائض، كما أنه بقُرب النوافل يكون الحق تعالى بصره الذي به يبصر، كذلك في هذا المقام القرب الفرائض، يبصر الحق تعالى بالإنسان الكامل، وفي الأول كان الحق بصر العبد، وفي الثاني العبد بصره، وبه يبصر ويرحم، يشير إلى هذا المقام قوله تعالى حكايةً عن أعلم الخلق بالله تعالى: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه:٣٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾ [الانشقاق:١٥].

فهذا من إشكال المسائل كيف يوجب المعنى حكمه لغير مَنْ قام به، فتشبه هذه المسألة مسألة قُرب النوافل، والوجه الجامع بين المسألتين وجود الحكم المضاف إلى المعنى في غير المحل الذي قام به ذلك المعنى، وهل البصر يختلف حكمه باختلاف المبصرين؟ أم هل يستويان؟ مثلاً يقوم زيد، ويبصر به عمرو، وهذا محال عقلاً؛ ولكن أذكر لك مسألة متَّفق عليها، وهي ما ورد في الخبر الصحيح بالتنبيه عليها، وشهد الكشف الصريح.

فاعلم أن الحق سبحانه منـزَّه عن الحلول، والحدوث، وإن الإنسان يبصر ببصره، ويسمع بسمعه لا بسمع غيره، وهذه قوى قائمة بجوارحه، ثم إن هذا الشخص يعمل بعملٍ زائد عن الفرض الذي افترض الله تعالى عليه من نوافل الخيرات، فينتج له هذا العمل نفي بصره، وسمعه، وجميع قواه التي كانت توجب له أحكامها، فكان ينطلق عليه من أحكامها أنه بصيرٌ إلى هذا: أنه بصيرٌ سميع إلى ذلك، فصار يسمع بالله بعد ما كان يسمع بسمعه، ويبصر بالله بعد ما كان يبصر ببصره مع العلم بأن الله تعالى تقدَّس أن تكون الأشياء محلاً له أو يكون هو تعالى محلاً لها، فقد
=

=

بصر العبد بها لم يقم به، وسمع بها لم يقم به فكان الحق سمعه، وبصره وهكذا في مسألتنا قُرب الفرائض، والمناسبة بين القُربين ظاهرة، وهي منشأ القياس بلا فارق، فافهم.

فلهذا سمّي إنسانًا: أي لهذا الإبصار سُمّي الإنسان إنسانًا، وهو فعلان صيغة مبالغة للمبالغة فيه، فما كل عين ناظر لهذه المرتبة إلا عين الإنسان، ولولا إنسان العين ما نظرت عين الإنسان، فبالإنسان نظر إلى الإنسان، كما أن المرآة إن كانت تامة الخلق مجليّة، فلا تكمل إلا بتجلّي صورة الإنسان الناظر الذي هو العلة الغائية فافهم.

قال ﷺ في «**الفتوحات**»: إن الأناسيَّ ثلاثة: الإنسان الأول الكل الأقدم، والإنسان العالم وهو الإنسان الكبير والإنسان الآدمي، فانظر ما هو أتم من هذه الثلاثة، انتهى كلامه.

(**فإنه به نظر إلى خلقه فرحمهم**): أي الحق بالإنسان نظر إلى خلقه، فرحمهم كما جاء في الخبر الصحيح: «**فبهم يرحمون والله الرحمن الرحيم**».

أما ترى أن موسى ﷺ وعلى نبيّنا ﷺ كيف طلب شرح الصدر، ووزارة الأخ وهو رحمة، ثم أعقبه بقوله: ﴿**إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا**﴾ [طـه:٣٥] فما رحمها إلا بعد أن بصرهما بهما، فالعبد آله الرب للإبصار، وهذا من مقام قُرب الفرائض، فأوجب المعنى كلمة لغير مَنْ قام به.

ومن هنا برقت بارقة لمن قال من أهل النظر: إن البارئ مريد بإرادة حادثة لم تقم به تعالى؛ لأنه ليس محل الحوادث، فخلق الإرادة لا في محل، فأراد بها، فأوجبت الإرادة حكمها لمن لم يقم به، كما ظنّت المعتزلة في الكلام، وأمّا الذي يرى أن المعاني لا توجب إلا لمن قامت به، طرأ عليه الغلط لكونه أثبت الصفات أعيانًا متعددة وجودية، لا تقوم بنفسها، بل تستدعي موصوفًا بها، تقوم به فيوصف بها فلو علم أن ذلك كله نسب وإضافات لا عين لها في عين واحدة، تكون تلك بالنسبة إلى كذا عالمة وإلى كذا قادرة، وإلى كذا غنيَّة، وإلى كذا عزيزة، هكذا سائر الصفات والأسماء، فيهون أمثال هذا عليه.

أما سمعت خبر: «**كنت سمعه وبصره**»، فالعبد هو الرائي ببصره، والبصر هوية الحق، وكذلك السمع لا حال ولا محل، فإنه تعالى لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء، ولا بدَّ من عين العبد، ولابد من عين هوية الحق، فرأى بغير ما قام به فافهم، فإنه من مشكلات هذا الفن، ذكرتها بالتقريب. [انظر: حكم الفصوص وحكم الفتوحات (ص٢٥٣) بتحقيقنا].

قال المعترض: ومحظوره ظاهر، ومحذوره باهر؛ لأنه سبحانه قبل إنشاء آدم، بل قبل إبداء العالم كان بصيرًا، وكان في عالم القدم يرى الأشياء قبل ظهورها من الوجود إلى العدم، ثم إن تعليله بقوله: فإن به نظر الحق إلى خلقه فرحمهم ليس بصحيح على إطلاقه؛ إذ خلق الملائكة والشياطين من قبل إيجاده، فلا يكون سبب الرحمة على عباده، انتهى.

أقول في هذا وبالله التوفيق: إن بيان هذه الجملة يحتاج إلى بسط، وهذه العجالة لا تحمله، لكن لا بدَّ من ذكر شيء لابدّ منه في بيانه؛ ليعلم أن مذهب هذا العارف ﷺ مع موافقة القوم له، أن حقائق الأشياء وماهيتها ثابتة في علمه تعالى أزلاً، وتُسمَّى أعيانًا ثابتة؛ لثبوتها في العلم الإلهي، وعدم براحها عنه؛ فهي ما شمت رائحة الوجود الخارجي، وإلا لكانت قديمة فيه، وقد تقدَّم هذا في الرسالة الأولى.

ثم إن هذه الحقائق المتفصِّلة المتميِّزة في هذا العلم الإلهي ترجع إلى أصل واحد، وهو حقيقة الإنسان الكامل ظل حقيقة محمد ﷺ، فكانت هذه الحقائق العلمية برجوعها إلى هذا الأصل تفاصيله؛ لإجمال حقيقته، وجمعيتها الكلية، وكان النظر الإلهي إلى هذا الجامع نظرًا إليها؛ لأنها أجزاؤه وتفاصيله، وهذا النظر يكون عند تجلِّياته تعالى بالفيوضات السرمدية التي لا تنقطع عن خلقه آنًا واحدًا؛ رحمةً بهم، فنظره تعالى بهذا إلى خلقه، يكون بنظره تعالى إلى هذا الجامع، فكان كإنسان العين من العين؛ للاشتراك في محلِّ النظر، وبه كانت الرحمة.

وليس المراد: إن الواجب تعالى جسم له عين، وإن آدم إنسانها، فإنه لا يقوله عاقل فضلاً عن عارف، فيسقط المحظور والمحذور، وأمَّا كونه تعالى في عالم القدم يرى الأشياء قبل ظهورها؛ فهذا منه؛ لأنه من عالم القدم حيث هذا يكون لآدم حال كونه

صورة مخزونة في العلم الإلهي، وليس هذا له حال كونه جسمًا عنصريًا.

وقوله ﷺ: فإنه به نظر الحق إلى الخلق فرحمهم، وذلك عند سؤالهم من حضرة الحق تعالى الخروج من الباطن العلمي إلى الظاهر الخارجي الذي يكون به كمالاتهم، وذلك عند قبولهم واستعدادهم لذلك، فينظر تعالى إلى حقائقهم بحقيقة أبيهم الأصل الأول؛ فيفيض تعالى عليهم من خزائن جوده ما هم عليه في حضرة علمه، فيخرجون عليه، ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

هذا النظر والإعطاء أمرٌ شامل لكل مخلوق، حيث كان كل مخلوق راجعًا إلى هذه الحقيقة الإنسانية، وليس هو خاصًا بهذا النوع الإنساني، كما توهَّم المعترض، فسقط قوله: إنه قبل آدم كانت الملائكة والشياطين، ثم إني أعترض على قول المعترض، وكان في عالم القدم؛ فإن هذا مذهب سيدنا العارف، والصوفية القائلين بوجود حقائق الأشياء في العلم، وهذا ليس مذهب الفقيه، فكان هذا القول منه غلطًا وسهوًا.

بقي قوله: إن في هذا ضَربُ مثل، وقد قال تعالى: ﴿فَلا تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤].

وجوابه: إن معنى هذه الآية: فلا تجعلوا لله مثلاً، كما قاله الفخر، وليس هذا منه، فإنه مشى ﷺ بقوله: إنه للحق بمنـزلة إنسان العين للعين على طريقة الرسل عليهم السلام، والراسخين في العلم، فإن هذا دأبهم، لأجل أن يسهل الأمر في بيان الشأن الإلهي، فسقط اعتراض المعترض من جميع الوجوه في شأن هذه الجملة الشريفة.

الجملة الثانية من جمل الاعتراض:

قوله ﷺ في فصِّ آدم: إن الإنسان هو الحادث الأزلي، والنشأ الدائم الأبدي، انتهى

قال المعترض: والقول بقدم العالم كفرٌ بإجماع العلماء، ثم قال: فتأمَّل، فإنه موضع زلل، ومحلَّ خللٍ.

أقول: لا إشكال في هذا ولا كفر، ولا زلل ولا خلل.

أمَّا أزلية هذا المذكور: فباعتبار صورة حقيقته العلمية كما تقدَّم.

وأمَّا حدوثه: فباعتبار إنه كان عن الحق سبحانه وتعالى، وكل ما كان عن الحق تعالى؛ فهو حادث؛ لأن الماهيات مجعولة بالجعل البسيط، فلا زلل ولا خلل في قوله: الحادث الأزلي، فإن لهذه الحقيقة المذكورة وجهين كما علمت.

وأمَّا كونه نشأ أبديًا: فباعتبار انتقاله من بعد الموت إلى البرزخ، ثم منه إلى الدار الآخرة، ثم إن قول المعترض هنا، وإنما قال بقدم الأرواح جمع من الفقهاء، وهذا منه ليس في محلِّه من وجهين:

الأول: إن هذا النصَّ مذكور في الفصل المذكور.

الثاني: إنه قد تقدم صريح قول هذا العارف بحدوث جميع العالم بجميع أنواعه، حتى أن بعضهم نسب هذا القول إلى حجة الإسلام مع أن هذا المعترض ذكر قبل جملة «فيها شائبة من القدم» حيث قال في عالم القدم: وعند الفقهاء أن القدم لا يكون إلا لله وصفاته.

الجملة الثالثة: قوله ﷺ في هذا الفصِّ: إنا ما وصفنا الحق بوصف من الأوصاف إلا كنا عين ذلك الوصف، وقد وصف الحق نفسه لنا، فمتى شاهدناه؛ شهدنا أنفسنا، ومتى شاهدنا؛ شاهد نفسه.

قال المعترض: وهذا كفرٌ صريح؛ لأن ذات الإنسان وصفته لا تكون عين وصف الله ونفسه إلا في مذهب الحلول والاتِّحاد، ومشرب الوجود والإباحي وأهل الإلحاد، انتهى.

أقول: في بيان المراد من معنى هذه الجملة الشريفة عند هذا العارف؛ ليعلم أن جميع العلماء متفقون على أن للحق تعالى تجلِّيات لا عدَّ لها ولا حصر، ولا أمد لها ولا انقضاء، وإن كل تجلٍّ لا بدَّ له من مجلي خاص يعلم به المتجلِّي، ويتميَّز به التجلِّي عن باقي التجلِّيات.

ولا شك إن كل مجلي هو وصف من أوصافه تعالى، وبه يكون له تعالى اسم من الأسماء، وبالضرورة لابدَّ وأن يكون لهذا الوصف صورة في العلم الإلهي، وكل صورة علمية هي حقيقة كون من الأكوان، لما أسلفناه من أن الصور العلمية هي الأعيان الثابتة التي هي حقائق الأكوان، فما خرج كل وصف عن أن يكون حقيقة كونية، فكان قول هذا العارف ﷺ: إنا ما وصفناه بوصف من الأوصاف إلا كنا عين ذلك الوصف قولاً في غاية الدقة والتحقيق في العلم الإلهي، ولا حلول ولا اتِّحاد، ولا كون نفس الشيء صفة له تعالى.

بقي قوله: فمتى شاهدناه شاهدنا أنفسنا أي: حقائقنا العلمية التي هي أعياننا الثابتة صور صفاته تعالى، ومتى شاهدنا هو شاهد نفسه، وذلك إن العارف صاحب

الاطلاع والكشف إذا كشف له بالعناية الإلهية عن التجلِّي الإلهي الحامل للمجلي الخاص الذي له صورة في العلم؛ شهد تلك الصورة، وتلك الصورة عين حقيقته الكائنة في العلم، فيكون العارف ما شاهد عند التجلِّي إلا عين حقيقته ونفسه، كما إن الحق سبحانه وتعالى العالم بتلك الصورة الحاضرة لديه يشاهد ذاته المتجلِّية عند مشاهدته تلك الصورة، التي هي حقيقة المكون.

فلا إشكال في كلامه ﷺ عند الاطلاع على مرامه، وهذا الكشف إنما يكون لِمَن قطع بسيره حتى وصل إلى علم الحقائق، ودونه خرط القتاد، وهو قوله تعالى: ﴿**فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ [الجن:٢٧]، وهذا ظاهر، وعند السادة الصوفية، ومَن كان من كُمَّل أهل المعرفة؛ فله هذا الاطلاع حيث سار على قدم رسول من الرسل، وهم أندر من كل نادر، بل هم الكبريت الأحمر، فلا يطمع أحد من جهلة المتصوِّفة أن يكون له هذا المقام؛ فإنه مقام أهل العرفان، أصحاب الشهود والوجود، ومن أجلهم هذا الحَبر الهمام.

تتمة

إن غاية ما يصل إليه أهل الكشف؛ إنما هو حقائقهم العلمية، ولا كشف بعد هذا، كما إنها هي أول تجلِّياته تعالى، فتجلِّياته تعالى بحقائق الأشياء أول التنـزُّلات، وآخر الدرجات، والله أعلم.

الجملة الرابعة: قوله ﷺ في فصِّ شيث ﵇: إنه ليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، ولم يرَ أحدًا هذا العلم من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولم يرَ أحد من الأولياء إلا من مشكاة خاتم الأولياء؛ كنسبة الرسل والأنبياء إلى خاتم الرسل.

هذا وإن الشيخ القاري أطال الكلام هنا مع المناظر المتصوِّف، واعترض على سيدنا العارف بما لا مزيد عليه، ومآله هو إن هذا العارف جعل خاتم الأولياء أعظم من خاتم الرسل، ولا قائل به، وحيث إن كلاً من السائل والمسئول لم يكن له هذا المشرب العذب، والمنهل الحلو؛ اختبط الأمر، وعمَّ الحال، وكثر الغموض على الغموض، إلا أن المسئول ربما يحوم حول الحمى في بعض المواضع دون الشيخ القاري، فإنه في اليقظة والمنام ما فهم هذا الكلام كما قرَّرناه في الخطبة.

أقول في بيان هذا المطلب الشريف هو: إن حضرة العارف جعل الختم في ثلاث: ختم الرسالة في محمد ﷺ، وختم الولاية المطلقة في عيسى عليه السلام، وختم الولاية المحمَّدية فيه ﷺ، وتقدَّم هذا في خاتمة الرسالة السعدية.

ثم إنه ﷺ بيَّن في كتابه «فصوص الحكم»: إن لكل نبي من الأنبياء علمًا خصَّه الله به دون غيره من الأنبياء، فمَن أراد الاطلاع على هذا العلم الخاص، رجع فيه إلى حقيقة هذا النبي العالم به، فيأخذه منها، هكذا جرت عادة الله في أنبيائه؛ فلذا ذكر في كتابه المذكور لكلِّ نبيٍّ فصًّا على حدته، وإن الكل يأخذون العلم من مشكاة الحقيقة المحمَّدية من حيث ما هم أنبياء.

وأمَّا من حيث ولاية الأنبياء؛ إذ كل نبيٍّ وليٌّ فهم يأخذون من مشكاة خاتم الولاية المطلقة، وهو عيسى عليه السلام حتى رسولنا الأعظم ﷺ من حيث ولايته له، هذا الحكم فهو يأخذ من مشكاة عيسى كغيره، وهذا محل الإشكال؛ لأنه ﷺ هو الممدُّ للجميع بدأً وعودًا، وقد أجاب هذا العارف عن هذا بجوابين: أحدهما ظاهري متعارف، والآخر حقيق خاص بالخواص.

أمَّا الجواب الأول: فهو أنه ﷺ مقدم في باب الشفاعة على حضرة الواجب تعالى؛ لتأخُّر شفاعته تعالى عن شفاعة نبيه محمد ﷺ للحديث الصحيح الوارد في ذلك، لأنه قيل فيه: «**ثم يشفع أرحم الراحمين**»[١]؛ وثم تفيد الترتيب والتراخي.

ومن المعلوم أن التقدُّم في هذا فيه نوع تعظيم، ولا قائل به، بل ولا مجال لتوهُّم الأفضلية هنا، وكما وقع لعمر ﷺ في تقدُّم رأيه على رأي المصطفى ﷺ في شأن أسرى بدر، ولا قائل بأن عمر ﷺ في هذا فُضِلَ على سيده وسيد الكل، وأظنُّ أنه لا مراجع في ذلك؛ لظهوره ووضوحه.

وأمَّا الجواب الثاني: فهو أن حضرة النبي ﷺ حين مأخذه من مشكاة خاتم الولاية عيسى ﵇، لم يأخذ إلا من بعض مشكاته ﷺ، فإن الحقيقة المحمَّدية لها السبق على حقيقة كل شيء، ولها الجمعية الكمالية والإجمال، فكل حقيقة من الحقائق مندرج تحتها، وتفصيل لأجزائها، ومظهر من مظاهرها، فكان عيسى بهذا وإن بلغ ما بلغ من التقدُّم حسنة من حسنات هذا السيد الكامل ﷺ.

وقد أُشير إلى هذا السبق والتقدُّم في قوله ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري**»[٢]، وحديث جابر فيه تقسيم حال هذا النور.

وقد قال في هذا العارف سيدنا عمر بن الفارض المصري ﷺ[٣]:

وإنِّي وإنْ كُنتُ ابْن آدم صُورة ... فَلِي فِيه مَعنى شَاهد بِأبُوتي

---

(١) ذكره المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٢١٨)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٣٢٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في الديوان (٦٣٠).

وقد توهَّم الشيخ القاري: إن حضرة العارف أراد بختم الأولياء نفسه حتى قال ما قال فيه من وجوه الطعن التي منها: إن هذا العارف يزعم أنه مستغنٍ عن النبي ﷺ، وقد عرفت وجه بطلانه، فإن غاية دعوى هذا العارف إنه وارث محمَّدي، ولا وارث بعده.

وأمَّا بقية رجال الله فمنهم مَن هو على قدم موسى، ومنهم: مَن هو على قدم عيسى وهكذا، ويكون لهم هذا من جهة اتِّباعهم لمحمد ﷺ، فإن جميع أقدام الأنبياء راجعة إلى قدمه الشريف.

وليس المراد من قولهم: إن هذا مُوسوي مثلاً، إنه يأخذ من موسى إذا اتَّبع التوراة مثلاً؛ بل المراد ما ذكرناه، ولنسكت عن الشيخ القاري الذي من عادته الدخول في المسالك الضيقة رحمه الله وعفا عنه[1].

---

(١) **قال ابن ناصر الشريف الكيلاني**: كذلك الإنسان الكامل الكل، فإنه ختم به على خزائن العالم على النفاد، ولا تجسر أيدي الحوادث، وأيدي الزمان على فكِّ هذا الختم بالتغير والإنسان (**سمَّاه خليفة من أجل هذا**): أي من أجل أنه استخلفه، يحفظ ما في خزائن العالم والوجود أنه حفيظٌ عليمٌ، سمَّاه خليفة، والخليفة صورة مستخلفة، فما حفظ إلا بنفسه، فاحتفظت نفسه بنفسه، فبنفسه عين العلامة على نفسه، فافهم.

(**لأنه سبحانه الحافظ**) خلقه من حفظ الشيء نفسه؛ لأن الوجود عينه، وما في العالم سواه.

(**كما يحفظ الختم الخزائن**) بالعلامة التي في الختم، وهي صورة اسمه، والاسم عين المسمَّى، وبالعين يحرس العالم.

والختم ثلاث: ختم الولاية العامة الظاهرة في هذه الأمة، وهو المهدي.

وختم الولاية المطلقة وهو عيسى عليه السلام.

وختم الولاية المحمَّدية، فأمَّا ختم الولاية المحمَّدية، وهو الختم الخاص، فيدخل في ضمنه الختمان =

السابقان، وإن كان مطلقين وعامين، فهما مختومان، وتحت الختم المحمَّدي، وله التحقق بالبرزخيَّة الثابتة بين الذات والألوهيَّة؛ لأن ختميَّة النبوَّة تختص بحضرة الألوهيَّة، وله جمع الجمع لا جامع بعده مثله ولا حائز لكل الموارث غيره، وله كمال الآخريَّة المستوعبة، فله حكم الكل دون سواه، فلهذا لا يعرفه غير مولاه، وهو أعلم الخلق بالله، لا يكون في زمانه، ولا بعد زمانه، أعلم بالله، وبمواقع الحكم منه، فهو والقرآن إخوان، كما أن المهدي والسيف إخوان.

قال ﷺ: علمت حديث هذا الختم المحمَّدي بـ «**فاس**» من بلاد المغرب، وهو شعرةٌ واحدةٌ من جسده ﷺ، ولهذا يشعر به إجمالاً، ولا يعلم تفصيلاً إلا مَنْ أعلمه الله، أو مَنْ صدَّقه أن عرَّفه بنفسه دعواه، ذكره ﷺ في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة من «**الفتوحات**».

(**فما دام ختم الملك عليها لا يجسر أحد على فتحها إلا بإذنه**) فالختم دائمًا أبدًا دنيا وآخرة، فإن الختميَّة ثابتة غير مزالة، فافهم الإشارة تكن من أولي الألباب فإن هذا التمثيل خلاصة الخلاصة، ولباب هذا الباب فإن توهَّمت فرض الإزالة في النشأة الدنيويَّة فهي ثابتة من وجه آخر لا محالة وهو النشأة الأخرويَّة، فالختم دائمًا أبدًا، فافهم.

(**فاستخلفه في حفظ العالم فلا يزال العالم محفوظًا فيه ما دام فيه هذا الإنسان**) الذي هو الختم الدائم الجامع السرمدي، وذلك العبد هو المقصود من العالم النائب عن العالم كله الذي لو غفل العالم كلَّه أعلاهُ، وأسفلهُ زمنًا عن ذِكر الله، وذكره هذا العبد، قام في ذلك الذكر عن العالم كله، وحفظ به على العالم وجوده، ولو غفل العبد الإنساني المذكور عن الذكر زمنًا فردًا لم يقم العالم مقامه في ذلك وخرب منه.

وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة وفي الأرض مَنْ يقول الله الله**»، إشارةً إلى ذلك الذكر، وقال ﷺ في الباب الثالث والسبعين من «**الفتوحات**»: إن في العالم قطبًا ينظر الحق تعالى إليه، فيبقى به هذا النوع الإنساني في هذا الدار، ولو كفر الجميع وهو ذا جسم طبيعي، وروح موجود بجسّده، وحقيقته يتغذى بجسمه وروحه، وهو مجلى الحق من آدم إلى يوم القيامة.

كما أبقى الله بعد الرسول ﷺ أربعة من الرسل أحياء في هذه الدار الدنيا، وهو عيسى، وإدريس، وإلياس، وخضر عليهم السلام، وهذه المعرفة التي أبرزنا عينها للناظرين لا يعرفها من أهل طريقتنا إلا منَّا، فيبقى الأمرُ محفوظًا بهؤلاء الأحياء وثبت الدين قائمًا بحمد الله ما انهدم منه =

ركن إذا كان له حافظ يحفظه، وإن ظهر الفساد في العالم إلى أن يرث الأرض ومن عليها، وهذه نكتة فاعرف قدرها، فإنك لست تراها في كلام أحدٍ أبدًا، ولولا ما ألقى عندي في إظهارها ما أظهرتها لسرٍّ يعلمه الله ما أعلمنا به، ولا يعرف ما ذكرناه إلا نُوَّابهم خاصة لا غيرهم من الأولياء.

فاحمدوا الله يا إخواننا حيث جعلكم الله ممن قرع سمعه أسرار الله المخبوءة في خلقه التي اختصَّ الله بها مَنْ يشاء من عباده، انتهى كلامه.

(ألا ترى إذا زال) وجود الموضوع ليس بشرط في القضايا الشرطيات، فافهم.

(وفك من خزانة الدنيا لم يبقَ فيها ما اختزنه الحق فيها، والتحق بعضه ببعضٍ وانتقل الأمر إلى الآخرة، فكان ختمًا على خزانة الآخرة ختمًا أبديًا)، فالختميَّة ثابتة دائمًا أبدًا، فافهم.

قال ﷺ في الأجوبة من «**الفتوحات**»: فأقبل ما سبب الختم، ومعناه المنع والحجز، فافهم فكان الختم أزلاً فيكون أبدًا.

اعلم أنه ما ثم أمر من الأمور يفرض بين الأمرين، أو ينسب إليه بذاته، أو غاية إلا ولابد أن يكون له فاتحة هي مرتبة أوليته، وخاتمة هي مرتبة آخريَّته، وأمر ثالث يكون مرجع الحكمين إليه بجمعهما، ويتعيَّن بهما وهكذا الإنسان والعالم.

ورد في الخبر عن الفاتح الخاتم ﷺ أنه قال: «**أُعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه**» عن أبي موسى ﷺ ذكره في «جمع الجوامع»، فإذا تقرر هذا، فاعلم أنه سبحانه فتح خزانة غيبه، وذاته، وهويَّته التي لا يعلمها سواه باسمه الجامع بين صفات الجمع، والتصرُّف، والإطلاق، والتقييد، والأوليَّة والآخريَّة، والظاهريَّة، والباطنيَّة، وفَتْح باب معرفة ذاته وحضرة جمعه وإشهاده وتجلِّيه الكمالي المعتلي على سائر الأسماء والصفات بمن أظهره آخرًا، وقدَّره على صورته وحباه سره وسورته، وجعله خزانة مختومة حاوية على كل الخزائن ومفتاحًا وهو أصل المفاتيح الأول وينبوع الأنوار والمصابيح لا يعرفه سوى مَنْ هو مفتاحه، ويعلم هو المفاتيح التي حوتها ذاته، واشتملت عليها عوالمه، ونشأته وأحاطت بها مراتبه، ومقاماته ما شاربه أن يراه منها، ويكشف له عنها، فإن متعلق النفي الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**﴾ [الأنعام:٥٩] نفى أن يعرف مجموعها أو أن تعرف من حيث كونها مفاتيح، وأن يعرف بتعريفه وتعليمه سبحانه.

وأما كون المفاتيح لا تعلم نفسها، أو لا تعرف بعضها بعضًا، أو لا تُعرف بتعريفٍ، فلا نص فيه، فافهم.

=

فلكل فاتحة خاتمة، وهي عينها هو الأول، الآخر، الظاهر، الباطن جمع النقيضين وانختم الختم على العالمين، فافهم.

سُئل خاتم النبوة ﷺ متى كنت نبيًّا؟ قال ﷺ: «**كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين**» .

وأشار إلى الأزل، فلو سُئل خاتم الولاية المحمَّدية متى كنت وليًّا خاتمًا؟ فكان يقول في جوابه: كنت وليًّا وآدم بين الماء والطين: أي أزلاً، وكل أزلي أبدي فيكون الختم أبدًا، فافهم الإشارة.

فكل ولي ونبي كان ظهور نبوَّته وولايته مشروطًا بشروطٍ كالظهور بالبدن العنصري بخلاف خاتم النبوَّة وخاتم الولاية المحمَّدية، فإنهما كانا في الأزل نبيًّا ووليًّا، ولم يكن آدم شيئًا مذكورًا.

فكما أن الله تعالى ختم بمحمد ﷺ نبوَّة الشرائع، كذلك ختم الله بالختم المحمَّدي بالولاية المحمديَّة، بحيث لا يحصل للمحمَّدي فيض إلا من مشكاته ﷺ وله أمر الولاية المحمديَّة من قبل ومن بعد، كما أن أمر النبوَّة من قبل ومن بعد سواء كان قبل الوجود العنصري، أو بعده، فلا يأخذ ولي إلا من مشكاته، كما لا يأخذ نبي إلا من مشكاته ﷺ وهذه هي الأسوة الحسنة.

قال ﷺ إشارة إلى هذه الأسوة: «**أما لكم فيَّ أسوة....**» الحديث.

والختم المحمَّدي عبارة عن خاتم يكون على حرف قدم محمد ﷺ، وأما المحمَّديون بعد هذا الختم يكون على قلوب الأنبياء عليهم السلام، فلا بعده مَنْ يكون على قدمه يطأ أثره، كما لا يكون أحدٍ على قلبه: أي على قلب محمد ﷺ أبدًا، هذا معنى ختم الولاية المحمَّديَّة، وهو أعلم الخلق بالله، ولا يكون في زمانه، ولا بعد زمانه أعلم بالله، وبمواقع الحكم منه، فهو والقرآن إخوان، كما أن المهدي والسيف إخوان، وكما أن لا نبي بعد محمد ﷺ، كذلك لا ولي بعد هذا الختم سلام الله عليه، فإنه خاتم أولياء الذات، وروح الكلمات التَّامات، ولا بدَّ أن يرى في كشفيه ما ينبئك عن وصفه إن سلكت هذه الطريقة، وبلغت إلى هذه الحقيقة فافهم.

قال ﷺ في «**الفتوحات**» في أصل أسئلة الترمذي: أمَّا ختم الولاية المحمَّديَّة فهي لرجلٍ من العرب مِنْ أكرمها أصلاً ونسبًا، وهو في زماننا اليوم موجود، عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ورأيت العلامة التي قد أخفاها الحق سبحانه فيه في عيون عباده، وكشفها لي بمدينة «فاس» حتى رأيت خاتم الولاية النبوَّة المطلقة لا يعلمه كثير من الناس، وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق تعالى في سرِّه من العلم به، انتهى كلامه ﷺ.

وما رأيت بتصريحه بهذا المعنى لنفسه أصلاً إلا في مواضع قليلة منها في بيتٍ في الباب الثالث والأربعين من «الفتوحات» فإنه ﷺ قال:

وفي محلٍ من «**الفتوحات**» قال ﷺ يشير إلى مقام الخاتمي: خصَّني الله بخاتمة أمرٍ لم يخطر لي ببال،
=

الجملة الخامسة: قوله ﷺ في فصِّ إسحاق ﷺ: إن إبراهيم ﷺقال لولده: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

والحال أن النوم من عالم الخيال، وكان حقَّه أن يعبر الرؤيا وفق عالم المثال، فإن الكبش ظهر بصورة ولد إبراهيم، وفداه الله بذبحٍ عظيم، وهذا كما تصوَّر اللبن في منام نبينا ﷺ، وأوَّله بالدين، والعلم اليقين، وكما تصوَّرت البقرات بصورة السنوات بتعبير يوسف ﷺ

ثم قال: ولمَّا كانت صورة الكبش على صورة ولده؛ كان ينبغي له أن يعبر عنه بذبح كبش في بدله، فحمله على ظاهره، ووقع في اجتهاده على طريق مرجوحه، انتهى.

أقول وبالله التوفيق: إن تعبير الرؤيا قد ثبت بالقرآن العظيم والسنة المطهَّرة، وقد عبَّر ﷺ رؤيا ذبح البقرة بقتل واحدٍ من أهل بيته، وقد عبر الصديق ﷺ الرؤيا بحضرته الشريفة من بعد استئذانه في ذلك.

=

فشكرت الله بالفجر عن شكره مع توفيقي في الشكر حقه، فافهم، انتهى كلامه.

فإن قيل: بأي صفةٍ استحقَّ بها أن يكون خاتمًا للولاية المحمدية!

قلنا: بتمام مكارم الأخلاق مع الله، إنما قلنا: مع الله؛ لأن أغراض الخلق مختلفة، ولم يمكن تعميم موافقة العالم بالجميل فنظر نظر الحكيم، فلم يجد صاحبًا مثل الحق، ولا صحبة أحسن من صحبته، ورأى أن السعادة في معاملته، فنظر إليه فرأى أنه شرع أحكامًا، وحدَّ حدودًا فوقف عندها، فما صرف الأخلاق إلا مع سيده، فلما كان بهذه المثابة قيل فيه ما قيل في خاتم النبوة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قال ﷺ في الباب الرابع والثلاثين وخمسمائة من «**الفتوحات**»: إن هذه الآية تُليت علينا تلاوة تنزُّل إلهي من أول السورة إلى قوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣] انتهى كلامه. انظر: مجمع البحرين (٢٥٩).

وقال ﷺ: «**أصبت شيئًا أو أخطأت شيئًا**»(١)، وهذا مما لا نزاع فيه، قال تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:٤٣].

وأمَّا وقوع نفس المرئي: فتارة يكون، وهو أندر من كل نادر في الوقوع، وتارة يكون بسبب تعبير معبر أخذه على ظاهره، وذلك كما وقع لبقي بن مخلد حين رأى رسول الله ﷺ يسقيه لبنًا، فعبره بظاهره، ولم يتجاوزه إلى المراد منه؛ وهو الدين والعلم، فسقي لبنًا؛ ولكان علمًا إذا عبره.

كما قال ﷺ في ذلك: «**فأعطيت فضلي عمر**»(٢)، فعلم من هنا أن كل رؤيا لها تعبير.

كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:٤٣]، وقال تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١].

ولا شكَّ أن حضرة الخليل ﷺ يعلم ذلك كله قطعًا، ولَّما كان في التعبير صرف الأشياء عن الظاهر، ونفس المرئي هو الأصل؛ أخذ ﷺ بظاهر ما رأى حيث لم يكن التعبير من لوازم الرؤيا بأمر إلهي، وكان هذا اجتهادًا منه كما قاله هذا الحَبر: وأدبًا وامتثالاً.

وقول الشيخ القاري: إن رؤيا الأنبياء وحي لا يعارض التعبير، فإنه ﷺ عبر رؤياه مرارًا، وقوله: إن الأنبياء لا يخطئون باجتهادهم، وإذا وقع ذلك منهم، لم يُقروا عليه، بل ينبِّههم تعالى عليه.

---

(١) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٢٥٦) بنحوه.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٢٥٧١)، والترمذي (٥/ ٦١٩)، وأحمد (٢/ ١٣٠).

أقول: وهذا قد نبَّه تعالى عليه، حيث إنه ﷺ ما ذبح ولده، بل باشر أسبابه، فأرسل إليه الملك بالمنع، وقوله: إن صورة الولد صورة كبشٍ في عالم الخيال مما لا دليل عليه.

أقول: إن أكبر دليل عليه وقوع ذبح الكبش، وقوله تعالى: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا**﴾ [الصافات:١٠٥]، حيث لم يقل له: صدقت رؤياك، أو صدقت في رؤياك.

وقول الشيخ القاري: إن هذا العارف قد نسب إلى سيدنا إبراهيم ﷺ نقيصة في قوله، حيث لم يعبر، وهي طريق مرجوحة.

أقول: لا نقيصة ولا طعن حيث إن هذا الهمام معتقد يقينًا علم هذا الرسول ﷺ بالتأويل، إلا أنه تركه لِما ذكرناه، أو لأمر آخر، وترك التأويل مرجوح لِما مرَّ على أن حضرة سيدنا محمد ﷺ كان فعله في شأن أسارى بدر عن اجتهاد بلا شك.

ومع ذلك كان قول عمر ﷺ في ذلك هو الأرجح بنصِّ القرآن مع أنه ﷺ سيد العلماء، فكان ترك راجح، وفعل مرجوح مما لا يضرُّ في شأن العارفين، وإنما يضمر نسبة الجهل بالعلم بالله إليهم، ومحال هذا أن يقع منهم.

فإن قلت: وأين مقام هذا العارف من مقام سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ؟

قلت: لا مناسبة لولي مع نبي فضلاً عن رسول من أُولي العزم.

وكان هذا الوقع منه هنا نظير ما وقع لعمر مع رسول الله ﷺ.

فإن قلت: قصة بدر عُلمت من القرآن العظيم، ومن أين يعلم أن ما قاله هذا

الهمام في هذا الشأن حق؟!

قلت: هذا علم من كلام الله تعالى الذي جمع الله فيه علوم الأولين والآخرين، ومن أفعاله ﷺ وأقواله في ذلك، فإن هذا الشيخ الهمام تتبَّع كلام الله في ذلك، وكلام رسوله، واطَّلع على الدقائق والأسرار ببركة اتِّباعه لهذا الرسول ﷺ، وتمسُّكه بهديه، فظهر له من هذا في شأن إبراهيم عليه السلام، ورؤياه أن التعبير هو الطريق الراجح.

فكان قوله هذا في الحقيقة بلسان رسول الله ﷺ، فإن علم هذا الحَبر موروث عن خير الخلق وأعلمهم بالله، ولله درُّ البوصيري حيث قال:

وواقِفــون لَديْــه عِنــد حـدِّهــم   مِن نُقطةِ الْعلم أوْ مِن شَكلةِ الْحِكمِ

فلهذا غبطت الإنبياء -عليهم الصلاة والسلام- هذه الأمة المحمَّدية، وما ذلك إلا للوراثة المحمَّدية في التخلُّق والعلم، فكان قول الشيخ القاري هنا كجميع أقواله السابقة واللاحقة، مما لا يعول عليها في الفهم مما أراده هذا العارف، فقدم في الثرى، وقدم في الثريَّا، والله أعلم.

الجملة السادسة: قوله رضي الله عنه في فصِّ إسماعيل عليه السلام: إن الكفار وإن لم يخرجوا من النار؛ لكن في عاقبة الأمر يصير العذاب عذابًا لهم، بحيث يتلذَّذون بنار الجحيم والماء الحميم، كما يتلذَّذ أهل الجنة بالنعيم المقيم، انتهى.

قال الشيخ القاري هنا: وهذه الدعوى منه في علم الغيب من غير نقل صحيح كفرٌ صريح، انتهى.

أقول وبالله التوفيق: إن كون هذه الدعوى منه متوقِّفة على النقل الصحيح؛ فسلِّم؛ لأنه لا مجال للعقل في مثل هذا، وحريٌّ لهذا العارف أن يكون جميع أقواله في

كتبه ومعتقداته مأخوذًا عن الله تعالى، كما صرَّح به ﷺ، وكان مأخذ هذه العقيدة واستنباطها كما ذكر في «الفتوحات» في الفصل التاسع في الذكر بالتهليل بالتوحيد السادس من قوله تعالى: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء:٨٧].

قال ﷺ هنا: فمن رحمة الله أنه قال: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ فما نجتمع إلا فيما لا نتفرَّق فيه، وهو الإقرار بربوبيته تعالى، وإذا جمعنا من حيث إقرارنا له بالربوبية، فهي آية بشرى، وذكر خيِّر في حقِّنا بسعادة الجميع، وإن دخلنا النار، فإن الجمعية تمنع من تسرمُد الانتقام لا إلى نهاية؛ لكن يتسرمد العذاب وتختلف الحالات فيه.

فإذا انتهت حالة الانتقام، ووجدان الآلام؛ أُعطي من النعيم والاستعذاب بالعذاب ما يليق بمَن أقرَّ بربوبيته، يعني: وقت الخطاب بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ثم أشرك، يعني: في الحسِّ، ثم وحَّد في غير موطن التكليف، والتكليف أمر عرضي في الوسط بين الشهادتين لم يثبت؛ فبقى الحكم للأصلين الأول والآخر، انتهى.

أقول: يعني: إن الحكم في الأول والآخر، هو الإقرار بالربوبية من الجميع، وما حصل بينهما من عدم الإقرار فأمر عرضي، استحقُّوا من الله العذاب عليه، والخلود في النار، إلا أنهم لَمَّا رجعوا إلى الحكم الأول، واشتركوا في الإقرار بالربوبية؛ كان لهم هذا المذكور في عاقبة الأمر، وهذا كلام لا غبار عليه، ولا يصادم شيئًا من الآيات القرآنية الواردة بعذاب أهل النار وخلودهم فيها، فإن الالتذاذ بالعذاب من حيث إنه عذاب مستمر، لا يخرجه عن كونه عذابًا، كما إن النار التي توقَّدت لإبراهيمعليه السلام وكانت بردًا عليه، ما خرجت عن كونها نارًا؛ لأن الحقائق لا تنقلب؛ بل ترتَّب على النار الموقدة ما يترتَّب على ما يعطي البرد، وهذا مشاهد في أهل العشق، فإنه يدخل عليهم من العذاب

ما هو أشدُّ من النار، ومع ذلك يجدون منه مع كونه عذابًا غاية العذوبة.

قال سيدنا العارف أبو يزيد البسطامي في هذا المعنى:

وكـلُّ مـآربي قَـد نُلـت مِنْهـا سِـوى مَلذوذ وجْـدي بِالعـذَابِ

ولهذا شواهد محسوسة لا تنكر، منها شأن أهل الحروب، فإن الواحد منهم عند توقُّدها تجده يشقُّ الصفوف، وتتساقط عليه نيرانها، وعنده من اللذَّة ما لا يُقدر قدره، ولو كشف له حال مَن هو على سريره بين خدمه، وحشمه في رياض لطيفة تجري من تحتها الأنهار، وهو محروم من هذه الشجاعة، لا يرضى بحالته قولاً واحدًا، ويبقى على ما هو عليه، ويستأنس لهذا المذكور من مآل أهل النار بقوله تعالى: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ**﴾ [مريم: ٤٥]، حيث لم يقل: من المنتقم، فإن في هذا العذاب شائبة من الرحمة.

فالحاصل: أن العذاب والخلود في النار لأهل النار أمرٌ محقَّق لا يمكن العدول عنه؛ لأن العدول عنه كفرٌ صريح، وإن حضرة العارف ﷺ استنبط هذا من القرآن العظيم؛ إلا أنه من بعد ألوف سنين، وأخذ الاسم المنتقم حقَّه من الكفرة، تغلب الرحمة، ويأتي الاسم الرحيم؛ فيجعل العذاب حينئذٍ على أهل النار من حيث إنهم خالدون فيها عذبًا، والتمثيل قد مرَّ، ونزيده بيانًا بالتمثيل بحال مَن يحكُّ جربًا ببدنه، فهذا وإن كان لذيذًا؛ إلا أن الهيئة هيئة عذاب، نسأل الله السلامة والأمان.

فلم يكن في كلامه ﷺ بهذا الشأن أدنى إشكال، فكيف يكون هذا، والاستشهاد عليه من رقائق القرآن وأسراره؟ نعم هي خفيَّة على القارئ، فإنه ليس للقارئ إلا التلاوة، والله أعلم.

الجملة السابعة: قوله ﷺ في فصِّ موسى ﷺ: إن الملائكة العالين أفضل من كل ما خُلق من العناصر، فالإنسان في الرتبة فوق الملائكة الأرضية والسماوية، والملائكة العالون خير من هذا النوع الإنساني بالنص الإلهي: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥]، انتهى.

قال الشيخ القاري -رحمه الله-: ولا يخفى أن هذا ليس من موجبات تكفيره، بل من أسباب تبديعه وتنكيره، حيث خالف أهل السنة والجماعة من أن خواص البشر، وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة، كجبريل وميكائيل، بل نقلوا الإجماع على أن نبينا محمدًا ﷺ أفضل الخلق من غير نزاع، ويدلُّ عليه قوله ﷺ: «**أنا أول مَن تنشق عنه الأرض، فأُكسى حُلَّة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش، ليس أحد من الخلائق يقوم هذا المقام غيري**»[1].

أقول وبالله التوفيق: إن هذا العارف ﷺ ذكر في «الفتوحات المكية»، وفي «فصوص الحكم»: أن نوعًا من أنواع الملائكة يسمُّون بالعالين، كما ذكرهم الله بهذا اللفظ، ويسمُّون أيضًا بالمهيمين؛ لأنهم هائمون بعظمة جمال الله وجلاله. لا يدرون أنفسهم فضلاً عن غيره، وهم فوق إسرافيل وجبرائيل، وفوق كل ملك مقرب، وهذا النوع لم يدره إلا أهل المعرفة بالله دون غيرهم ممَن يستند إليهم الشيخ القاري في ذلك.

وقد ذكر في «الفتوحات المكية»: إن روح المصطفى ﷺ من هذا النوع الروحي، بل هو ﷺ الأصل، والأب لهذا النوع من وجه، فإذا فَضَل هذا النوع النوع الإنساني، لا يفضل سيدنا محمدًا ﷺ؛ لعدم خروجه عنه من حيث روحه الشريفة، بل كان في الحقيقة

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٥٨٥) بنحوه، وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٣٥).

هو الذي فضل، لكونه الأصل، وما عُدَّ فاضلاً هو جزء من أجزاء جمعية روحه الكلية، وإطلاق الجزء هنا من باب التقريب، لا من باب الحقيقة.

وقد علمت مما تقدَّم أن جبريل ﷺ ونحوه من رسل الملائكة تحت هذا النوع في الفضيلة، وفوق مَن دونهم من بقية الملائكة، وقد تقدَّمت إشارة هنا أنه ليس لأحد من خلق الله ما للكُمَّل من هذا النوع الإنساني، حيث يقطع بسيره حيث شاء الله إلى حدٍّ معلوم، لا يصل إليه ملك أصلاً، وإن فضله نوع منه، قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ**﴾ [الصافات:١٦٤].

فالملائكة واقفون من حيث مقاماتهم هذا، وإنه ليس للشيخ القاري وأضرابه، بل ولا لأعظم منه من علماء الرسوم ما لهذا العارف من المعارف في الجناب الإلهي، والعلم بمقامات المقرَّبين، وكيف جاز للقاري أن يعبِّر بهذا التعبير الشنيع عن خواص أولياء الله، ووالله العظيم لا يقاس الملائكة بالحدادين، أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

الجملة الثامنة الشريفة: قوله ﷺ ونفعنا بنفحاته في «الفتوحات»: سبحان مَن أوجد الأشياء وهو عينها.

قال القاري: وهو كفرٌ صريح، ليس له تأويل صحيح مع تعارض طرفي كلامه، لتصحيح مرامه، فإن الموجودية الدالة على الصفة الحدوثية تناقض العينية المعنوية، والصفة القديمة؛ لهذا قال بنفسه استدرا كالفساد مقوله: فهو عين كل شيء في الظهور ما هو عين الأشياء في ذواتها، سبحانه وتعالى هو هو، والأشياء أشياء.

قال القاري: لكن فيه أن الموجود الخارجي الحادثي كيف يكون عين واجب الوجود الأزلي؟ ولو في مرتبة الظهور إلا ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾

[النور: ٤٠]، مع أن ظهور الأشياء؛ إنما هو لكونها مظاهر لتجلِّي الأسماء والصفات، وأمَّا ذاته فلا تدركه الأبصار، ولا يحيط به علم أحد من العلماء الكبار، ولهذا قال سيد الأبرار: «**سبحانك لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1].

وقال: «**تفكَّروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذات الله**»[2].

وقال الصدِّيق: «العجز عن درك الإدراك، إدراك».

أقول: إن هذه الجملة اشتملت على العلم الإلهي بما لا يبلغه عدٌّ ولا حصر، وفيها من الأسرار الإلهية ما لا يقدر قدره، إلا أن الواقع في «الفتوحات» بدل أوجد أظهر، والخطب سهل لَمَن نوَّر الله قلبه، وفتح عين بصيرته، ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ [النور: ٤٠].

وملخَّص القول في البيان ما نذكره ونراه هو أن قوله ﷺ: سبحان مَن أظهر الأشياء يعني: من حيث إنها أشياء وأغيار، فإن الشيء من حيثية كونه شيئًا مخصوصًا متميِّزًا عن غيره، أي: غير، كان هو غير الحق قطعًا، ومَن قال: إن الشيء والحالة هذه هو الحق؛ فهو كافر، بل أكفر الكافرين عند هذا الحَبر محيي الدين، وعند جميع المسلمين، وقد جعل حضرة العارف هذا دليلاً على كفر عبدة الأوثان، حيث أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأمرهم بذكر التسمية، فقال: ﴿**قُلْ سَمُّوَهُمْ**﴾ [الرعد:٣٣]، ولو سمُّوهم لذكروهم باعتبار خصوصياتهم، وقالوا: شجرًا وحجرًا وقمرًا.

وهذه ليست بإله معبود عندهم، ولا عند أحد من خلقه، والحالة هذه، فقامت

(١) رواه مسلم (١/ ٣٥٢)، وأبو داود (١/ ٢٣٢)، والترمذي (٥/ ٥٦١).

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (١/ ١٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٢١٠).

عليهم الحجة، وثبت كفرهم، وأدحضت حجتهم.

ثم إن قوله: وهو عينها أي: من حيث إنه تعالى ظاهر بها بأسمائه وصفاته، فهو تعالى باطن كل شيء من حيث إنه تعالى ظاهر به، والمظاهر إذا تلاشت وهي متلاشية؛ رجع الحال إلى الباقي الدائم، وهو الحق الظاهر، فهو تعالى قيُّوم السماوات والأرض وما بينهما، الله لا إله إلا هو الحي القيُّوم، الباطن الظاهر، تنـزَّه عن أن يكون شيئًا من الأشياء مادامت أشياء، فسبحانه هو هو، وإن ظهر بها، ودلَّت هي عليه.

والأشياء أشياء، وإن كان قيامها به تعالى، فليس شيء من الحق في الخلق، ولا شيء من الخلق في الحق، فهو تعالى من حيث ذاته الأقدس الأنزه، ولا شيء، وهي من حيث أنفسها وأعيانها لا شيء، فما صحَّ لَمن كان العدم نعتًا ذاتيًا له أن يكون من حيث نفسه موجودًا فضلاً عن أن يكون واجب الوجود والإله المعبود، إلا أنه للمعرفة الحبية، دار الأمر بين حق وخلق، فالخلق به وجودًا، وهو تعالى به ظهورًا، فافترقت الجهة، وإن ارتبط الكل بالكل.

هذا وإنه قد تقدَّم مرارًا أن الواجب سبحانه وتعالى من حيث ذاته الأقدس، وقطع النظر عن مرتبة تجلِّياته لا يمكن أن يعلم فضلاً عن أن يدرك ببصر، ومن هنا العجز عن درك الإدراك إدراك من وجه، ولا تدركه الأبصار، ولا يتفكَّر في ذاته، ولا أحد يحصى ثناء عليه، إلى غير ذلك من آيات التنـزيه، فوقع الشيخ القاري بذكره قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠] فيما وقع به.

والظاهر أن ظنَّ الشيخ القاري بهذا الراسخ في العلم الطود الأشم أنه لم يطَّلع على متن الجوهرة ولا السنوسية، ولا على العقائد النسفية، وما علم بأن هذا الهمام بحرٌ لا ساحل له، ولا قرار، وأين علماء الرسوم من الأسرار؟ ومن العارفين الأبرار؟ وإذا لم يعفُ الحق تعالى عن المفترين الغافلين، فأمرهم من أشكل المشكلات.

نسأل الله العظيم أن يعفو عنَّا أجمعين، والحمد لله رب العالمين

الجملة التاسعة الشريفة: وقد تداخلت فيها جمل من كلامه ﷺ؛ لرجوع الكل إلى مقصد واحد.

قوله ﷺ في فصِّ نوح ﷺ: إن التنـزيه عند أهل الحقيقة عين التحديد والتقييد، فالمنـزِّه إمَّا جاهلٌ، وإمَّا غافلٌ قليلُ الأدب.

ثم قال: وهكذا مَن شبه وما نزه، حيث جعل الحق مقيَّدًا ومحدودًا، ولم يعرف كونه معبودًا، ومَن جمع بين التشبيه والتنـزيه في وصف الحق؛ فهو الذي عرف الحق من بين الخلق.

وقال ﷺ في فصِّ إدريس ﷺ: إن الحق المنـزَّه عين الخلق المشبَّه.

وقال في فصِّ إسماعيل ﷺ: فلا تنظر إلى الحق، فتعرِّيه عن الخلق، ولا تنظر إلى الخلق، فتكسوه سوى الحق، فنـزِّهه وشبهه، وقُم في مِقعد الصدق.

أقول: إنه ﷺ أشار بالجملتين الأولين إلى وجوب القول عند أهل الله بالتشبيه حيث ورد، وبالتنـزيه بلا فرق؛ لأن الكل من عند الله، قال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الصافات:١٥٩].

وقال تعالى: ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح:١٠]، فنـزَّه تعالى نفسه وشبه، فالوقوف عند أحدهما تنـزيهًا أو تشبيهًا، تحديدٌ وتقييد، والقول بهما عمل بما أنزله الله تعالى.

وأن المؤول لأجل التنـزيه، إمَّا جاهلٌ، أو غافلٌ قليلُ الأدب؛ حيث أرجع الشيء إلى غير ما ذكر الله، وأخبر به عن نفسه، ولكن لا بد والحالة هذه من الاعتراف

بجهل النسبة، كما أسلفناه، فنُنسب إليه تعالى كل ما نسبه لنفسه من غير تأويل، ونكلُ علم نسبة ذلك إليه تعالى لا غير، وهذا كله مأخوذ من الأسرار القرآنية والأحاديث النبوية.

وقوله: إن الحق المنـزَّه، يعني: الصورة الإلهية التي هي مجموع الأسماء والصفات القدسية، لا ذات الحق الأحدية، فإنه لا كلام فيها هنا أبدًا، ولا تعرُّض إليها بحال في هذا العلم.

وقوله: عين الخلق المشبه، يعني: إن الخلق الذي صفاته سمات الحدوث، والتشبيه تمامه ومجموعه مطابق للصورة الأسمائية الإلهية من حيث الجمع الكمالي، فما خرج شيء من العالم ولو ذرَّة عن أن يكون مظهرًا من مظاهر اسم من أسمائه تعالى، ولم يكن اسم إلهي من أسمائه تعالى إلا وله مظهر ولو ذرَّة من ذرَّات الأكوان، وأن هذا المجموع الكوني من حيث إنه مظاهر الأسماء والصفات طبق المجموع الأسمائي، والصفاتي الصورة الإلهية الظاهرة بالمظاهر، فالكل أن حقيقة إلهية، أو كونية، ما خرج عن أن يكون اسمًا إلهيًا، فكان الحق المنـزَّه هو الخلق المشبَّه.

فمَن نظر إلى هذا المجموع الكوني، فقد نظر إلى المجموع الأسمائي الإلهي، ومَن فاته شيء من الأكوان، فقد فاته شيء بقدره من إفراد الصورة الإلهية، فالنظر إلى الكل جملة أو تفصيلاً نظر للآخر كذلك، فتطابَق الصورتان بلا مزية، فالعالم بتمامه هو النسخة الإلهية؛ فلهذا أحال تعالى معرفة ذاته من حيث ألوهيته على العالم، قال تعالى: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [يونس:١٠١]، وقال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت:٥٣]، وقال تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات:٢١].

ومن هنا قال أبو حامد الغزالي ﷺ: **ليس في الإمكان أبدع مما كان**؛ لأن ما كان هو مجموع أسمائه وصفاته، ولا شيء أبدع منها[1]، ومن هنا تعلم سرَّ قوله ﷺ في قوم نوح: إنهم لو تركوا عبادتهم ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا؛ لجهلوا من الحق بقدر ما فاتهم من هؤلاء، وقد تقدَّم هذا.

بقي قوله: لو تركوا عبادتهم، فإن العبادة لا دخل لها في المعرفة.

وجوابه: أن لها دخلاً في الدلالة عند المحجوبين، فإن هؤلاء لا يتخيَّلون الإلوهية إلا فيما عبدوا، وإلا لعبدوا الكل.

---

(١) قال الشيخ في الفصوص: (**فظهر جميع ما في الصورة الإلهيَّة من الأسماء في هذه النشأة الإنسانيَّة**)

قال الشريف ابن ناصر: هذا هو التخلُّق بجميع الأسماء، وهو أحسن تقويم.

وقال تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة:٣١] ولم يقل بعضها.

وقال ﷺ: «**إن الله خلق آدم على صورته**» رواه الشيخان البخاري، ومسلم.

وفي رواية: «**صورة على صورة الرحمن**».

(**فحازت رتبة الإحاطة والجمع**)، فجمع بين الصورة الحقيَّة، وصورة العالم وكان برزخًا بين الحق، والخلق مرآةً منصوبة يرى الحق فيها، ويرى الخلق فيها، فمن حصَّل هذه المرتبة، حصَّل رتبة الكمال الذي لا أكمل منه في الإمكان.

كما قال الإمام الغزالي رحمه الله: ما في الإمكان أبدع ما كان، ومعنى رؤية الحق: فيها إطلاق جميع الأسماء الإلهيَّة عليه، كما جاء في الخبر: «**فبهم تُنصرون والله الناصر، وبهم تُرزقون والله الرزاق، وبهم تُرحمون والله الرحمن الرحيم**».

وقد ورد في القرآن: ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة:١٢٨]، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:١٠٧]: أي لنرحمهم بك؛ لأنه اسم الله الأعظم، فافهم. انظر: مجمع البحرين (٢٦٦).

وأمَّا أهل الحق فما خرج عندهم عن الحق تعالى شيء، فهم العارفون حقًّا، والأبيات الشعرية ناظرة إلى هذا المعنى، فتلخص أن نظر العارفين إلى جميع هذا لعالم نظر إلى الصورة الإلهية، والجامع لكل العالم هو الإنسان الكامل المشار إليه بأحاديث يخرجنا عن الصدد ذكرها.

هذا وقد تعرَّض لهذه الجمل في صورة الاعتراض على هذا الهُمام طورخان بن طورميش السينابي في رسالة مخصوصة، وقد افترى فيها، وكذب على هذا العارف بأنه قطع رأسه الشريف، وقال فيه ما قال من الكذب والبهتان، وأقول فيه:

أقُولُ لِحرزٍ لَمَّا الْتقيْنا ... تَنكب لا يقطرك الزِّحامَ

قَام الحُمامُ إلى الْبازِي يُهدِّده ... واسْتيقظتُ لأُسُودِ الغابِ أضْبعهُ

أضْحى يسدُّ فم الأفعى بإصْبعهِ ... يَكفِيهِ مَا قَد لاقَى مِنها إِصْبعهُ

هذا وقوله ﷺ الأبيات السابقة راجع إلى هذا المذكور من النظر إلى الشيئين معًا إن تشبيهًا، وإن تنزيهًا، وإن مشبَّهًا، وإن منزَّهًا، وإنه لا بدَّ من النظر إليهما عند الكُمَّل؛ لأنك إن نظرت إلى الحق فقط، وأنه لا شيء سواه، ووحدته بهذا، ولم تنظر إلى كونٍ أصلاً، وقلت بالوحدة الصرفة؛ رجع الأمر معك من بعد هذا إلى الإلحاد، وإن نظرت إلى الأكوان فقط، ولم تنظر إلى غيرها أبدًا؛ لزم إنكار الواجب تعالى، فكان الواجب الجمع بين النظرين، وهو ظاهر.

الجملة العاشرة: قوله ﵁ في فصِّ نوح ﵇: لو جمع نوح ﵇ بين التشبيه والتنـزيه، ودعا قومه إليهما؛ لأجابوه فيهما، لكنه دعاهم جِهارًا إلى التشبيه، ثم دعاهم إسرارًا إلى التنـزيه، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ [نوح:٥] ليلاً إلى التشبيه، ونهارًا إلى التنـزيه، انتهى.

قال القاري: وهذا مع التناقض بين كلاميه، والتعارض بين مراميه كفرٌ ظاهر؛ لاعتراضه على نبي من الأنبياء فقد كفر، ولادّعائه علم الغيب في الأنبياء، والتفسير برأيه، انتهى.

أقول في بيان هذه الجملة الشريفة:

إنه لاشك إن نبينًا محمدًا ﷺ قد جمع الله له فيما أنزل عليه جميع ما كان للأنبياء والرسل من قبله -صلَّى الله وسلَّم وعليهم أجمعين- حيث كان القرآن العظيم جامعًا لكتبهم وعلومهم، وأحوالهم، وجميع شئونهم، فلهذا القرآن العظيم الجمعية الكمالية، وليس لغيره ذلك، كما إن لرسولنا محمد ﷺ تلك الجمعية الكمالية، وليس لرسل الله ذلك، فإن لرسول الله ﷺ جوامع الكلم.

ثم إن هذا العارف ﵁ بسبب شدَّة اتِّباعه، وتمسُّكه بالهدي المحمَّدي بلغ الوراثة في العلم المحمَّدي، فكان بهذا له الكمال في العلم الإلهي من جهة هذه الوراثة المذكورة، لا من قِبل نفسه.

فكان قوله قول النبي ﷺ بهذا الاعتبار، ثم إنه تعالى ذكر لنا في كتابه العزيز الجمع بين التشبيه والتنـزيه، فتنبَّه لهذا أهل التحقيق، ورأوا أن الكمال فيه لا غير، ومن جملتهم هذا العارف، ثم إنه لَمَّا اطَّلع على شأن نوح في قومه، وإنه حين دعاهم إلى الله

دعاهم تارة بالتنـزيه، وتارة بالتشبيه، وقد عبَّر عن ذلك بالليل والنهار على التوزيع، ولم يجمع نوح بينهما، وكان في الجمع كمال التوحيد، وبيان الأمر على ما هو عليه، كما أنبأ عنه القرآن علم هذا الهمام، من ذلك إن عدم إجابة نوح؛ إنما كانت من عدم الجمعية؛ لأن قومه يعتقدونها، فخاطبهم نوح بغير ما يعتقدونه لحكمة يعلمها تعالى، فما بينه ﷺ من حكمة عدم إجابتهم، كان من كتاب الله، ومن وراثته لا من عند نفسه.

وليس هو تفسير بالرأي، بل بكتاب الله، ولا فيه اعتراض على نبي الله، بل هو بيان للواقع، فسقط جميع ما قاله الشيخ القاري في هذا الشأن، فإن علم حضرة هذا العارف بما أورده الشيخ القاري عليه، هو أعظم وأعلى وأرفع مما يفهمه المعترض المذكور من ظواهر الكلام، وقد فهم من ظاهر قوله: «ليلاً ونهارًا» الجمع بين الشيئين مع أنه لا جمع؛ لأن الواو لا تفيده، فلم يلزم التعارض بين كلامي هذا الهمام حين قال: لو جمع فإن نوحًا ما جمع.

وفي مناسبة الجمع بين التشبيه والتنـزيه تعـرَّض هـذا الهـمام لإعـراب آيـة مـن كتاب الله في ذلك، ذكره في فصِّ إلياس عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]، فذكر في إعرابها احتمالين:

الأول: أن «رسل الله» مبتدأ، و«الله» خبره، وقوله: «أعلم» خبر مبتدأ محذوف تقديره هو.

وثانيهما: أن «الله» مبتدأ، و«أعلم» خبره.

وفي الوجه الأول: رسل الله يكونون الله، وفي الثاني: غيره وسواه، وهذا هو التشبيه في التنـزيه، والتنـزيه في التشبيه، انتهى.

قال الشيخ القاري هنا: وأنت ترى أن هذا إلحاد في المبنى، واتِّحاد في المعنى، ولا يُخفى أن جهل هذا القائل في الإسلام أقوى من عبدة الأصنام، وأشدَّ كفرًا من النصارى حيث قالوا: ﴿**إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ**﴾ [المائدة: ١٧]، وهو يقول: إن رسل الله الله.

أقول في بيان ذلك وبالله التوفيق: إن ما ذهب إليه هذا العارف من هذا الإعراب المذكور هو قول في غاية المعرفة بالله، حيث جعل في «أُوتي» ضميرًا راجعاً إلى مثل المأتي إلى الرسول وهو الرسالة، فإن هؤلاء القائلين علَّقوا إيمانهم على إتيانهم الرسالة، وجعلهم رسلاً، فردَّ الله عليهم، وقال لهم: إنكم لن يكون لكم ذلك؛ لأن رسل الله الله: أي من حيث جمعية حقيقتهم وقبولهم للصورة الإلهية، وأنتم لستم كذلك؛ لعدم جمعية حقائقكم، ثم قال: ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ولا يخفى عليك أن حمل لفظ الجلالة على «رسل الله» من حيث إنهم مظاهر هذا الاسم الكريم، وبقطع النظر عن الخصوصية، فالظاهر هو المظهر، تنبه ولا تغلط، وحيث لم يكن لهذا الشيخ القاري إلا حل هذا المشرب قال ما قال، إذ هو ليس من أهل المقام، ولا الحال، والله أعلم بالمآل، قال تعالى: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء:٤٦].

الجملة الحادية عشرة: قوله ﷺ في فصِّ شُعيب ﷺ: إن العالم مجموع أعراض، فكل آن يصير موجودًا ومعدومًا، كما قالت الأشاعرة في الأعراض لا في الأجسام، وهذا الكلام فرع عليه ما يترتَّب كفره لديه، حيث قال: فالمكلف كل آن يكون غيره، ويُحشر في العقبى غير ما كان موجودًا في الدنيا، فالثواب والعقاب لا يكون في الطائع والعاصي، وكفره ظاهر.

أقول وبالله التوفيق: إن ما نقله الشيخ القاري عن هذا الهمام من أن مذهبه: إن العالم مجموع أعراض، وإنه كل آن يصير موجودًا ومعدومًا صحيح، واللوازم باطلة، وهذا المذهب في غاية الدقة والمعرفة في العلم الإلهي، حيث كانت الأشياء فانية وهالكة كل آن، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ**﴾ [القصص:٨٨]، وقوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ*وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾ [الرحمن:٢٦- ٢٧]؛ لأن اسم الفاعل حقيقة في الحال، واستثناء الوجه من الهلاك والفناء يدلُّ على ما ذهب إليه ﷺ من رجوع جميع الأشياء من حيث باطنها إلى الحق تبارك وتعالى، فالفاني الهالك الباطل هو الخلق، والباقي هو الحق.

قال تعالى: ﴿**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ [ق:١٥]، ففي كل آن يكون جميع العالم مفتقرًا في بقائه، ووجوده إلى موجده الحق تعالى على هذا المذهب الذي ليس فوقه تحقيق في العلم الإلهي، ومنه يعلم أن ضمير ﴿**وَجْهَهُ**﴾ في الآية راجع إلى مذكور، وهو الشيء لا إلى محذوف كما فهم.

قال تعالى: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ**﴾ أي: آن ﴿**هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن: ٢٩]، وشئونه تعالى التجلِّيات الدائمة بالفيوضات على العالم، ولو انقطعت آنًا؛ لعدم العالم، وكون العالم من حيث هو أعراض ظاهرًا؛ لأنهم قالوا في تعريف الحيوان: جسم نامٍ، حسَّاس متحرِّك

بالإرادة، وكل هذا راجع إلى العرض، وهو الجسمية والنمو، والحس والحركة، والذي قامت به هذه الأعراض شيء يرجع بقطع النظر عن خصوصيته إلى الوجود الحق الباقي، فما كان العالم إلا أعراضًا تقوم بشيء يرجع إليه تعالى.

وأمّا كون القول بهذا المذهب يلزم منه أن يكون ما في العقبى غير ما هو في الدنيا، وحينئذٍ فالعذاب والثواب لغير الفاعل العاصي والمطيع.

فجوابه أن الذي يأتي ويذهب في كل آن، هو الذي يرجع في الآخرة على هذا المنوال لا غير، وحيث كان مذهب هذا العارف ﷺ في وقوع العذاب غير ما هو مذهب علماء الظاهر؛ لم يرد عليه شيء من هذا اللازم، وإني ضربت عنه صفحًا لضيق الوقت، مع أنه مذهب في غاية المعرفة، فإن شئت الاطِّلاع عليه فارجع إلى كتبه تجده، وهذا الدفع كان مني مجاراة للخصم، والله أعلم.

الجملة الثانية عشرة: قوله ﷺ في فصِّ هود ﵇: فإيَّاك أن تتقيَّد بقيد مخصوص، وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك الأمر على ما هو عليه.

ثم قال: فكن هيوليًا لصور المعتقدات كلها، فإن الله أوسع وأعظم من أن يحصره عقل دون عقل، فإنه تعالى يقول: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ**﴾ [البقرة:١١٥]، فما ذكر أينًا من أين، وذكر أن ثمَّ وجه الله، ووجه الشيء حقيقته، انتهى.

قال القاري: وهو كفرٌ لا يُخفى؛ إذ يلزم منه أن المعتقدات المختلفة بين الطوائف المختلفة كلها حق، واعتقاد إن جميعها صدق، وهذا مذهب الزنادقة والاتّحادية والملاحدة.

أقول في هذا وبالله التوفيق: إن كلامه ﷺ هنا في غاية الدقة والتحقيق، وذلك أنا قدَّمنا أنه صحَّ في حديث عن البخاري: «**إن الله يتجلَّى يوم القيامة على الخلق ويقول: أنا ربكم فينكرونه، بل ويقولون: أنت لست ربنا، ثم يتجلى أخرى فيقرُّون به**»[1]، والحال أنه هو تعالى على كل حال، إلا أنه تجلَّى لهم في الأولى بصورة مخالفة لاعتقادهم فيه، وفي الآخرة بصورة موافقة لمعتقدهم فيه، وهذا حديث صحيح، وأن إنكاره مكابرة.

إذا تمهَّد هذا فنقول: إنه لاشك عند كل ذي لُبٍّ أن مَن أقرَّ بإلوهيته تعالى كائنًا مَن كان، فلابدَّ وأن يتخيَّله بصورة عقلية يجعلها قبلةً لأن يتصورَّه بها، ويعتقد أن الإله المعبود من ورائها، وهذا أمرٌ ضروري حسِّي لا يُنكر.

وأن تلك الصورة مختلفة باختلاف المتصورِّين كما هو مشاهد ومعلوم، فكل أحد له صورة خاصة في تصورُّه الإله المعبود يتعملها بعقله، ويتَّخذها قبلة لمعبوده، وجميع الصور من غير استثناء مشتركة في كونها عقلية مجعولة، صنعها صانع في عقله، وفي كونها دالة على الإله المعتقد، وهذه الصور لها طريقان لا ثالث لهما:

أحدهما: طريق خاص جاء به الشرع المحمَّدي، ونسخ ما قبله من الطرق، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ [آل عمران:٥٦].

والطريق الثاني: ممنوع، وكان السالك فيه كافرًا بإجماع المسلمين، بلا توقف، إلا

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٣).

أن صور هذا الطريق الباطل اشتركت مع صورنا في كونها مجعولة ودالة على الإله المعتقد، وهو تعالى لا إله غيره، فيكون تعالى على هذا من وراء كل صورة، سواء كانت حقًّا أو باطلة.

وهذا بعينه طبق حال تجلِّيه تعالى يوم القيامة لخلقه، فإنه هو المتجلِّي على كل حال، لا غيره، والإنكار والاعتراف كانا بسبب اختلاف صور الاعتقاد.

وأن العارف يشهد الحق تعالى من وراء كل صورة اعتقادية في هذه الدار، كما يشهده يوم القيامة في كل تجلٍّ من تجلِّياته، فهذا هو المراد لهذا العارف بالله، ولا يلزم منه القول بحقيقة اعتقاد سائر الطوائف الباطلة، فإن القول بحقيَّة طائفة خالفت المذهب الإسلامي كفرٌ ظاهر، فقد ظهر لك من هذا إن مَن قال بصورة وأنكر صورة؛ فقد فاته من المعرفة بالله بقدر ما أنكر، وهذا إنما يكون لأهل الله تعالى خاصة، فإنهم أهل الكشف والشهود دون غيرهم ممَن ليس لهم هذا الكشف والشهود.

تتـمة:

إن الكلام في هذا المقام إنما هو من حيث اشتراك الصور في كونها مجعولة، وصانعها العقل، وفي كونها دالة على الإله المعتقد عند المتصور له، وليس هو من حيث نفس الصور وذواتها، ومن حيث كونها حقًّا أو باطلاً، فإن هذا ليس الكلام فيه قولاً واحدًا.

الجملة الثالثة عشرة: قوله ﷺ في فصِّ شُعيب ﷺ: إن الإله المعتقد لشخص ليس له حكم في الإله المعتقد لآخر غيره، فصاحب الاعتقاد ينفي النقصان عنه، وينصره، وهو لا ينصره؛ ولهذا ليس له أثر في اعتقاد منازعه، فكذا هذا المنازع ليس له

نصرة من إله له اعتقاد به، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢٢].

وقال في فصِّ محمد ﷺ: إن المعتقد يثني على الإله المعتقد له، ويتعلَّق به، والإله مصنوع له، وثناؤه عليه ثناؤه على نفسه؛ ولهذا يذمُّ معتقد غيره، ولو أنصف لما فعل؛ لكنه جاهل بسبب الاعتراض على الغير باعتقاده بالحق، ولو عرف قول الجنيد: لون الماء لون إنائه، لسلم لكل ذي اعتقاد معتقده، وعرف الله في كل صورة ومعتقد، فهو صاحب ظن لا صاحب علم، كما قال الحق: «**أنا عند ظن عبدي بي**»[1] يعني: ما ظهر له إلا بصورة معتقده إن أراد أطلقه، وإن أراد قيَّده، فالإله المقيَّد محدود يسعه القلب، إذ الإله المطلق لا يسعه شيء.

قال القاري: ولا يخفى ما في هذا من المنكرات الشرعية، والكفريات الفرعية، فإنه يبطل التوحيد، ويعطل التمجيد، ويبطل كلام الله، وكلام رسوله عن المقام السديد، انتهى.

أقول في هذا وبالله التوفيق: إن الجملة المذكورة في فصِّ شُعيب عليه السلام تُعلم مما ذكرناه قبل هذا، فإن المآل واحد، وكذا معظم الجملة الثانية يرجع إلى الأولى، فيكون الكلام هنا على بعض جمل منها:

الجملة الأولى: قول الجنيد: «لون الماء لون إنائه».

وخلاصة القول فيها[2]: أن يقال: أن من المعلوم أن الماء لا لون له، وإنما يتلوَّن

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٦٩٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١).

(٢) قال الشيخ مصطفى البكري: فالإناء مثلٌ مضروبٌ منه لعقله، والماء مثلٌ مضروب لمعروفه وهو الله.

=

بتلوُّن إنائه، والألوان مختلفة، فيختلف الماء حسب اختلافها لونًا، فهو تابع لها في ذلك، وهكذا شأن تجلِّياته تعالى في المظاهر لخلقه، فإنه يكون على حسب صورة التجلِّي وتابعًا لها، بل هو في بعض تجلِّياته تابع لمرغوب المتجلِّي له ومطلوبه، كما وقع لموسى عليه السلام عند تجلِّيه تعالى له بصورة مطلوبه.

ولا يفوتك بقية الإشارة من هذه الجملة، ثم إنك قد علمت أن الذات الأحدية منـزَّهة عن أن يحكم عليها تجلٍ، أو يُكشف عنها لأحد، وإنما الكلام هنا في شأن مرتبة ألوهيته تعالى، كما إن الماء من حيث إنه ماء منـزَّه عن الألوان، فإن الذات الأقدس لا كلام لهذا العارف عليها أبدًا إلا بالتنبيه على أنها لا تُعلم بحال، فسبحان مَن لا يعلم ذاته غيره.

= وقد اختلف الناس في تأويل هذا الخبر من علماء الرسوم، ثم قال: المعرفة من كسب النفس، فالحق قائم بها فالمعرفة نفسية ربانية جنانية.

وقال: بالباء عرفه العارفون، وبزوالها صحَّ الدوام لهم في المعرفة: أي به عرفوه، ولما غابوا عن معرفتهم بمعروفهم صحَّ لهم دوامها، ولو غفلوا عنه بها ثبت لهم نقيضها.

ثم قال: وقال: المعرفة والسرور لا يجتمعان في أحدٍ في الدنيا أبدًا، والمعرفة والحزن لا يجتمعان في الآخرة في أحدٍ أبدًا ما دام الرجل في هذه الدار، فهو على قدم خطر ولو بلغ ما بلغ؛ لأنها دار المكر والتبديل، وقد ذم الفرح فيها لعدم تحقيق أسبابه من جميع الوجوه فإذا انتقلت إلى دار التمييز والتخليص وترآى الفريقان، وانصبغ من انصبغ في الفضل والرحمة، حينئذٍ يحق الفرح وقد أُوتي العبد هنا الرحمة والفضل، ويمنعه من الفرح بهما شغل القلب بأداء الحقوق هنا، وهنالك ليس كذلك فكيف يسرُّ العارف بمعروفة هنا وفي الأمر ما ذكرنا. وانظر: السيوف الحداد لسيدي مصطفى البكري (ص٢٤٧) بتحقيقنا.

ومن هذه الجملة يُؤخذ أن كل ما هو مشاهد لك، أو غائب عنك من عالم الأرواح، أو من عالم الأعيان حقائق الأشياء صور تجلِّياته تعالى، ومظاهر أسمائه وصفاته، فأهل الحق والمعرفة يشاهدونه تعالى بالعناية الإلهية من وراء كل شيء، ولا يغيب عنهم في شيء.

ثم إن قوله ﷺ: فالإله مصنوع له، وثناؤه عليه ثناؤه على نفسه ليس مراده فيه الذات الأحدية المنـزَّهة عن أن تُعلم، فضلاً عن أن تُصنع، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا وتقدَّس، وإنما مراده في ذلك المرتبة الألوهية التي يتوجَّه إليها الخلق كافة بعقولهم، ويرون إلههم فيها، إذ من الضروريات أن مَن أقرَّ بالواجب تعالى، فلا بد وأن يوجِّه إليه صورة عقلية يتعَملها فيه، ويشهده من ورائها، فهي من صنع عقله قولاً واحدًا، وإن كان الأصل في ذلك دلالة الرسل عليهم السلام، فإنها الأصل الأول، ثم يدخل العقل، وهذا مقرر.

ألا ترى المذهب الإسلامي مع أنه واحد كيف اختلفت به صور الاعتقادات؟ فهذا يقول: إن له تعالى صفات وجودية زائدة على ذاته الأقدس، وهذا يقول بنفيها، وهذا يقول: إنه فاعل مختار، وهذا يقول: لا اختيار؛ وهذا يتوسَّط، وعلى هذا القياس بقية الاختلافات في العقائد على حسب الصور المصنوعة العقلية، وإن كلاًّ ينكر على الأخر صورة معتقده في الإله الذي لم يعتقده هو، مع أن الكل مصنوع، ومتعمَّل في العقل، فالكل أسير لاعتقاده، فلا فرق في ذلك، فكان الإنكار هنا خروجًا عن الإنصاف؛ لرجوع الكل إلى الصنع.

مسألة

إن هذا المذكور بالنظر إلى عموم الاشتراك في الدلالة لا في نفس الدال، سواء اعتبر أو لم يعتبر فلا إشكال.

وقوله تعالى في الحديث القدسي: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي، إنما وسعني قلب عبدي المؤمن**»[1] إشارة إلى أن المؤمن هو العارف بالله الذي يكون قلبه مجلى لجميع التجلِّيات الإلهية من وراء جميع الصور الاعتقادية، فلا يشاهد في قلبه صورة إلا والجناب الإلهي من ورائها، ومَن وسع قلبه جميع التجلِّيات الإلهية، وكان من ورائها هذا الجناب الإلهي؛ فقد وسعه قطعًا، وقد عرفت أن هذا للمرتبة الإلوهية لا للذات الأحدية التي لا تُدرك، فضلاً عن أن يسعها قلب المؤمن، وقد علمت أن معنى الإتِساع هو أن يكون القلب مجلى وهيولى لكل صورة من صور تجلِّيه تعالى الحسِّي والمعنوي، والغيبي والشهادي.

ومن هنا قال أبو يزيد البسطامي ﷺ: لو أن العرش وما حواه ألف مرة سقط في قلب العارف ما أحس به زاوية من زواياه.

وأكبر شاهد على ما ذكره هذا الهمام في شأن استواء جميع صور الاعتقادات في قوله تعالى: ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:١٦٣] حيث ما توجَّه أحد إلى الحق بصورة اعتقادية يظنُّ أن الحق تعالى من ورائها إلا كان متوجِّهًا للإله الواحد بهذا النص، وهذا كما قيل: عباراتنا شتَّى وحسنك واحد، فسبحان مَن له الغيرة على أن يكون معه ثانٍ، وهذا كمال التوحُّدي، ولا تغفل عن قولهم: كل ما خطر

---

(١) ذكره المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٤٦٩)، والقاري في «المصنوع» (١/ ١٦٤).

ببالك فالله على خلاف ذلك، والعجز عن درك الإدراك إدراك، وأين التراب من رب الأرباب؟

وتحت هذه الجمل أسرار إلهية لا يحيط بها عقل ولا فكر، ولولا أن القصد الذب عن هذا العارف الهمام، ودفع توهُّم مَن يتوهَّم أن قول المعترض حق، ويقع في شأن هذا الولي القطب الكامل الوارث المحمَّدي، الذي خصَّه الله من بين أوليائه بإظهار اسمه العليم، ما حرَّكت في هذا الشأن القلم، ولا نطقت فيه بفمٍّ، والله أعلم بالنيَّات والسرائر، فنسأله تعالى إيمانًا كإيمان العجائز، وحسن الخاتمة.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

في ذكر بُطلان ما نُسب إلى سيدنا العارف من القول بصحَّة إيمان فرعون ونجاته

ليعلم أنه شاع فيما بين أهل العلم بأن حضرة سيدي محيى الدين ﷺ قال بإيمان فرعون ونجاته.

والحال: إنه ليس كذلك كما ستطَّلع عليه من النقل عنه ﷺ، نعم بحث ﷺ في صحَّة القول بإيمان فرعون ونجاته، وعدمها من حيث الأخذ من الآيات القرآنية، فكان ذلك منه ﷺ مجرَّد بحيث في الدليل لا غير، وما كان هذا قولاً بإيمانه قطعيًا، وبناءً على هذه الإشاعة تصدَّى مُلا علي القاري -رحمه الله- للردِّ على هذا الهُمام في ذلك، وألفَّ رسالة مخصوصة، ونقل فيها عدة آيات قرآنية جعلها دليلاً وشاهدًا على كفر فرعون، وشنع على هذا الهُمام في ذلك بما لا مزيد عليه كعادته السابقة، ثم إنه تصدَّى لردِّ هذه الرسالة وإبطالها العلاَّمة الجلال الدواني -رحمه الله- بأدلَّة في غاية الدقة، وحيث إني ادَّعيت ما ذكرته قبل، فلابدَّ من البيان؛ لأجل تتميم الفائدة.

فأقول ومن الله أستمد: إن حضرة الشيخ الأكبر ﷺ بنى مسألة نجاة فرعون وإيمانه على أصلين من أصوله، وقد وافقه عليهما جمع غفير من العلماء الأعلام:

الأصل الأول: في بيان حقيقة إيمان اليأس، ليعلم أن إيمان اليأس عند هذا العارف، وجمع غفير من العلماء هو ما كان عند مشاهدة العذاب البرزخي، كحال المحتضر لا غير، ففي هذه الحالة لا ينفع الإيمان، وهذا باتِّفاق من جميع أهل العلم.

وذهب قوم إلى أن إيمان اليأس ما كان عند رؤية العذاب دنيويًا أو أخرويًا، فالإيمان في أي حالة من الحالتين لا ينفع.

وعند حضرة هذا العارف وجماعة: أن رؤية العذاب الدنيوي لا تمنع صحَّة الإيمان، وإن أوجبت الهلاك في الدنيا، فإن سُنة الله قاضية بأن يتحتَّم وقوع الهلاك الدنيوي لَمن رأى هذا العذاب، وإن آمن ونجا من عذاب الآخرة إلا قوم يونس، فإنه تعالى نجَّاهم منه كما ذكر تعالى لنا، انتهى.

الأصل الثاني من أصوله ﷺ: هو إن مَن حقَّت عليه الكلمة، لا يتلفَّظ بمادة الإيمان بقصد الإيمان، وإن تلفَّظ بها لا يقصده، فلابدَّ من تكذيب الله تعالى له، ولو بالحكاية عنه، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ**﴾ [البقرة:١٤]، وكما قال: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا**﴾ [الحجرات:١٤]، فكذَّبهم تعالى في دعواهم، وهذا الأصل مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ*وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾ [يونس:٩٦، ٩٧].

فكلمة ﴿**حَتَّى**﴾ للغاية فغيا تعالى إيمانهم إلى حين رؤية العذاب الأليم، وهو الأخروي لا غير، فإنه هو الذي يُوصف بالأليم، ونفى تعالى عنهم وقوع الإيمان قبل ذلك، فوقوعه منهم قبله قصدًا محال بنصِّ هذه الآية، وهذا وقع بعينه لأبي جهل -قبَّحه الله- كما صحَّ في حديث نقله المولى الجامي، انتهى.

إذا تقرَّر هذان الأصلان، فلنرجع إلى ما قاله هذا الحَبر في شأن فرعون في كتاب

«الفتوحات المكية»، وفي كتابه «فصوص الحكم».

فالذي ذكره في «الفتوحات» عند ذكره طبقات أهل النار فيها هو: أن فرعون من أهل النار، حيث قال في هذا البحث كفرعون وأضرابه فخصَّ له، ولهم من النار طبقة مخصوصة يؤبِّدون فيها.

وأشار إلى كفره في موضع أخر منها عند ذكره هذا الحديث وهو: «**أعوذ بك منك**»[1]، قال: هنا استعاذ رسول الله ﷺ من مقام الاتِّحاد الذي كان عليه فرعون، وهو قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ [النازعات: ٢٤]، وعلى هذه الإشارة، وما تقدَّم يكون فرعون كافرًا عنده، كما هو عند عامة الخلق، وعلى هذا لا إشكال ولا كلام.

بقي القول على إيمان فرعون ونجاته من حيث الدليل، وهو مجرَّد بحث مع الذين ذهبوا إلى كفره قطعيًا، وليس لهم هذا القطع لِما أن الدليل القرآني يعطي خلافه، قال تعالى في شأن إيمان فرعون: ﴿**حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [يونس: ٩٠]، فذكر فرعون هنا الإيمان ثلاث مرات، اثنتين في الجناب الإلهي، والأخيرة تعمه.

والإيمان بموسى حيث قال: ﴿**وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [يونس: ٩٠]، ولم يكن مسلمًا إلا مَن جمع بين الإيمان بالله وبرسوله، ولَمَّا قال ذلك خاطبه تعالى بقوله: ﴿**آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ**﴾ [يونس: ٩١]، فكان قوله: ﴿**آلآنَ**﴾ تقريرًا لإيمانه حيث لم يقل له كما قال لَمن كذَّب بإيمانه لن تؤمن أو كذبت، بل قال له: ﴿**آلآنَ**﴾ آمنت، فما أجرى تعالى له

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٥٢).

سُنته تعالى فيمَن كذَّب بالإيمان، كما بيَّنه تعالى لنا في كتابه العزيز، ولو كذَّب بذلك؛ لنبَّه تعالى عليه، وخطَّأه حتى أنه لم يقل له: وقد كفرت، بل قال: «عصيت».

وأيضًا قال تعالى له: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس:٩٢] خاطبه بالنجاة، ولم يقل: ننجي بدنك، والمعنى: ننجيك حال كونك متلبسًا ببدنك: أي جسدك.

وعلَّل تعالى هذا الفعل، وإن لم تكن أفعاله معلَّلة بالأغراض بقوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس:٩٢] أي: آية تدلُّ على اتِّساع رحمة الله تعالى وفضله، حيث إنه تعالى عامله بالإحسان مع ما سبق له من الشقاء الذي ليس فوقه شقاء، فمعاملة مَن دونه بإحسانه من باب أَوْلى، ولأجل أن يعلم الناس تحقيق موته، فلأنه لو لم يظهر موته؛ لبطلت حكمة كرامة موسى عليه السلام له ولقومه.

فإن الناس ربما يقولون: إنه ارتفع ونجا، فنجاته ببدنه حكمتها ما ذكرناه، وإلا فلا معنى لقوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس:٩٢] أي: تدلُّ على أن مَن فعل فعلك، فلا بدَّ من هلاكه، حيث إن هذا أمر خاص، وما ذكرناه عام شامل كل فرد فرد من أفراد هذا العالم، ذكر بعض هذا المعنى شيخي سيدي العارف العلاَّمة مولاي الشيخ محمد أكرم المولوي الأفغاني رحمه الله ورضي عنه.

بقي القول على وقوع هذا الإيمان هل كان حال اليأس أو لم يكن حال اليأس؟ فإن البناء على هاتين الحالتين يكون صحَّة إيمانه وعدمها.

أقول: قد ذكر حضرة سيدنا العارف رضي الله عنه في كتابه «الفتوحات المكية»، وفي كتابه

«فصوص الحكم»: ما حاصله أن فرعون عند قوله بالإيمان، وتلبُّسه به لم يكن هذا منه عند اليأس، لا على مذهبه ومذهب مَن وافقه، ولا على مذهب مَن خالفه في بيان إيمان اليأس.

أمّا الأول: فلأن هذا القول الإيماني كان من فرعون عند رؤية العذاب الدنيوي بنصِّ هذه الآية لا عند احتضاره، والإيمان عند رؤية العذاب الدنيوي لا يُعدُّ يأسًا عنده ﷺ، وعند جمهور من العلماء الأعلام.

وأمّا على الثاني: فلأن قول فرعون ذلك ما كان عند يأسه من الحياة الدنيوية، فإنه علم أنه مَن آمن بما آمن به قوم موسى؛ كان له المشاركة في الطريق اليبس التي كانت للمؤمنين، حيث شاركهم في إيمانهم نصًا صريحًا، فكان الغالب على ظنِّه أو يقينه المعاملة الخاصة بالمؤمنين المشاهدة له، وما علم سُنة الله في خلقه بأنه لابدَّ من الهلاك الدنيوي لَمن كانت حالته ذلك، والهلاك في الدنيا لا يدلُّ على عدم النجاة في الآخرة، وهو ظاهر، وعلى هذا فإيمانه لم يكن حال اليأس على المذهبين، فالأول بيقين، والثاني بحسب ما يظهر، ولا بعد بأن فرعون كان طامعًا في النجاة بيقين؛ لعموم المشاركة.

❊ ❊ ❊

مسألة

إن قلت: ولِمَ خصَّ فرعون إيمانه بهذه الجملة؟

قلت: قال ذلك تنبيهًا على إعلام قومه المؤمنين به أنه آمن بإله نبي إسرائيل، الإله الخاص الحق، لا بغيره مما يزعمه الكفرة، كما وقع البيان لهذا في إيمان السحرة.

وأمَّا التعبيرات القرآنية بأن فرعون من المفترين، ومن المكذَّبين، ومن المترفين، وبأنه يقدم قومه النار، و ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦]، ونحو هذا، فإنه لا دليل في ذلك على كفره صريحًا، حيث لم يذكر في آية قرآنية أنه من الكافرين، وهذه التعبيرات كانت في مقابلة شقائه السابق على تلفُّظه بالإيمان الذي كان في آخر أمره، وآخر كلامه.

وقصة ضرب جبريل عليه السلام له بالطين عند هذا القول لو صحَّ؛ لا ينفي صحَّة قبول إيمانه؛ لرجوع هذا إلى أرحم الراحمين، وإلى علمه تعالى به.

❊ ❊ ❊

مسألة

تخصيص البدن بالدرع مما لا دليل عليه، حيث ذهب بعض المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] أي: درعك مع أنه بعيد غاية البعد في هذا الموطن، إذ لا معنى لنجاة فرعون بدرعه، ومن أين يثبت الدرع لفرعون مع أن الملوك لا يقاتلون بأنفسهم؟

فالحقُّ أحقُّ بالاتِّباع، هذا وإن مذهب هذا العارف الخاص به هو البناء على اتِّساع الرحمة الإلهية مما لا مزيد عليه، والبناء على الأخذ بالظواهر من الآيات القرآنية.

وعند ذكره ﷺ البحث في شأن إيمان فرعون، ونجاته مع مَن قال بخلافهما، قال صريحًا مرتين: إن القول بالوقف في شأن إيمان فرعون هو الأسلم لِما شاع عند الخلق عامة من شقائه، وهذا القول الصريح يدلُّ صريحًا على ما ذكرناه: بأنه ﷺ ما قال بإيمان فرعون ولا نجاته، وإنما بحث في دليل القوم على كفره، فلم يظهر له من الدليل القرآني المبني على الأصلين السابقين كفره، والله أعلم.

وعلى هذا كان جميع كلام الشيخ القاري في هذا الموطن على حضرة هذا العارف باطلاً مع جميع لوازمه، بل كان هذا القول على إطلاقه منسوبًا إلى سيدنا الشيخ منكرًا من القول وزورًا، كما أوضحناه، وصحَّة النقل ضرورية، فهذا البحث في

«الفتوحات»[١] في الجزء الأول عند ذكره النفس الرحماني، وفي «الفصوص»[٢] في الفصِّ الموسوي.

وجواب المعترضين على هذا الهمام، هو قوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ [الفرقان:٦٣]، وليكن هذا آخره.

هذا وإن الطريق الأسلم، والصراط المستقيم المحكم هو التمسُّك بحبل الله المتين، وهو الأخذ بظاهر الشريعة الغرَّاء الواضحة البيضاء، كما قال سيد الأنبياء: «**تركتكم على بيضاء نقية**»[٣]، فإن التمسُّك بالشريعة المحمَّدية، والتخلُّق بالأخلاق الأحمدية فيه النجاة في الدنيا والعقبى، ويكفيك قول عمر ﷺ: «**حسبنا كتاب الله**».

وأمَّا ما ذهب إليه رجال الله العارفون، ودَونوهُ في كتبهم فيكفي الإيمان به، والتسليم لأهله، فإن ظاهر كلام أهل الله قد زَلَّت به أقدام، وتاهت فيه أفكار وأفهام من رجال أفنوا أعمارهم في مطالعة العلوم، فكيف بمَن لا يدري البهم من البهم البيضاء من الشهم؟ خصوصًا في زمن قلت به العلماء، وكثرت فيه البدع والأهواء، ومَن بقى من أهل الأثر، فشمس وجودهم أذنت بالغروب، ومَن سيخلف هو والله على خطر.

فالله الله في تحصيل طلب العلم النافع، فإنه عند الله خير شافع، وإيَّاكم والاشتغال بما يصادم الدين؛ فإنه ضلال وبهتان مبين، قد تفرَّقت كلمة أهل التوحيد

---

(١) انظر: الفتوحات (١/ ١٧١).

(٢) انظر: الفصوص (ص٨٢).

(٣) ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٦٨).

تمسُّكًا بآمال هي أبعد من كل بعيد، فهذا كذا، وهذا كذا، وما بقى هو غريب وحيد، ومع ذلك له الميل والوفاء، وديدنه ترك إخوان الصفا، فنسأله تعالى اللطف بما جرت به المقادير.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

❊ ❊ ❊

تتميم

قد شاع فيما بين العامة جملة لا أصل لها في سُنة ولا في كتاب، ولا ذكرها أحد من أُولي الألباب، يُكذِّبها الحسُّ الظاهر، ويحكم ببطلانها الأوائل والأواخر، وهي قولهم: «الحيُّ أفضل من الميت» فإن هذا القول أكذب من حلية الكميت.

كيف وقد قال سيد العلماء وخاتم الأنبياء ﷺ في شأن أصحابه الكرام: «**لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[1]، وأظهر منه قوله ﷺ: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونه**»[2] فجعل التابع دون السابق في الأخيرية، ﷺ بكرةً وعشية.

وهل يجوز أحد من القبيلتين أن يكون من خلف له قدم مَن سلف، فهذه الأخبار، وهذه الكتب والآثار، فسبحان مَن خصَّ مَن شاء بما شاء، وأن الفضل بيد الله.

﴿**قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ٢٦]، اللّهم اختم بالصالحات أعمالنا، وتوفَّنا على كلمة التوحيد، كلمة (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله).

اللّهم اغفر لنا ولوالدينا، ولأهلينا، ولمشايخنا، ولكافة أهل الإيمان، ﴿**رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحشر:١٠]، ﴿**رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ**﴾ [الأنبياء:٨٩]، ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ* وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٤٣)، ومسلم (٤/ ١٩٦٧).

(٢) رواه البخاري (٢٥٠٨، ومسلم (٢٥٠٣).

مناقب

الشيخ محيي الدين

قَدَّسَ اللهُ سرَّه

تصنيف

الشيخ الإمام عبد الرءوف المناوي الشافعي

المتوفى سنة ١٠٣١ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

من علماء الأزهر الشريف

ترجمة المصنف

هو شيخ الإسلام، علامة الأنام، خاتمة المؤلفين والمحدثين، زين الملة والدين، الشيخ عبد الرءوف المناوي.

ولد سنة ٩٥٢هـ.

أخذ العلم عن الشمس الرملي، وعلي المقدسي، ومحمد البكري، والنجم الغيطي، والطبلاوي، والشيخ الإمام سيدي عبد الوهاب الشعراني، والشيخ محمد التركي الخلوتي.

وأخذ عنه: سليمان البابلي، وإبراهيم الطاشكندي، وأحمد الكلبي.

توفي يوم الخميس ٢٣/ صفر/ ١٠٣١هـ.

وصُلي عليه بجامع الأزهر يوم الجمعة، ودفن بجانب زاويته التي أنشأها بخط المقسم المبارك، فيما بين زاويتي سيدي الشيخ أحمد الزاهد، والشيخ مدين الأشموني.

ومن مصنفاته:

- فيض القدير شرح الجامع الصغير.
- فتح الرءوف القدير شرح الجامع الصغير.
- التيسير شرح الجامع الصغير.

- شرح الشمائل الترمذية.

- شرح الباب الأول من كتاب الشفا لعياض.

- اليواقيت والدرر شرح نخبة ابن حجر.

- كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق.

- المجموع الفائق من حديث خير الخلائق.

- الجامع الأزهر في حديث النبي الأنور.

- التبيان في فضائل النصف من شعبان.

- إسفار البدر عن ليلة القدر.

- شرح الأربعين النواوية.

- نخبة البتهاج في فوائد الإسراء والمعراج.

- شرح ألفية السيرة للعراقي.

- شرح الخصائص الصغرى للسيوطي.

- الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية.

- الأدعية المأثورة بالأحاديث المشهورة.

- المطالب العلية في الأدعية الزهية.
- كنـز الطالبين لأوراد الأولياء والمسلكين.
- إتحاف الناسك بأذكار السفر والمناسك.
- بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح المحدثين.
- تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف.
- بلوغ الأمل في الألغاز والحيل.
- النبذة السنية في علم المواريث الفرضية.
- ابتهاج النفوس بذكر ما فات القاموس.
- عماد البلاغة في أسئلة أُولي البراعة.
- التوقيف على مهمات التعاريف.
- مختصر تسهيل المقاصد لزوار المساجد للأقفهسي.
- شرح الورقات للجويني.
- شرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا.
- شرح العباب لابن حجر الهيتمي.

- شرح زبد ابن أرسلان.

- شرح هداية الطالب لأبي الحسن البكري.

- نزهة الحاوي بفتاوى الشرف المناوي.

- شرح الآجرومية.

- شرح جزء من القاموس المحيط للمجد.

- الصفوة بمناقب آل البيت.

- شرح منازل السائرين للهروي.

- مناقب السيدة فاطمة.

- مناقب الشافعي.

- مناقب الشيخ الأكبر.

- شرح الحكم العطائية.

- شرح المواقف للنفري.

- شرح العينية لابن سينا.

- شرح رسالة التصوف لابن سينا.

- الجواهر المضية في الآداب السلطانية.
- حاشية على شرح العقائد النسفية للسعد.
- شرح نظم العقائد لابن أبي شريف.
- مختصر تمهيد الأسنوي.
- بغية المحتاج في الطب والعلاج.
- الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود (طبع العلمية بتحقيقنا).
- شرح منظومة ابن العماد الأقفهسي في آداب الأكل.
- شرح زوائد الجامع الصغير للسيوطي.
- شرح منهج الطلاب للشيخ زكريا.
- شرح هداية الناصح للشيخ أحمد الزاهد.
- شرح مختصر المزني في الفقه الشافعي.
- مختصر المصباح في علم المفتاح للجلدكي.
- شرح تحفة ابن الهائم في الفرائض.
- الشمعة المضية في علم العربية.

- الروضة الزهية بالفتاوى السمهودية.
- شرح البهجة الوردية للشيخ زكريا.
- مجمع الفوائد بفتاوى الأئمة الأماجد.
- منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين.
- رسالة في البَسملة.
- تاريخ الخلفاء.
- شرح مسند الشهاب القضاعي.
- ترتيب الشهاب للقضاعي.
- الكواكب الدرية في طبقات الصوفية (بتحقيقنا).
- الكواكب الصغرى، وغير ذلك كثير جدًّا.

وانظر ترجمته في:

- خلاصة الأثر للمحبي (٢/ ٤١٢).
- فهرس الفهارس (٢/ ٥٦٠).
- الأعلام للزركلي (٦/ ٢٠٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ المناوي في الكواكب الدرية (٥٥٥) ما نصه:

هو الشيخ محمد بن على بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي.

العارف الكبير، محيى الدين بن عربي، ويقال ابن العربي.

قال شيخنا الشعراوي: ورأيته بخطه في كتاب «نسب الخرقة» كان مجموع الفضائل، مطبوع الكرم والمائل، قد فض له فضلة ختام كل فن، وبلّ له وبله رياض ما شرد من العلوم وعن، ونظمه عقود العقول، وفصوص الفصول.

وحسبك بقول زروق وغيره من الفحول ذاكرين أحد فضله: هو أعرف بكل فن من أهله، وإذا أطلق الشيخ الأكبر، في عرف القوم، فهو المراد.

ولد بمرسية، سنة ستين وخمسمائة، ونشأ بها، وانتقل إلى إشبيلية سنة ثمان وسبعين، ثم ارتحل وطاف البلدان، فطرق بلاد الشام، والروم، والمشرق، ودخل بغداد وحدَّث بها بشيء من مصنفاته.

وأخذ عنه أحد الحفاظ، كذا ذكره ابن النجار في الذيل.

وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: «وهو ممن كان يحط عليه، ويساء الاعتقاد فيه».

كان عارفًا بالآثار والسنن، قوي المشاركة في العلوم، أخذ الحديث عن جمع، وكان يكتب الإنشاء لأحد ملوك المغرب، ثم تزهد وساح، ودخل الروم، والحرمين، والشام، وله في كل بلدٍ دخلها مآثر.

وقال أحدهم: برز منفردًا، مؤثرًا للتخلي والانعزال عن الناس ما أمكنه، حتى أنه لم يكن يجتمع به إلا الأفراد، ثم آثر التأليف، فبرزت عنه مؤلفات لا نهاية لها، تدل على سعة باعه، وتبحره في العلوم الظاهرة والباطنة، وأنه بلغ مبلغ الاجتهاد في الاختراع والاستنباط، وتأسيس القواعد والمعاقد التي لا يدركها، ولا يحيط بها إلا من طالعها بحقها، غير أنه وقع له في تضاعيف بعض تلك الكتب، كلمات كثيرة أشكلت ظواهرها، فكانت سببًا لإعراض كثيرين لم يحسنوا به الظن، ولم يقولوا كما قال غيرهم من الجهابذة المحققين، والعلماء العاملين، والأئمة الوارثين أن ما أوهمته تلك الظواهر ليس هو المراد، وإنما المراد أمور أصطلح عليها متأخرو أهل الطريق، غيرة عليها حتى لا يدعيها الكذابون، فاصطلحوا على الكناية عنها بتلك الألفاظ الموهمة، خلاف المراد، غير مبالين بذلك؛ لأنه لا يمكن التعبير عنها بغيرها.

وقد تفرَّق الناس في شأنه شيعًا ، وسلكوا في أمره طرائق قددا.

فذهب طائفة إلى أنه زنديق لا صديق.

وذهب قوم إلى أنه واسطة عقد الأولياء ورئيس الأصفياء.

وصار آخرون إلى اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه.

وعوَّل جمعٌ على التوقف والتسليم قائلين: الاعتقاد ضيعة، والانتقاد حرمان.

وإمام هذه الطائفة شيخ الإسلام النووي، فإنه استفتى فكتب: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:١٣٤] وتبعه على ذلك كثيرون، سالكين سبيل السلامة.

وقد حكى عن شيخه الخوبي أنه سئل عنه فقال: اختلف فيه من الكفر إلى

القطبانية، والتسليم واجب، ومن لم يذق ما ذاقه القوم، ويجاهد مجاهداتهم لا يسعه من الله الإنكار عليهم.

والمنكرون عليه فريقان:

- **فريق** قصد بإنكاره تنفير الناس عن مطالعة كلامه لما اشتمل عليه من المشكلات وغويص المعضلات، فلم يقصدوا بإنكارهم حظًا نفسانيًا بل سلامة الناس من السقوط في تلك الطامات، كما هو مشاهد من حال كثير ممن اعتقده، وأكب على مطالعة كتبه، فوقع في الخطأ والخطل، حتى ضل وأضل، ولهذا بالغ ابن المقري في روضه، فحكم بكفر من شك في كفر طائفة ابن عربي، فحكمه على طائفته بذلك يشير إلى أنه إنما قصد التنفير عن كتبه، وإن من لم يفهم كلامه، ربما وقع في الكفر باعتقاده خلاف المراد.

وللقوم اصطلاحات أرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة، فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر ربما كفر، كما قال الغزالي.

وقد حكى الشيخ الإمام ناصر الدين الطبلاوي أنه دخل القاهرة رجل أعجمي، عليه لوائح العارف، فكثر أتباعه جدًا، وألحوا عليه في قراءة الفصوص فامتنع، فما زالوا يلحون ويبرمون، حتى وعدهم بعد الاستخارة مرارًا بشرط ألاّ يقرئهم إياه إلا فيما وراء النيل من أرض الجيزة، وألاّ يحضر معهم غيرهم، فقرر لهم هناك تقريرًا بديعًا بلسان الحقيقة المؤيد بالشريعة، ولزم ذلك مدة، ثم انقطع يوم النوبة، فسألوه عن السبب، فقال: نظرت الليلة في الدرس، فأشكل علي موضع منه، فكررت النظر، فرأيت الأمر أشكل، فتوجهت، وأخلصت إلى الله في التوجه ليكشف لي ذلك

فكشف لي، فرأيت الشيخ في هذه المسألة اختل كشفه، فانتقل نظره، فأمسكت عن هذا الكتاب بخصوصه.

– وفريق قصد بالإنكار عليه وعلى أتباعه الانتصار لحظ نفسه، لكونه وجد قرينه وعصريه يعتقد، وينتصر له، فحملته حمية الجاهلية على معاكسته، فبالغ في خذلانه وخذلان أتباعه ومعتقديه، وقد شوهد عود الخذلان والخمول على هذا الفريق، وعدم الانتفاع بعلومهم، وتصانيفهم على حسنها.

وممن كان يعتقده سلطان العلماء ابن عبد السلام، فإنه سئل عنه أولاً، فقال: شيخ سوء كذاب، ولا يحرم فرجًا، ثم وصفه بعد ذلك بالولاية بل بالقطبانية، وتكرر ذلك منه.

وحكي عن اليافعي أنه كان يطعن فيه ويقول هو زنديق، فقال له أحد أصحابه يومًا: أريد أن تريني القطب، فقال: هو هذا، فقيل له: فأنت تطعن فيه، قال: حتى أصون ظاهر الشرع.

وأثنى اليافعي عليه في إرشاده، ووصفه بالمعرفة والتحقيق، فقال: اجتمع الشيخان الإمامان العارفان المحققان الربانيان السهروردي وابن عربي، فأطرق كل منهما ساعة، ثم افترقا من غير كلام، فقيل لابن عربي: ما تقول في السهروردي؟ قال: مملوء سُنَّة من قرنه إلى قدمه، وقيل للسهروردي: ما تقول في ابن عربي؟ قال: بحر الحقائق.

ومنهم الزملكاني، قال في كتابه المؤلف في النبي والملك: كان الشيخ ابن عربي بحرًا زاخرًا في المعارف الإلهية.

ومنهم قاضي القضاة الشمس البساطي المالكي، فإنه حضر مجلس فيه العلاء البخاري، فبالغ البخاري في ذمه، وتكفير معتقديه، فانتصر له البساطي، وقال: أما ينكر الناس عليه ظاهر الألفاظ التي يقولها؟ وإلا فكيف في كلامه ما ينكر إذا حمل مراده، وضرب من التأويل -وكان من كلام البخاري الإنكار على من يعتقد الوحدة المطلقة- فقال البساطي: أنتم ما تعرفون الوحدة المطلقة؟ فاستشاط غضبًا، وحلف إن لم يعزله السلطان خرج من مصر، فعزم السلطان على ذلك فما تم، واستمر البساطي في منصبه بعد ذلك إحدى عشرة سنة حتى مات، ولم يتفق له عزل قط بعدها.

ولما جرت كائنة البقاعي، وعقدت بسببها المجالس، وأجمع أكثر أهل ذلك العصر على اعتقاد ابن عربي وتأويل كلامه، أراد أحد الناس أن يوقد نار الفتنة بين المعتقدين والمنكرين، وسعى بذلك إلى السلطان، فأمر بأخذ خطوط العلماء، فامتنع شيخ الإسلام زكريا الأنصاري من الكتابة خوف الفتنة، فتأثر منه المعتقدون، فخرج من درسه بجامع الأزهر، فلقيه سيدي محمد الإسطنبولي المجذوب الصاحي، فتعرض له وقال: يا زكريا، نحن رفعناك من الأرض إلى السماء ومع ذلك تتوقف في الكتابة؟ فاعتذر الشيخ وبالغ وكتب.

ثم آل الأمر إلى نصرة المعتقدين على المنكرين.

وأقوى ما احتج به المنكرون أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم.

ويرده قول الإمام النووي في «بستان العارفين» بعد نقله عن أبي الخير التيناني واقعة ظاهرها الإنكار: «قد يتوهم من يشتبه بالفقهاء، ولا فقه عنده أن ينكر هذا، وهذا جهالة وغباوة، ومن يتوهم ذلك، فهي جسارة منه على إرسال الظنون في أولياء

الرحمن، فليحذر العاقل من التعرض لشيء من ذلك، بل حقه إذا لم يفهم حِكمهم المستفادة، ولطائفهم المستجادة، أن يتفهمها ممن يعرفها، وربما رأيته من هذا النوع ممن يتوهم فيه من لا تحقيق عنده أنه مخالف ليس مخالفًا، بل يجب تأويل أفعال أولياء الله». إلى هنا انتهى كلامه.

وإذًا: وجب تأويل أفعالهم، ووجب تأويل أقوالهم، بلا فرق.

وكان المجد صاحب القاموس عظيم الاعتقاد في ابن عربي، ويحمل كلامه على المحامل الحسنة، وطرّز شرحه للبخاري بكثير من كلامه.

وقد عظم انتشار كتبه بالأقطار وبأرض الروم، فإنه أخبر في أحدها بصفة جد السلطان سليمان، وفتحه لبلدهم في وقت كذا، فكان كذلك.

فلذلك بني على قبره قبة عظيمة، وجعل فيها طعامًا وخيرات، حتى احتج أحد المنكرين عليه من الفقراء لدخولها بعدما كانوا يبولون ويروثون على قبره.

وأخبر الشعراوي عن أحد إخوانه، أنه شاهد رجلاً أتى ليلاً بنار ليحرق تابوته، فخسف به، وغاب بالأرض، فأتى أهله فحفروا، فوجدوا رأسه، فكلما حفروا نزل في الأرض، فعجزوا، فأهالوا عليه التراب.

وكان شيخنا شيخ الإسلام، فقيه عصره، الشمس الرملي، يوصي من يميل إليه من تلامذته، بتعظيم ابن عربي واعتقاده، وينقل ذلك عن أبيه.

وحكى الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيثمي عن أحد مشايخه أنه كان من المنكرين فمرض، واشتد به ضيق النفس حتى منعه الطعام والمنام وقال: فقلت له هذا من الإنكار. فسبَّني، ثم رجع وقال: لعلك صادق. فقلت له: إذن، اعقد التوبة عن

الإنكار عليه، وأنتم يحصل لكم الشفاء فورًا، فقال: تبت، ولا أعود، فشفي، وصار يأكل ويشرب وينام مدة.

ثم جاءه رجلٌ من معتقدي ابن عربي، فبحث معه شأنه، فحمله ختقه منه على أن قال: اشهدوا على أني باقٍ على الإنكار، فعاد إليه المرض بأشد ما كان إلى أن مات. وكان ألّف كتبًا فاقت على جميع أهل عصره، فلم ينفع الله بشيء منها.

ومن تأمّل سيرة ابن عربي، وأخلاقه الحسنة، وانسلاخه من حظوظ نفسه، وترك العصبية، حمله ذلك على محبته واعتقاده.

ومما وقع له أن رجلاً من دمشق، فرض على نفسه أن يلعنه كل يوم عشر مرات، فمات، وحضر ابن عربي جنازته، ثم رجع فجلس ببيته، ثم توجه للقبلة، فلما جاء وقت الغداء أحضر إليه فلم يأكل، ولم يزل على حاله إلى بعد العشاء، فالتفت مسرورًا وطلب العشاء وأكل، فقيل له في ذلك فقال: التزمت مع الله أني لا أكل ولا أشرب حتى يغفر لهذا الذي يلعنني، وذكرت له سبعين ألف «لا إله إلا الله» فغفر له.

وقد أوذي الشيخ كثيرًا في حياته وبعد مماته بما لم يقع نظيره لغيره، وقد أخبر هو عن نفسه بذلك، وذلك من غُرر كراماته.

فقد قال في الفتوحات: «كنت نائمًا في مقام إبراهيم، وإذا بقائل من الأرواح - أرواح الملأ الأعلى- يقول لي عن الله: ادخل مقام إبراهيم، إنه كان أواهًا حليمًا، فعلمت أنه لابد أن يبتليني بكلام في عرضي من قوم، فأعاملهم بالحلم، وقال:

ويكون أذى كثيرًا، فإنه جاء بحليم بصيغة المبالغة، ثم وصفه بالأوّاه، وهو من يكثر من التأوه لما يشاهد من جلال الله» انتهى.

قال الصفي ابن أبي منصور: جمع ابن عربي بين العلوم الكسبية والعلوم الوهبية.

وكان غلب عليه التوحيد علمًا وخَلْقًا وخُلُقًا، لا يكترث بالوجود، مقبلاً كان أو معرضًا.

وقال تلميذة الصدر القونوي الرومي: كان شيخنا ابن عربي متمكنًا بالاجتماع بروح من شاء من الأنبياء والأولياء الماضين على ثلاثة أنحاء:

- إن شاء استنـزل روحانيته في هذا العالم، وأدركه متجسدًا في صورة مثالية، شبيهة بصورته الحسنة العصرية التي كانت له في حياته الدنيا.

- وإن شاء أحضره في نومه.

- وإن شاء انسلخ من هيكله، واجتمع به.

وهو أكثر القوم كلامًا في الطريق، فمن ذلك ما قال:

ما ظهر على العبد إلا ما استقر في باطنه فما أثر فيه سواه.

فمن فهم هذه الحكمة وجعلها مشهورة، أراح نفسه من التعلق بغيره، وعلم أنه لا يؤتى عليه بخير ولا بشر إلا منه، وأقام العذر لكل موجود.

وقال: إنما كان العارف لا يرى في نومه ما يراه المريد من الأنوار والأمور الحسنة؛ لأنه لا ينام إلا على الخوف، ورؤية التقصير والتفريط في حق الحق تبارك وتعالى، والمريد ينام على رؤية استحسان حاله، ورؤية نتيجة أعماله، والنوم تابع للحس، لذلك كان أحد العارفين يحن إلى البداية.

وقال: إذا فتح عليك بالتصرف، فأت البيوت من أبوابها، وإياك بالفعل بالهمة من غير آلة، فانظر إليه سبحانه كيف خمّر طينة آدم بيده، ثم نفخ فيه الروح وعلمه الأسماء، فأوجد الأشياء على ترتيب، ولو شاء لقال: كن فكان.

وقال: إذا ترادفت عليك الغفلات وكثر النوم، فلا تسخط، ولا تلتفت لذل، فإن من نظر الأسباب مع الحق أشرك، كن مع الله بما يريد لا مع نفسك بما تريد، لكن لابد من الاستغفار.

وقال: علامة الراسخ أن يزداد تمكنًا عند سلبه؛ لأنه مع الحق بما أحب، لا مع نفسه بما يحب، فمن وجد اللذة في حال المعرفة دون السلب، فهو مع نفسه، غيبةً وحضورًا.

وقال: من صدق في شيء، وتعلقت همته بحصوله كان له عاجلاً أو آجلاً، فإن لم يصل إليه في الدنيا فهو له في الآخرة، ومن مات قبل الفتح رفعه إلى محل همته.

وقال: من جمع بين النقيضين شهد الواحد كثيرًا، والكثير واحدًا، ولا نعني بين الجمع في النقيضين إلا ما هو محال في العقل من غير تأويل، ولأن طور الولاية يخالف ما قاله العلماء الحاكمون بمقتضى عقولهم، والله واسعٌ عليم.

وقال: العارف يعرف ببصره ما يعرفه غيره ببصيرته، ويعرف ببصيرته ما لا يدركه أحد غيره إلا نادرًا، ومع ذلك فلا يأمن على نفسه من تنفسه، فكيف يأمن على نفسه من مقدور ربه، وهذا مما قطع الظهور ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم:٤٤].

وقال: العلوم ما دامت في معادنها، فهي واسعة مطلقة، ولا تقبل تغييرًا ولا

تبديلا، فإذا ظهرت مقيدة بالحروف دخلها ما يدخل الكون من التغيير والتبديل، واختلاف العبارات، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا.

وقال: كل من صدق في احترام الألوهية واستحضرها، وكانت مشهورة له، كان النصر الإلهي معه، غيرة إلهية أن يغلب من استند إلى الحق ولو في زعمه، ومن هنا كانت الغلبة للمشركين في أحد المواطن، لأنهم وفوا آلهتهم حق الحرمة لما اعتقدوا فيها الألوهية، فإذا كان هذا النصر يقع لمن استند إلى الاسم ولو وضع على غير مستحقه ممن لا ينفع، فكيف بالاستناد إلى الله؟! ولهذا قالوا: الصدق سيف الله.

وقال: لا ينقص العارف قوله لتلميذه: خذ هذا العلم الذي لا تجده عند غيري ونحوه، مما فيه تزكية نفسه؛ لأن قصده حث المتعلم على القبول.

وقال: كلام على صورة السامع بحسب قوة استعداده وضعفه، وشبهته القائمة بباطنه.

وقال: كل من ثقل عليك الجواب عن كلامه فلا تجبه، فإن وعاءه ملآن، لا يسع الجواب.

وقال: من صح له قدم في التوحيد، انتفت عنه الدعاوي من نحو رياءٍ وإعجاب، فإنه يجد جميع الصفات المحمودة لله لا له، والعبد لا يعجب بعمل غيره، ولا بمتاع غيره.

وقال: من ملكته نفسه عذب بنار التدبير، ومن ملكها لله عذب بنار الاختيار، ومن عجز عن العجز أذاقه الله حلاوة الإيمان، ولم يبق عنده حجاب.

وقال: من أدرك من نفسه التغير والتبديل في كل نفس فهو العالم بقوله تعالى:

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

وقال: من علامة فقد النفس في حق المريد، عدم شهوته لشيء من أمر الدارين.

وقال: من طلب دليلاً على وحدانية الله تعالى، كان الحمار أعرف بالله منه.

وقال: الجاهل لا يرى جهله؛ لأنه في ظلمته، والعالم لا يرى علمه؛ لأنه في ضياء نوره، ولا يرى شيء إلا بغيره، فالمرآة تخبرك بعيوب صورتك، وتصدقها مع جهلك بما أخبرت، والعلم يخبرك بعيوب نفسك مع علمك بما أخبر، وتكذبه، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

وقال: حسن الأدب في الظاهر آية حسنة في الباطن، فإياك وسوء الظن.

وقال: كان المصطفى يتواضع لأكابر قريش؛ لأن الأعزاء من الخلائق، مظاهر العزة الإلهية، فكان يقدمهم على فقراء الصفة ليوفي صفة الكبرياء حقها، وهذا مقام عال، لكن فوقه أعلى منه، وهو ما أمره به آخرًا بقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف:٢٨] فأمر ألاّ يشهده في شيء دون شيء.

وقال: معنى الفتح عندهم كشف حجاب النفس أو القلب أو الروح أو السر، لما في الكتاب والسنة.

وقال: ربما فهم أحدهم من اللفظ ضد ما قصده المتكلم.

سمع أحد علماء بغداد رجلاً من شربة خمر ينشد:

إذا الْعِشْرُونَ مِنْ شَعْبَانَ وَلَّتْ ... فَوَاصِلْ شُرْبَ لَيْلِكَ بِالنَّهَارِ
وَلاَ تَشْرَبْ بِأَقْدَاحٍ صِغَارٍ ... فَإِنَّ الْوَقْتَ ضَاقَ عَنِ الصِّغَارِ

فهام على وجهه في البرية، حتى مات.

وقال: كثيرًا ما يوهب في قلوب العارفين نفحات إلهية، فإن نطقوا بها جهلهم كمل العارفين، وردها عليهم أصحاب الأدلة من أهل الظاهر، وغاب عن هؤلاء أنه تعالى كما أعطى أولياءه الكرامات التي هي فرع المعجزات، فلا بدع أن تنطق ألسنتهم بعبارات تعجز العلماء عن فهمها.

وقال: من لم يقم بقلبه تصديق ما يسمعه من كلام القوم فلا يجالسهم، فإن مجالستهم بغير تصديق سمٌّ قاتل.

وقال: شدة القرب حجاب، كما أن غاية البعد حجاب، وإذا كان الحق إلينا أقرب من حبل الوريد، فأين السبعين ألف حجاب[1]؟

وقال: لا تدخل الشبهة في المعارف والأسرار الربانية، وإنما محلها العلوم النظرية.

وقال: نهاية العارفين منقولة غير معقولة، فما ثم عندهم إلا بداية، وتنقضي أعمارهم، وهم مع الله على أول قدم.

وقال: أقل الناس طمعًا من رضي بالدنيا، وأكثر منه طمعًا من لم يرض بها وطلب الآخرة، وأكثر منه طمعًا من طلب وجه الله، وهنا أسرار لا تسطر في كتاب.

وقال: ليس عند العارفين خلوة؛ لأن الكون كله معمور، متى ناطق بتسبيح خالقه، ومن اتخذ الخلوة استجلاءً للفراغ الذي يجده تقويةً للاستعداد، فهو في حظ

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٥٣)، والطبراني في الكبير (٥٨٠٢) بنحوه.

نفسه ما برح، وقد ذم الله الذين يتسللون على أمر ليسوا له بأهل.

وقال: الحق غني عن الدلالة عليه، ولولا غناه لكان للدليل فخر على المدلول.

وقال: كل من آمن بدليل فلا وثوق بإيمانه لأنه نظري، فهو معرض للقوادح، بخلاف الإيمان الضروري الذي يوجد في القلب، ولا يمكن دفعه، وكل علم حصل عن نظر وفكر، لا يسلم من دخول الشبه عليه ولا الحيرة فيه.

وقال: شرط الكامل الإحسان إلى أعدائه وهم لا يشعرون، تخلّق بأخلاق الله، فإنه دائم الإحسان إلى من سماهم أعداءه مع جهل الأعداء به.

وقال: شرط الشيخ أن يكون عنده جميع ما يحتاجه المريد في التربية، لا ظهور كرامة، ولا كشف باطن المريد.

وقال: لا يعمل للخلق في حركة ولا سكون، إلا بحكم التبعية للحق؛ لأنه المحرك للحركة الظاهرة بالحركة الخفية.

قال: ما من نقمة إلا وفيها رحمة، ألا ترى أنه لولا قطع الأكلة، هلك صاحبها؟.

وقال: الشفقة على الخلق أحق بالرعاية من الغيرة في الله؛ لأن الغيرة لا أصل لها في الحقائق الثبوتية؛ لأنها من الغيرية، ولا غيرية هناك.. ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال:٦١]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، [الشورى:٤٠] فجعل القصاص سيئة، أي أن ذلك الفعل سيئة مع كونه مشروعًا.

كل ذلك تعظيمًا لهذه النشأة التي تولى الحق خلقها بيده، واستخلفها في

الأرض، وحرم على عباده السعي في إتلافها بغير إذنه.

وقال: لو كان ما بأيدي الخلق ملكهم، ما حجر عليهم حق التصرف فيه، ولا حد لهم الحدود، فكل ما بأيديهم -حتى أفعالهم- له.

وقال: الصوفي من أسقط الياءات الثلاث، فلا يقول لي، ولا عندي، ولا متاعي- أي لا يضيف لنفسه شيئًا.

وقال: الروح إذا صفت من كدر الوقوف مع الطبع، التحقت بعالمها المناسب لها، فأدركت ما أدركته الأرواح العلا من علوم الملكوت والأسرار، وانتقش فيها كل ما في العالم من المعاني، وحصلت من الغيوب بحسب الصنف الروحاني المناسب لها، فإن الأرواح -وإن جمعهم أمر واحد- فلكل روح مقام معلوم، فهم على طبقات، منهم الكبير، والأكبركجبريل، وإن من أكابرهم فميكائيل أقرب، ومنصبه فوق منصبه، وإسرافيل أكبر من ميكائيل، وجبرائيل أكبر من إسماعيل.

وقال: العلم بوجود الصنائع -عند ظهور الصنعة للناظر- ضروري وإن لم يعلم حقيقة الصانع ولا ماهيته، ومن لم يعلم ما يجب ويجوز ويستحيل عليه إلا بعد نظر فكري، فهذا مرضٌ لا طبَّ فيه.

وقال: المؤمن الصحيح الإيمان هو من يعبد الله الذي وصفه الشارع، والمؤمن المريض الإيمان من يعبد الله الذي دلَّ عليه العقل لا غير، وقد نبهتك على أمر يتضمن عذر كل من اعتذر.

وقال: المضطر هو الذي دعا ربه عن ظهر فقر إليه، وما منع الناس الإجابة إلا لكونهم يدعونه عن ظهر غنى؛ لالتفاتهم إلى الأسباب وهم لا يشعرون.

وقال: «**الدعاء مخ العبادة**[١]»، وبالمخ تكون القوة للأعضاء، فلذا تتقوى به عبادة العابدين.

وقال: لا يخلص المؤمن من معصيته بغير أن يخالطها طاعة، فالمخلط هو المؤمن العاصي، فإنه إذا عصى في أمر، فهو مؤمن بأن ذلك معصية والإيمان واجب فقد أتى واجبًا، فالمؤمن مأجور في عين عصيانه.

وقال: أراد رجل من أهل القيروان الحج وتردد، هل يمشي بحرًا أو برًا، وما ترجح شيء عنده، فقال: أسأل أول رجل ألقاه. فأول من لقيه يهودي، فحار في أمره ثم سأله، فقال له: يا مسلم، أليس الله يقول: «**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**»؟ قدم ما قدم الله.

وهذا هو الطريق: نبدأ بما بدأ الله به، ونقدم ما قدمه، فمن التزم ذلك، رأى في حركاته خيرًا كثيرًا.

وقال: يدور القضاء في الجو من مقعر فلك القمر إلى الأرض ثلاث سنين، وحينئذ ينـزل، فيعرف الأولياء ذلك بحالة تسمى فهم الفهم.

وقال: تحفظ من لذّات الأحوال؛ فإنها سموم قاتلة، وحجب مانعة.

وقال: لا تدخل دارًا لا تعرفها، فما من دار إلا فيها مهاوٍ ومهالك، قف عند باب دارك حتى يأخذ الحق بيدك.

وقال: أماني النفوس تضاد الأنس بالله؛ لأنه لا يدرك بالأماني.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٦٨).

وقال: لا يغرنك إمهاله، فإن بطشه شديد، والتقي من اتعظ بنفسه، ولا يغرنك من خالف، فجوزى بإحسان المعارف، ووقف في أحسن المواقف وتجلت له المشاهد، هذا كله مكرٌ به، واستدراج من حيث لا يعلم، قل له احتج عليك بنفسه:

ستعلم حين ينقشع الْغُبَارُ أبغلٌ كانٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارُ

وقال: ليس للكُمَّل همة تؤثر في أحد إذا همَّ؛ لأن المعرفة لم تترك لهم همة يتصرفون بها، وكلما علت المعرفة نقص التصرف لتحققهم بمقام العبودية، ونظرهم إلى أصلهم من الضعف.

وقال: لا يصح لعبدٍ مقام المعرفة بالله وهو يجهل حكمًا من شرائع الأنبياء، فمن ادّعى المعرفة، واستشكل حكمًا واحدًا في الشريعة المحمدية أو غيرها، فهو كاذب.

وقال: أجمعت الطائفة على أن العلم بالله عين الجهل به تعالى.

وقال: إذا طلبت الطريق إلى الله من حيث ما شرعه كان الحق غايتك، وإذا طلبته من حيثما تعطيك نفسك من الصفات، والالتحاق بعالمها من التنـزه عن الطبيعي إليها، كان غايتها اللحوق بعالمها الروحاني، ومن ثم تنشأ شريعة الأرواح، حتى يكون الحق غايتها.

وقد أفردنا لهذه الطريقة خلوة مطلقة في جزء يعمل عليها المؤمن، فيزيد إيمانًا، والكافر والمعطل والمشرك والمنافق، فإذا وفّى العمل عليها وبها، حصل له العلم بما الأمر عليه، ويكون ذلك سبب إيمانه بوجود الله وإن كان معطلاً، وبتوحيده إن كان مشركًا، وبحصول إيمانه وإن كان كافرًا، وبإخلاصه وإن كان منافقًا، فمن عمل بشروط تلك الخلوة، أثمرت له ما ذكر، وما سبقني إليها أحد في علمي.

وقال: قد يقصد العبد مناجاة ربه، وقد يأتيه الأمر بغتةً كموسى، ذهب ليقتبس نارًا، فكلمه ربه، ولم يكن له قصد لذلك.

وقال: ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم؛ لكماله في الدلالة عليه، واستيعابه ما نسب الحق إلى نفسه وإلى العالم، فقد انحصر الأمر فيها وجد من العالم من جهة الحقائق.

وقال: إذا ذكر الله الذاكر ولم يخشع قلبه، ولا خضع عند ذكره إياه، لم يحترم الجناب الإلهي، ولم يأت بما يليق به من التعظيم، وأول ما تمقته جوارحه، وجميع بدنه.

وقال: أمهات الأسماء الإلهية كلها التي عليها يتوقف وجود العالم أربعة لا غير: الحي، العالم، المريد، القادر. وبهذه الأسماء ثبت كونه إليها.

وقال: من يتعرض للفتح فلا يُفتح له، يُجمع له إلى أن يموت، فيرى عند موته ما أخفي له من قرة أعين، فيعلم عند ذلك أنه كان مسافرًا إلى الله، ولم يشعر لكونه ما فتح له في حياته الأولى، ولا شاهد ما شاهد غيره من السائرين إلى الله.

وقال: الحق سبحانه لا يقرّب عبده إلا ليمنحه ويعطيه، ثم يبرزه للناس قليلاً قليلا، لئلا يبهرهم نور ما أعطاه؛ لضعف عيون بصائرهم رحمةً بالعامة.

وقال: العبد لا فخر له بأبيه، بل بسيده، وإن افتخر عبدٌ بأبيه، فإنما يفتخر به من حيث إنه كان مقرّبًا عند سيده؛ لأنه عبد مثله.

وقال: جميع حركات الكون من جهة الحقيقة اضطرارية مجبورٌ فيها، وإن كان الاختيار في الكون موجودًا تعرفه، لكن ثَمّ علم آخر، علمنا به أن المختار مجبور في اختياره، بل الحقائق تعطى، فلا مختار؛ فقد رأينا الاختيار في المختار اضطراريات، أي لا بد أن يكون مختارًا.

وقال: أخبرني من أثق به قال: دخلت على رجلٍ فقيهٍ عالمٍ متكلم، فوجدته بمجلس فيه الخمر وهو يشرب، ففرغ النبيذ فقيل له: أنفذ إلى فلان يأتي بنبيذ. قال: لا، فإني ما أصررت على معصية قط، ولي بين الكأسين توبة، ولا أنتظره، فإذا حصل بيدي أنظر: هل يوفقني ربي فأتركه، أو يخذلني فأشربه؟ ثم قال -أعني ابن عربي- فهكذا العلماء.

وقال: كل رُوح لا يعطي رسالة، فهو روح لا يقال فيه ملَك إلا مجازًا، كالأرواح المخلوقة من أنفاس المؤمنين الذاكرين، يخلق أنفاسهم أرواحًا يستغفرون الله لصاحب الذكر إلى يوم القيامة، وكذا من أعمالهم المحمودة التي فيها أنفاسهم، فهؤلاء أرواح مطهرة، فمن أُرسل منهم في أمر سُمي ملكًا .

وقال: الوقف عن تفضيل البشر على الملك، وعكسه لاختلاف الجنس، فلا يقال الحمار أفضل من الفرس مثلاً، اللهم إلا أن يرجع التفاضل إلى الأرواح فلا مانع؛ لأن أرواح البشر ملائكة، فالملك جزء من الإنسان، فالكل من الجزء وعكسه.

وقال: علوم العقل المستفادة من الفكر يشوبها تغيير؛ لأنها بحسب مزاج المتفكر من العقلاء؛ لأنه ينظر في مواد محسوسة كونية في الخيال، ولذلك تختلف مقالاتهم في شيء واحد، بل تختلف مقالة الواحد في شيء واحد لاختلاف الأمزجة،

والتخليط والأمشاج التي في النشأة الأولى بخلاف العلم اللدني، فإنه خالص لم يشبه كدر؛ لخلوصه من حكم المزاج الطبيعي.

وقال: ليس في مقدور العبد مراقبة الله في السر والعلن مع الأنفاس، فالذي عليه بذل الجهد في الاستحضار.

وقال: إنما سميت شبهة شبه لأنها تشبه الحق من وجه.

وقال: اقتضت الحكمة الإلهية عدم اتفاق الخلق على اعتقاد ولي من الأولياء، والإذعان له لسرٍ خفي، هو أنه لو كان كل الخلق مصدقين له فاته أجر الصبر على التكذيب، ولو كانوا كلهم مكذبين له فاته الشكر على تصديق المصدقين له والمعتقدين لآثاره، فجعلهم الحق قسمين: معتقِدًا ومنتقِدًا، ليتعبد الله فيمن صدقه بالشكر، وفيمن كذبه بالصبر.

وقال: من عوّد نفسه الكذب على الناس، يستدرجه الطلب حتى يكذب على الله، فإن الطبع سرّاق.

وقال: من شرفت مرتبته وعلت منـزلته كبرت صغيرته، ومن كان وضيع المنـزلة خسيس المرتبة، صغرت كبيرته.

وقال: من لم يخطر له خاطر الحضور مع الله إلا في وقت قضاء الحاجة، فهو خاطر شيطاني لا يعوّل عليه.

وقال: ليس للأماكن أثر في حجاب القلب عن ربه، وإنما الأثر، الغفلة والجهل.

وقال: لا خير في علم لا يعطي صاحبه سعادة الأبد، ولا يقدس حامله عن تأثير الأمد.

وقال: إذا وقع التماثل، سقط التفاضل.

وقال: تكليف مالا يطاق جائز عقلاً، وقد عاينا ذلك مشاهدةً ونقلاً.

وقال: كل ما أدى إلى نقص الألوهية فهو مردود، ومن جعل في الوجود الحاضر ما ليس بمراد الله فهو عن المعرفة مطرود، وباب التوحيد في وجهه مسدود، وقد يراد الأمر ولا يراد المأمور به على الصحيح، وهذا غاية التصريح.

وقال: أصْلُ الأعداد الواحد، فلا وجود لها إلا به، وبه بقاؤها، فافهم.

وقال: الأدب مع الله، ألاّ ترد عليه ما أعطاك.

وقال: فتنة العلم أعظم من فتنة المال، فإن شرف المال عارض لا تتعداه أفواه الناس، للنفس منه صفة، وشرف العلم حليةٌ تتحلى بها النفس، وفتنته أعظم، ولا زوال له عن صاحبه في حال فقره وغناه ونوائبه.

والمال يزول عن صاحبه بنحو لص أو حرق أو غرق أو جائحة، والعلم منك في حصنٍ حصين يلزم الإنسان حيًا وميتًا، ودنيا وأخرى، وهو لك على كل حال، وإن كان عليك في وقت فهو لك آخر الأمر.

وإن أصابك آفة من جهته فلا تكترث، فليس إلا لشرفه، حيث لم يعمل به، فإذا نجوت أخذك إلى منـزلته، وهي معلومة.

وقال: للصوم شرط في طريق الله، وهو أن الصائم إنما يمسك عن الأكل

بالنهار ليأخذ ما يأكله فيه فيتصدق به، فإن لم يفعل ذلك، واستوفى في عشائه ما فاته بالنهار، فما أمسك، وبهذا ينفصل صوم خواص أهل الله عن صوم العامة.

وقال: من لا علم له بأحدية خالقه كثرت آلهته، وغاب عن معرفته بنفسه، فجهل ربه، فصار عبدًا لكل رب، فهو محلٌّ لكل ذنب.

وقال: الخيال تابع للحس، ولهذا إذا احتلم المريد برؤيا عاقبه شيخه، ألا ترى أنه ما احتلم نبيٌّ قط ولا عارف؟ فإن الاحتلام إنما هو من بقية طبيعته في خياله، وهو كذب، فإنه يظن أنه في الحس الظاهر، والورع تجنب الكذب، فلو اجتنبه في الحس أثر في خياله، فلم تكذب رؤيا قط، فإذا رأيتم ورعًا اغتسل، فهو من مرض طرأ في مزاجه، لا عن رؤيا، لا في حلالٍ ولا في حرام.

وقال: إذا رأى إنسان إنسان على مخالفة حق مشروع، وفارقه في لحظة، ثم رآه في اللحظة الأخرى، وحكم عليه بالحالة الأولى فما وفّى الألوهية حقها، ولا الأدب مع الله حقه، وكان قرين إبليس، حليف الخسران، سيئ الظن بالله وبعباده، فباطنه مظلم، وخلقه سيئ، وورعه مقتٌ عليه.

وقال: إن الله ما وصف بالكثرة شيئًا إلا الذكر، وما أمر بالكثرة من شيءٍ إلا منه، وما أوتي الذكر قط إلا باسم الله خاصة معرّى عن التقييد، فقال: اذكروا الله، وما قال بكذا، وقال: ولذكر الله أكبر، ولم يقل بكذا.

وقال: المتولد عن الأضداد المتنافرة، لابد فيه من المنازعة مع ما في المولد من الأركان، فإنه مولد من مولد، من مولد عن فلك، عن برج، عن طبيعة، عن نفس، فنحن في آخر الدرجات.

وقال: من أفسد شيئًا بعدما أنشأه، جاز أن يعيده كما بدأه.

وقال: من قدر على إمساك الطيور في الهواء، وهي أجسام، قدر على إمساك جميع الأجرام.

وقال: الأزل نعت سلبي، وهي نفي الأولية.

وقال: إذا تجلى الحق لسر عبد، ملّكه جميع الأسرار، وألحقه بالأحرار.

وقال: من لم يعرف حقيقة نفسه لم يصل إلى المعرفة، وكان بعيدًا خلف الحجاب.

وقال: لا يصل المرتاض إلى ما طلب من الذوات المارجية إلا أن يكون جنيًا بالقوة، ويبعد عن الناس بُعدًا كلياً بحيث لا يعلم به غير خادمه، ولا يشغل فكره بغير الأمر المطلوب، فهذه شروط أعرفها، وأشكر الله.

وقال: تكبّر على من تكبّر على الله، وإن التكبّر من صفته.

وقال: من طلبه بالفكر وقوة الفعل، لم يحصل من المعرفة بالحق على طائل، كيف يطلب من يقبل المثل والنظير من لا مثل له ولا نظير؟

وقال: الكل خلق الله، ومضافٌ إليه، فتعظيم خلقه تعظيمه، فطوبى لمن رحم خلقه، ولا يلزم من رحمته أن تلقى إلى أعداء الله بالمودة، ارحمهم من حيث لا يعلمون.

وقال: من نظر الخلق بعين الحق رحمهم، ومن نظرهم بعين العلم مقتهم، ولله أمر وإرادة، فانظر أي الطريقين أنجى لك فأسلكه.

وقال: إذا تجلت لقلبك العظمة وقيدتك، فلا تقف عندها، واهرب إلى الله، فإنها تهلكك.

وقال: لا يهولنك مخلوق، فمن هاله مخلوق أهلكه.

وقال: ما دامت الدنيا موجودة، فالتعب موجود في السعداء، فإنها دار السبك والتخليص.

وقال: كل من أحبك لك فاعتمد على حبه، فإنه الحب الصحيح، وحب الله لخلقه بهذه المثابة.

وقال: عليك بأمر الحق فاتبعه، ولا تغتر بأنك لا ترى شيئًا إلا تحت تصريفه، وحكم إرادته، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، هذا لا ينجيك، فانظر ذلك عقدًا، وتصرّف بالأمر.

وقال: إنما كان العلم حجابًا لأنه يطلب المعلوم على حد علمه، وما كل معلوم يتصور الطلب عليه.

وقال: لا تصح المعرفة بالله لأحد حتى يتعرف إليه، وتعرفه بظهوره، فيبصره من القلب عين اليقين بنور اليقين.

وقال: الحق لا يقرب العبد إلا على قدر تعلق همته به، فهمته أنزلته ذلك المنـزل، وهمتك خلقها فيك عناية منه بك، فعنايته أنزلتك، فلا شيء لك، فالكل منه وإليه، وهو الله لا إله إلا هو.

وقال: لله تعالى الجود المطلق، فمن آتاه اصطفاه، ومن أعرض عنه دعاه، فإن

أجابه تلقاه، وإن تمادى به الإعراض حتى يصل إليه حين تصير الأمور إليه، وجده معرضًا عنه.

وقال: المصلي والذاكر يخلق له من ذكره وصلاته ملك يستغفر له إلى يوم القيامة.

وقال: الإنسان قلب الفلك وعمدته، ألا تراه إذا زال وانتقل من الدنيا، خربت وزالت الجبال، وانشقت السماء، وانكدرت النجوم؟

وقال: إذا رأيت الفتح يتوالى عليك في باطنك، فزنه بحالك، واحفظ حدود الشرع، فإن قام الوزن بالحق، فتلك الواردات بشائر السعادة، وإلا فاحذر المكر.

وقال: كلمة «هو» جمعت جميع قوى الحروف في عالم الكلمات، فلهذا كانت «الهوية» أعظم الأشياء فعلاً.

وقال: قال أهّل الله «بسم الله» منا في إيجاد الأفعال بمنـزله «كن» منه.

وقال: الذاكرون أعلى الطوائف لأنه جليسهم.

وقال: أوصاني شيخي أول ما دخلت عليه قبل أن أراه فقلت: أوصني قبل أن تراني، فأحفظ وصيتك، فلا تنظر إلي حتى ترى خلعتها علي قال: هذه نعمةٌ عالية، سد الباب، واقطع الأسباب، وجالس الوهّاب، يكلمك بدون حجاب.

فعملت على وصيته حتى رأيت بركتها ثم جئته، فرأى خلقها علي فقال: هكذا، هكذاً وإلا فلا.

ثم قال: امحُ ما كتبت، وانس ما حفظت، واجهل ما علمت، وكن هكذا معه على كل حال.

وقال: رب حجة تأتي على بهجة، وفرصة تؤدي إلى غصة، وإياك واللجاج؛ فإنه يوعّر القلب وينتج الحرب، عيّ تسلم به، خير من نطقٍ تندم عليه، فاقتصر من الكلام على ما يقيم حجتك ويبلغك حاجتك.

وإياك والفضول، فإنه يزل القدم، ويورث الندم، عيّ يزري بك خير من براعةٍ تأتي عليك.

وقال: ليس الناطق من كلّمك بصوته وحرفه، بل من كان في قوته أن يوصل إليك ما عنده من المعاني.

وقال: الفرق بين ولد الدين وولد الطين في الميراث، الدين للعلم، والطين للمال.

وقال: أبوك من أنفق عليك، فإن أنفقت عليه فأنت أبوه.

وقال: صورة الإنسان بعد موته ينبوع أحواله في الدنيا، فكن على أحسن الحالات، تكن على أحسن الصور.

وقال: من جنا وعلم أن الحق غفار غُفر له، ومن لم يجنِ ولم يعلم أنه غفار، فقد جنا.

وقال: الصدق صفة جامعة للشرف، عليه دلت المعجزات كلها، فالزم الصدق أيها السالك، ترى العجب العجاب، اخلُ مع الحق على قدم الصدق أسبوعًا بل أقل،

لولا أن اتألّى على الله لحلفت أنه يجعل الطير تظلك، والوحش تصلي خلفك، ويخرج منك نور يضيء منه المشرق والمغرب.

وقال: لك ظاهرٌ إلى الخلق، وباطنٌ إلى الحق، فمتى ظهر الحق على ظاهرك سقطت حرمتك عند الخلق، وفيها سعادتك، وإذا خرج العبد من عند الحق خدم وعظم، وإذا دخل عليه جُهل، وما احترم إلا عند الخواص.

وقال: القرب من الحق بحسب تقديس الذات وتزكيتها، ولا يختص بذلك ذَكَرٌ دون أنثى، بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء، وقد كمُل من النساء مريم وآسيه.

وقال: الفرح من صفات المؤمنين لانتظارهم لما آمنوا به، فإذا لقوه فرحوا، **«للصائم فرحتان»**[1]، والعارفين لا يجوز عليهم الفرح مع المعرفة، بل لو جاز عليهم الغم لاغتموا إذا سمعوا ردّوهم إلى قصورهم، ولا فرح للمشاهدة لاستيلاء العظمة، فإنها تمنع من الحركة، والفرح حركة، فعليهم هيبةٌ وسكينة.

وقال: إذا عم الفساد البر والبحر، فارفع همتك عن الأرض، واجعلها سماوية علوية، حذر الهلاك.

وقال: الابتلاء مقرون بالدعوى، لا تدع فتُبتلَ، ولا تُطالب فتطالب.

وقال: في ذبح القرابين هو ائتلاف أرواح عند تدبير أجسام حيوانية، لتتغذى بها أجسام إنسانية، فتنظر أرواحها إليها حين تفريقها، فتدبرها إنسانية، بعد أن كانت تدبرها إبلاً أو بقرًا أو غنمًا.. قال: وهذا لا يفطن له إلا من نور الله بصيرته من أهل الله.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٩٢).

وقال: نفوسنا من حيث هي من الملائكة الذين مقامهم تدبير هذه الأجسام العنصرية، وجعلت هذه الأجسام الطبيعية حجاباً دوننا عن إدراكنا إياها.

وقال: حصول المطلوب أو اليأس من تحصيله بدء السكينة فيما يطلب، لهذا قيل:

إِنَّمَا أَجْزَعُ مِمَّا أَتَّقِي ... فَإِذَا حَلَّ فَمَا لِي وَالْجَزَعُ
وَكَذَا أَطْمَعُ فِيمَا أَبْتَغِي ... فَإِذَا فَاتَ فَمَالِيَ وَالطَّمَعُ

وقال: كان أحد رجال الله يقول: جعلك الله محدِّثًا صوفيًا، وَلاَ جعلك صوفيًا محدِّثًا، فإن الغالب أن يكون يحكم الأصل المتقدم إلا أن يعصم الله، فمعرفة المكان الذي لنا من الأنبياء يجب علينا العلم به، لئلا نكون ممن ليس عليه ذلك.

وقال: ملائكة التدبير هم الأرواح المدبرة أجسام العالم المركب، وهي المدبرة في النُّفوس الناطقة.

وقال: خلق الله الدنيا وما نظر إليها ففنيت؛ لأن نظر الباقي ثمرته البقاء، فما وقع الإعراض عن الدنيا لهوانها -كيف وهي منـزل الخلفاء- بل لما كان من الفناء والبقاء، والإنسان هنا خليفه، وفي الآخرة إنسان لا غير.

وقال: ينبغي للعبد التأدب بآداب الحق، فإذا رأى فحشًا، كنّى عنه ولا يسميه.

وقوله ﷺ: «أنكتها؟»[1] حالة ضرورة.

---

(١) رواه البخاري (٦٨٢٤)، ومسلم (١٦٩١)، والترمذي (١٤٢٨).

وقال: من طلب السلطة على الخلق، ملأ الله قلبه شغلاً، ولا يعرف قدره، وإن أعطيها، نفذ فيها صفر اليدين وقد عرف قدره.

وقال: أنصحك إذا رأيت من يقول لك: أنا الحق، فقل له: أنت بالحق، فإنه يفنى ولا بد.

وقال: إذا ادّعيت الوصلة وجمع الشمل، أخاف عليك أن يكون جمعك به لا به؛ لأنك إن طلبته لعلّه، فإنما وصلت لغرضك منه، وإن طلبته له وتحققت بهذا المقام، فأنت الواصل إليه حقًّا.

وقال: الأولياء على عدد الأنبياء، فلا بد أن يكون في كل عصر مائة ألف ولي، وأربعة وعشرون ألفًا - لا يزيدون ولا ينقصون- لكل نبي ولي.

وقال: احذر هذا الطريق، فإن أكثر الخوارج إنما خرجوا منه وما هو إلا طريق الهلاك أو الملك.

من حقق علمه وعمله وحاله، نال عز الأبد، ومن فارق التحقيق فيه هلك وما نفد.

وقال في رسالة كتبها إلى الإمام الرازي:

اعلم يا أخي أن الرجل لا يكمل في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله بلا واسطة من نقل أو شيخ، فمن كان علمه مستفاد من ذلك، ما برح عن الأخذ من المحدثات، وذلك معلول عند أهل الله، ومن قطع عمره في معرفة المحدثات وتفاصيلها، فإنه حظه من ربه؛ لأنه العلوم المتعلقة بالمحدثات يفني الرجل عمره فيها ولا يبلغ حقيقتها، ولو سلكت على يد شيخ من أهل الله أوصلك إلى حضرة شهود

الحق، فتأخذ منه العلم من طريق الإلهام الصحيح، بلا تعبٍ ولا سهر- كما أخذه الخضر- فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود، لا عن نظر وفكر.

وحكي عنه -أي عن الفخر الرازي- أن السلطان حبسه وعزم على قتله، وما له شفيع عنده. قال: فطمعت أن اجمع همي على الله في أمري أن يخلصني لما انقطعت الأسباب، وحصل اليأس من كل ما سواه، فما خلص لي ذلك، لما يرد على من الشُّبه النظرية في إثبات الله الذي ربطت معتقدي به، إلى أن جمعت همتي بكليتي على الإله الذي يعتقده العامة، ورميت من نفسي نظري وأدلتي، ولم أجد في نفسي شبهة تقدح فيه، وأخلصت إليه ودعوته، فما أصبحت إلا وقد فرّج الله عني.

وقال: الرياضة عند المحققين إنما هي لتحسين الأخلاق، وعند الحكماء لصفاء المحل، وعلى كل، فليس هما بفتح ولا ينتجانه، وإنما يأتي الفتح من عند الله، ولو كان له سبب ينتجه كان مكتسبًا ، وإنما جعل الذكر عادة لئلا يروح الوقت بغير عبادة، ويتعين على الذكر ألاّ يقصد بذكره حضرةً مخصوصةً أصلاً، بل يترك الحق يختار له من خزائن غيبة، ما يقتضيه جوده وإحسانه.

وقالِ: الإيمان نور شعشعاني ممزوج بنور الإسلام، فإنه ليس بوحدته استقلال، فإذا امتزج بنور الإسلام أعطى الكشف والمطالعة، فعلم من الغيوب على قدره، حتى يرتقي إلى مقام الإحسان.

وقال: ظنون الولي مصيبة، فإنه كشف له من خلف حجاب الجسد، فيجد الشيء في نفسه، ولا يعرف من أين جاء.

وقال: صاحب النشأة المعتدلة لا تكذب خواطره أبدًا ، فإن كذبت فلعارض،

ومن هذه النشأة كانت الكهنة، فإذا كان لصاحبها قدم سعادة بحيث يصل إلى النفس الكلية، أخذ عنها أخذًا صحيحًا، واستشرف على الغيب، ورأى هو العالم في قوة النفس.

وقال: الخاطر الأول رباني لا يخطئ أصلاً إلا لعارض، فمن فاته معرفة الخاطر الأول -وليس عنده تصفية خلقية- فلا رائحة له من علم الغيب، ولا يعتمد على حديث النفس، فإنه أماني.

وقال: احذروا الأحوال، فإنها سموم قاتلة، وحجب مانعة، فإن العلم يستعبدك له، وهو المطلوب منا، والحال إما يسودك على أبناء جنسك لانقيادهم لما قهرتهم به من الوصف الرباني، وإما يلذذك بذاتك، وصاحب اللذة محجوب بها، ممنوع عن المشاهدة.

وقال: كم ماشٍ على الأرض والأرض تلعنه، وكم ساجدٍ عليها وهي لا تقبله، كم داعٍ لا يتعدى كلامه لسانه، كم من عدوٍ بغيضٍ في الصلوات والمساجد، كم من وليٍ حبيبٍ في البيع والكنائس، يعمل هذا في حق هذا، وهو يحسب أنه يعمل لنفسه، حقت الكلمة، ووقعت الحكمة، ونفذ الأمر، فلا نقص ولا مزيد.

وبالنرد كان اللعب لا بالشطرنج قاصمة الظهر، وقارعة الدهر، حكم نفذ لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، انقطعت الرقاب، وسقط من الأيدي، تلاشت الأعمال، طاحت المعارف، أهلك الكون السلخ والخلع، يسلخ من هذا، ويخلع على هذا، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وقال: إذا أردتَ ألاّ تخاف أحدًا فلا تخف أحدًا، تأمن من كل شيء ويأمنك كل شيء.

وقال: «مررت في سفري -في زمن جاهليتي- مع والدي في برية، وإذا حمرٌ وحشيةٌ ترعى، وكنت مولعًا بالصيد، وكانت غلماني بعيدة، فجعلت في قلبي ألاّ أوذي أحدًا منها، فوصلتها ودخلت بينها -ربما مرَّ سنان الرمح بسنام أحدها- فما رفعت رءوسًا حتى جزتها، ثم أعقبني الغلمان، فنفرت أمامهم، فما علمت سببه حتى دخلت طريق الله، فعلمت أنه سرى الأمان الذي في نفسي لهم في نفوسهم».

فكف عن ظلمك، واعدل في حكمك ينصرك الحق، ويطيعك الخلق، وتصفوا لك النعم، وترتفع عنك التهم، فيطيب عيشك، ويسكن جأشك، وتملك القلوب، وتأمن محاربة الأعداء. والسلام.

مات بدمشق في ربيع سنة ست وثلاثين وستمائة، ودفن بالصالحية، بتربة ابن سراقة.

وقال البساطي: وعنه أخذ ابن الفارض والقونوي.

انتهى كلام المناوي رحمه الله تعالى

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم

❊ ❊ ❊



الانتصار للشيخ الأكبر

محيي الدين ابن عربي

قدَّسَ اللهُ سرَّه

تصنيف

الشيخ الإمام يوسف بن الملا عبد الجليل الخضري الكردي الموصلي

المتوفى سنة ١٢٤١ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

من علماء الأزهر الشريف



ترجمة الشيخ الموصلي

يوسف بن عبد الجليل بن مصطفى الخضري الجليلي الموصلي: واعظ حنفي، من أهل الموصل.

كان يدرس بمدرسة قرة مصطفى باشا، ويعظ بجامع يونس والطغرائية.

توفي بالموصل سنة ١٢٤١ هـ.

من كتبه :

- الانتصار للأولياء الاخيار (بتحقيقنا).
- كشف الأسرار وذخائر الأبرار.
- الاستشفا بأحاديث المصطفى.

انظر:

- الأعلام للزركلي (٨/ ٢٣٦).
- معجم المؤلفين (١٣/ ٣٠٧).
- هدية العارفين (٢ / ٢٤٢).
- إيضاح المكنون (١/ ١٣٠).

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الموصلي الكردي في مخطوط «الانتصار للأولياء الأخيار»:

الشيخ محيي الدين ابن العربي كان من الموقعين عن بعض ملوك المغرب، ثم إنه طرقه طارق من عند الله تعالى، فخرج بالبراري على وجهه إلى أن نزل في قبرٍ فمكث فيه مدة، ثم خرج من القبر يتكلَّم بهذه العلوم التي نُقلت عنه، ولم يزل سائحًا في الأرض يقيم في كل بلدٍ بحسب الإذن، ثم يرحل منها ويخلف ما أَلَّفه من الكتب فيها، وكان آخر إقامته بالشام، ومات بها سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

وكان ﷺ متقيِّدًا بالكتاب والسُّنَّة، ويقول: كل من رمى ميزان الشريعة من يده فقد هلك، وهذا اعتقاد الجماعة إلى قيام الساعة.

وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه إنما هو لعلو مراقيه، وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة الغراء وما عليه الجمهور، فيحتمل أن الحسدة دسوا عليه. كذا ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه: «**اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر**».

وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس: لم يبلغنا عن أحدٍ من القوم أنه بلغ في علم الشريعة والحقيقة ما بلغ الشيخ محيي الدين أبدًا، ولم تزل العلماء مكبِّين على كتابة مؤلفاته بحل الذّهب في حياته وبعد مماته، إلى أن أراد الله تعالى ما أراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدين ابن الخيّاط، فكتب مسائل في درجٍ، وأرسلها إلى بلاد الإسلام، وقال: هذه عقائد الشيخ محيي الدين ابن العربيّ، وذكر فيها عقائد زائغة، ومسائل خارقة لإجماع المسلمين، فكتب العلماء على ذلك بحسب ظاهر السؤال، وشنَّعوا على من يعتقد ذلك من غير تبينٍ وتثبتٍ.

والشيخ عن ذلك بمعزل قال: فلم أدرِ أوجد ابن الخياط تلك المسائل في كتابٍ مدسوسٍ على الشيخ، أو فهمها هو من كلام الشيخ على خلاف مراده!.

قال: والذي أقوله وأتحققه وأدين الله تعالى به أن الشيخ محيي الدين كان شيخ الطريق حالاً وعلمًا، وإمام التحقيق حقيقةً ورسمًا، ومحي علوم العارفين فعلاً واسمًا.

إِذَا تغلغل فكرُ المرءِ في طرفٍ ... مِنْ مجْدِهِ غرقت فيه خَوَاطره

لأنه بحرٌ لا تكدره الدّلاء، وسحابٌ لا تتقاصر عنه الأنواء، كانت دعواته تخرق السبع الطباق، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق، وإني أصفه وهو يقينًا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظني أني ما أنصفته:

ومَا عَلَيَّ إذا مَا قلتُ معتقدي ... دعْ الجهول يظن العذلَ عدوانًا

والله والله والله العظيم ومن ... أقامه حجّة للدينِ بُرهانًا

إن الذي قلت بعضٌ من مَنَاقِبِه ... ما زدت إلا لعلمي زدت نقصانًا

وأمّا كتبه فهي البحار الزَّواخر التي ما وضع الواضعون مثلها، ومن خصائصها أنه ما واظب أحدٌ على مطالعتها إلا وتصدَّى لحل مشكلات الدين ومعضلات مسائله، وهذا الشأن لا يوجد في غير كتبه أبدًا.

وأمّا قول بعض المنكرين أنّ كتب الشيخ لا يحل قراءتها ولا أقراؤها فكفر، وقد قدَّموا إليَّ سؤالاً صورته: ما تقول في الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين ابن العربي كالفتوحات والنصوص، هل يحل قراءتها وأقراؤها؟ وهل هي من الكتب المقروءة أم لا؟

فأجبت: نعم.

هي من الكتب المسموعة المرويَّة المقروءة، وقد قرأها عليه الحافظ البرزاني وغيره، ورأيت إجازة بخط الشيخ محيي الدين على حواشي الفتوحات المكيّة بمدينة قونية، وكتابه طبقة بعد طبقة من العلماء والمحدِّثين، فمطالعة كتب الشيخ قربة لله تعالى، ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحق.

ولقد كان الشيخ محيي الدين في زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقده وندين الله به، خلاف ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالى فحرموا فوائده، ووقعوا في عرضه بهتانًا وزورًا، وحاشا جنابة الكريم أن يخالف نبيَّه ﷺ الذي استأمنه على شرعه ومن أنكر عليه وقع في أخطر الأمور شعر:

عليّ تحت القـوافي مـن مكامنهـا ... ومـــا عـــليّ إذا لم تفهـــم البقـــر

وقد رأيت إجازة بخط الشيخ كتبها للملك الظاهر بيبرس صاحب حلب، ورأيت في آخرها: «وأجزت له أيضًا أن يروي عني جميع مؤلفاتي ومن جملتها كذا وكذا» حتى عدَّ نيفًا وأربعمائة مؤلف، منها تفسيره الكبير في خمسٍ وتسعين مجلدًا وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف:٦٥]، فاصطفاه الله تعالى لحضرته، ومنها: تفسيره الصغير في ثمانية أسفار على طريقة المحققين من المفسرين، ومنها: كتاب الرياض الفردوسية في الأحاديث القدسية.

فهل يحل لأحدٍ أن يقولَ لا يجوز مطالعة كتب الشيخ محيي الدين مطلقًا! ما ذلك إلاَّ كفر وتعصُّب وعناد انتهى.

قال الشيخ عبد الغفار القوصي في كتاب «الوحيد»: حدَّثني الشيخ عبد العزيز المتوفى عن خادم الشيخ محيي الدين قال: كان الشيخ محيي الدين يمشي وإنسان يسبُّه،

وهو ساكتٌ لا يرد عليه فقلت: يا سيدي ما تنظر إلى هذا؟ قال: ولمن يقول؟ قلت: يقول لك، فقال: ما يسبني أنا، فقلت: كيف ذلك؟ قال: تصوّرت له صفات ذميمة فهو يذم تلك الصفات، وما أنا موصوف بها، قلت: قد وقع لنبينا المصطفى ﷺ أن من خلقه العظيم كان يقول لأصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني سبّ قريش، يسبُّون مذمماً وأنا محمد**[1]»، وكان المشركون قد سموه مذمّمًا؛ لعتوهم وكفرهم وحاشاه من ذلك ﷺ.

وقد كان الشيخ سراج الدين المخزومي شيخ الإسلام بالشام يقول: إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محيي؛ فإن لحوم الأولياء مسمومة، وهلاك أديان مبغضيهم معلومة، وبعضهم تنصَّر ومات على ذلك، ومن أطلق لسانه فيهم بالسلب ابتلاه الله تعالى بموت القلب.

وممن أثنى عليه الشيخ كمال الدين **الزملكاني** وكان من أجلّ علماء بالشام، وكذلك قطب الدين الحموي، وقيل له لما رجع من الشام إلى بلاده كيف وجدت الشيخ محيي الدين؟ قال: وجدته في العلم والزهد والمعارف بحرًا زاخرًا لا ساحل له، قال: وأنشدني الشيخ بلفظه من جملة أبيات:

تَرَكْنَـا البِحَـار الزَّاخِـرَات وَرَاءَنَـا ... فَمِنْ أَينَ يَدرِي النَّـاسَ أَيـنَ تَوجَّهنَـا

ومَن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين **الصفدي** في تاريخ علماء العصر، وقال: من أراد أن ينظر إلى كلام أهل العلوم اللدنيَّة فلينظر في كتب الشيخ محيي الدين ابن العربي.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٤٠) بنحوه.

وسئل الحافظ أبو عبد الله **الذهبي** عن قول الشيخ محيي الدين في كتابه «الفصوص» ما نصَّه: أنه ما صنفه إلا بإذنٍ من الحضرة المحمدية فقال: ما أظن أن مثل الشيخ محيي الدين يكذب أصلاً، مع أن الحافظ الذهبي كان من أشد المنكرين على الشيخ محيي الدين، وعلى الطائفة الصوفية هو وابن تيمية، وممن أثنى على الشيخ **قطب الدين الشيرازي**.

وكان يقول: إن الشيخ محيي الدين كان كاملاً مكتملاً في العلوم الشرعية والحقيقية، ولا يقدح فيه قدح من لم يفهم كلامه ممن لم يؤمن به، كما لم يقدح في كمال الأنبياء نسبتهم إلى الجنون، والسمر على لسان من لم يؤمن بهم.

وكان الشيخ **مؤيّد الدِّين الجندي** يقول: ما سمعنا بأحدٍ من أهل الطَّريق اطَّلع على ما اطَّلع عليه الشيخ محيي الدين.

وكذلك كان يقول: الشيخ شهاب الدين **السهروردي**، والشيخ كمال الدِّين **الكاشي**، وقالا فيه: إنه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات، مع أن هؤلاء الأشياخ كانوا من أشدّ الناس إنكارًا على من يخالف كلامه ظاهر الشريعة.

وممن أثنى عليه الإمام فخر الدِّين **الرَّازي** وقال: كان الشيخ محيي الدِّين وليًّا عظيمًا.

وممن أثنى عليه الإمام **اليافعي**: وصرَّح بولايته العظمى كما نقل ذلك شيخ الإسلام زكريا **الأنصاري** في شرحه للرَّوض، وكان اليافعي يجيز رواية كتب الشيخ محيي الدِّين.

ويقول: إن حكم إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطَّريق حكم ناموسة نفخت

على جبل تريد إزالته من مكانه بنفختها.

قال: ومن عادى أولياء الله تعالى فقد عادى أنبياء الله تعالى، وإن كان لم يبلغ حدّ التكفير الموجب للخلود في النَّار.

وممن أثنى عليه الشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي، وترجمه بأنه مربيّ العارفين، كما أن الجنيد مربيّ المريدين.

وقال: إن الشَّيخ محيي الدين روح التنـزلات والإمدادات، وألف الوجود، وعين الشهود، وهابه المشهود الناهج منهاج النبي العربي -قدّس الله سرُّه- وأعلى في الوجود ذكره.

وقد صنَّف الشيخ سراج الدِّين **المخزومي** كتابًا في الرد عن الشيخ محيي الدين، وقال: كيف يسوغ لأحد من أمثالنا الإنكار على ما لا يفهم من كلام الفتوحات أو غيرها، وقد وقف على ما فيها نحو ألف عالم أو أكثر، وتلقوها بالقبول قال:

وقد شرح كتاب «الفصوص» جماعة من أعلام الشافعية منهم الشيخ **بدر الدين ابن جماعة**، وشاعت كتبه في جميع الأمصار، وقُرأت متنًا وشرحًا في غالب البلاد ورويناها في القراءة الظاهرة في الجامع الأموي وغيره بالإسناد، وتغالى الناس في شرائها، ونسخها وتبرَّكوا بها وبمؤلفها لما كان عليه من الزهد، والعلم، ومحاسن الأخلاق، وكان أئمة عصره من علماء الشام، ومكة، كلهم يعتقدونه ويأخذون عنه، ويعدّون نفوسهم في بحر علمه كل شيء، **وهل ينكر على الشيخ محيي الدين إلا جاهلٌ أو مُعاند؟**.

وكان الشيخ **عز الدين ابن عبد السلام** يقول: ما وقع إنكار من بعضهم على

الشيخ محيي الدين إلا رفقًا بضعفاء الفقهاء الذين ليس لهم نصيب من أحوال الفقراء خوفًا أن يفهموا من كلام الشيخ أمرًا لا يوافق الشرع فيضلوا، ولو أنهم صبحوا الفقراء لعرفوا مصطلحهم وآمنوا من مخالفة الشريعة.

قال شيخ الإسلام المخزومي: وقد كان الشيخ محيي الدين بالشام وجميع علمائها يتردّدون إليه من غير إنكار، وقد أقام بين أظهرهم نحوًا من ثلاثين سنة، يكتبون مؤلّفاته، ويتداولونها، ويعترفون له بجلالة المقدار، وأنه أستاذ المحققين من غير إنكار بينهم.

قال الشيخ مجد الدين **الفيروزآبادي** بعد أن ذكر مناقب الشيخ محيي الدين:

ثم إن الشيخ محيي الدين كان مسكنه الشام، وقد أخرج هذه العلوم بالشام، ولم ينكر عليه أحد من علمائها، وقد كان قاضي القضاة الشيخ شمس الدين **الخجندي** الشافعي يخدم الشيخ خدمة العبيد.

وأما قاضي القضاة المالكي فهبَّت عليه نظرة من الشيخ فزوجه ابنته وترك القضاء، وتبع طريقة الشيخ، وأطال في ذكر مناقب الشيخ، ثم قال: وبالجملة فما أنكر على الشيخ محيي الدين إلا بعض الفقهاء الذين لاحظ لهم في مشرب المحققين.

وأما جمهور العلماء والصوفية: فقد أقرّوا بأنه إمام أهل التحقيق والتوحيد، وأنه في العلوم الظاهرة فريد، قال: ولما جاور بمكة شرفها الله تعالى، وكان البلد إذ ذاك مجمع العلماء أو المحدثين، وكان الشيخ هو المشار إليه بينهم في كل علم تكلموا فيه، وكانوا كلهم يتسارعون إلى مجلسه، ويتبركون بالحضور بين يديه، ويقرؤون عليه تصانيفه قال: ومصنفاته بخزائن مكة إلى الآن أصدق شاهد على ما قلناه.

وكان أكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث وأسماعه، وصنف فيها الفتوحات المكية، كتبها عن ظهر قلب، جوابًا لمسائل سأله عنها تلميذه بدر الدين الحبشي، ولما فرغ منها وضعها في سطح الكعبة المعظمة، فأقامت فيه سنة، ثم أنزلها فوجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة، ولا لعبت الرياح بها مع كثرة أمطار مكة ورياحها، وما آذن للناس في كتابتها وقراءتها إلا بعد ذلك.

قال: وأما إشاعة بعض المنكرين عن الشيخ **عز الدين ابن عبد السلام**، وعن الشيخ **سراج الدين البلقيني** أنهما أمرا بإحراق كتب الشيخ محيي الدين **فكذَّب وزوَّر**، ولو أنها أحرقت لم يبق منها الآن بمصر والشام نسخة، ولما كان أحد نسخها بعد كلام هذين الشيخين وحاشاهما من ذلك، ولو أن ذلك وقع لم يخفَ؛ لأنه من الأمور العظام التي تسير بها الركبان في الآفاق، ويتعرض لذكرها أصحاب التواريخ.

قال الشيخ سراج الدين المخزومي: كان شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، وكذلك الشيخ **تقي الدين السبكي** ينكران على الشيخ محيي الدين في بداية أمرهما، ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده، وندمًا على تفريطهما في حقه في البداية، **وسلَّما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية**.

فمن جملة ما ترجمه به الإمام السبكي: كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله تعالى، وأن الفضل في زمانه رمى بمقاليده إليه.

وقال: لا أعرف إلا إياه.

ومن جملة ما قاله الشيخ سراج الدين البلقيني فيه حين سُئل عنه: إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين، فإنه لما خاض في لجج بحر المعرفة،

وتحقيق الحقائق عبر في أواخر عمره في الفصوص، والفتوحات، والتنـزلات الموصلية، وفي غيرها بما لا يخفى على من هو في درجته من أهل الإنارة، ثم إنه جاء من بعده قوم عموا عن طريقه فغلَّطوه بذلك، بل كفروه بتلك العبارات، ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه، ولا سألوا من يسلك بهم إلى إيضاحه، وذلك أن كلام الشيخ تحته رموز، وروابط، وإشارات، وضوابط، وحذف مضافات في علمه، وعلم أمثاله معلومة، وعند غيرهم من الجهَّال مجهولة، ولو أنهم نظروا إلى كلماته بدلائلها وتطبيقاتها، وعرفوا نتائجها ومقدماتها لنالوا الثمرات من مراده، ولم يباين اعتقادهم لاعتقاده، ولقد كذب وافترى من نسبه إلى القول بالحلول والاتحاد، ولم أزل أتتبع كلامه في العقائد وغيرها، وأكثر النظر في أسرار كلامه، وروابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو عليه من الحق الحقيق، ووافقت الجمَّ الغفير المعتقدين من الخلق، وحمدت الله ﷻ إذ لم أكتب في ديوان الغافلين من الجاحدين لكرامته وأحواله انتهى كلام البلقيني.

قال تلميذه شيخ الإسلام المخزومي: ولما وَردتُ القاهرة عام توفي شيخنا سراج الدين البلقيني، وذلك في عام أربع وثمانمائة ذكرت له ما سمعت من بعض أهل الشام في حق الشيخ محيي الدين، من أنه يقول بالحلول والاتحاد.

فقال الشيخ: معاذ الله وحاشاه من ذلك إنما هو من أعظم الأئمة، وممن سبح في بحار علوم الكتاب والسنة، وله اليد العظيمة عند الله تعالى والقدم الصدق.

قال المخزومي: فقوي بذلك يقيني في الشيخ من تلك الساعة، وعلمت أنه من رؤوس أهل السنة والجماعة.

قال المخزومي: ولقد بلغنا أن الشيخ تقي الدين السبكي تكلم في شرحه

للمنهاج في حق الشيخ بكلمة، ثم استغفر الله بعد ذلك وضرب عليها، فمن وجدها في بعض النسخ فليضرب عليها كما هو في نسخة المؤلف.

قال: مع أن السبكي قد صنف كتبًا في الرد على المجسمة والرافضة، وكتب الأجوبة في الرد على ابن تيمية، ولم يصنف قط شيئًا في الرد على الشيخ محيي الدين مع شهرة كلامه في الشام، وقراءة كتبه في الجامع الأموي وغيره.

بل **كان يقول:** ليس الرد على الصوفية مذهبي لعلو مراقيهم.

وكذلك كان يقول الشيخ تاج الدين: وأطال المخزومي في الثناء على الشيخ محيي الدين، ثم قال: فمن نقل عن الشيخ تقي الدين السبكي، أو عن الشيخ سراج الدين البلقيني أنهما بقيا على إنكارهما على الشيخ محيي الدين إلى أن ماتا، فهو مخطئ.

وقال: ولما بلغ شيخنا السراج البلقيني أن الشيخ بدر الدين السبكي شيخ الإسلام بالشام ردَّ على الشيخ موضعًا من كتاب «الفصوص» أرسل إليه كتابًا من جملته: يا قاضي القضاة الحذر ثم الحذر من الإنكار على أولياء الله تعالى، وإن كنت ولابد رادًّا فرد كلام من رد على الشيخ وإلا فدع انتهى.

وسئل **العماد بن كثير** عمن يخطئ الشيخ محيي الدين؟

قال: أخشى أن يكون من يخطئه هو المخطئ.

وقد أنكر قومٌ على الشيخ فوقعوا في المهالك، وكذلك سئل الشيخ بدر الدين ابن جماعة عن الشيخ محيي الدين، فقال: ما لكم ولرجل قد أجمع الناس على جلالته، وقال الشيخ الإمام شهاب الدين عبد الغفار **القوصي**:

حاشاك يا محيي الدين الذي اجتمعت ... لـه الفـضائل مـن علـم ومـن عمـلِ

أن تقتفـي غـير مـا جـاء الكتـاب بـه ... أو تبتغـي بـدلاً عـن أشرف الملـلِ

أو أن تهـدَّ أسـاس الـشرع معتقـدًا ... فيـه عقيـدة أهـل الزَّيـغ والزلـلِ

لعمري لقد كـذبوا في كـل مـا نـسبوا ... إليـك مـن خطـأ يـضنيك أو خطـلِ

إن غَّـرهم كلـمات منـك ظاهرهـا ... يخـالف الـشرع في فهـم لـه خبـلِ

فـذكرهم قـول عبـد الله حـسبك أو ... أبي هريـرة أو قـول الإمـام عـلي

أو ينـشدوا شـعر زيـن العابـدين وإن ... شاءوا فقصة موسـى أوضـح الـسُّبلِ

أراد بعبد الله- عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما، فإنه قال في قوله تعالى: **﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾** [الطلاق:١٢]، ما لو قلته لرجمتموني.

وقول أبي هريرة ﷺ رواه البخاري في أوائل صحيحه قال: «**حفظت من رسول الله ﷺ وعائين فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم**[١]».

وأمَّا قوله: الإمام علي ﷺ فهو ما روي عن كميل بن زياد قال: أخذ بيدي علي ابن أبي طالب وأخرجني إلى ناحية الجبَّانة، فلمَّا أصحر: أي خرج إلى الصحراء تنفس، ثم قال: يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ عني ما أقول، وساق الكلام إلى أن قال: إن ها هنا لعلمًا، وأشار إلى صدره ... بطوله أخرجه جماعة من المحدِّثين منهم:

أبو نعيم، وابن عساكر، وهو دليل على أن علم الأسرار لا يمنع إفشاؤه لأهله وفاءً بحق الحكمة.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٥٦)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٢٦).

وذكر الأستاذ جمال الدين محمد بن أسعد الداواني في أواخر رسالة خلق الأعمال قال: ويكفي في تحقيق هذه المرتبة الكلمات الخمس المأثورة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وكرم وجهه في جواب كميل بن زياد صاحب سرَّه، وقابل جوده وبِرِّه، وأراد بالكلمات المذكورة ما هي مشهورة بين الصوفية، وقد أفردها بعضهم بالشرح وهي: ما روي عن كميل بن زياد أنه سأل الإمام عليًا ﷺ: «ما الحقيقة؟ قال: ما لَكَ والحقيقة؟ قال: أو لست صاحب سرّك! قال: بلى ولكن يترشح عليك ما ينضح مني، فقال: أو مثلك يخيِّب سائلاً فقال ﷺ: كشف سبحات الجلال من غير إشارة، فقال: زدني بيانًا، فقال: محو الموهوم مع صحو العلوم، فقال: زدني بيانًا، فقال: هتك السَّتر بغلبة السِّر، فقال: زدني بيانًا، فقال: جذب الأحدية لصفة التوحيد، فقال: زدني بيانًا فقال: نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل التوحيد آثاره، فقال: زدني بيانًا فقال: أطفِ السراج فقد طلع الصبح، ويروى: أطف المصباح فقد طلع الصبح[1]».

وقوله: أو ينشدوا شعر زين العابدين هو قوله:

يـا رب جـوهر علـم لـو أبـوح بـه	لقيـل لي أنـت ممـن يعبـد الوثنـا
ولاسـتحلَّ رجـال مـسلمون دمـي	يـرون أقـبح مـا يؤتونـه حـسنا

وأما قصة موسى ﷺ فهي ما وقع له مع الخضر فيما قصَّه الله علينا في القرآن العظيم، فالحاصل أنه قد أجمع المحققون من أهل الله تعالى على جلالته في سائر العلوم كما يشهد لذلك كتبه، وما أنكر عليه إلا لدقة فهم كلامه لا غير، فأنكروا على من يطالع

---

(١) شرح الشيخ القاشاني في رسالة له، بحوزتنا صورة منها، وذكره الحاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٤١) بنحوه.

كلامه من غير سلوك طريق الرياضة، خوفًا من حصول شبهة في معتقده يموت عليها، ولا يهتدي لتأويلها على مراد الشيخ ﷺ وقدِّس سره، وأفاض علينا من بركاته... آمين.

انتهى كلام الموصلي في الانتصار

وصلِّ اللهم على سيد الأبرار ﷺ وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار وسلم

❊ ❊ ❊

الاغتباط بمعالجة

ابن الخياط

(رد المعترضين على الشيخ محيي الدين ﷺ)

تصنيف

الشيخ الإمام مجد الدين الفيروزآبادي

المتوفى سنة ٨١٧ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

من علماء الأزهر الشريف

ترجمة الشيخ المصنف

(٧٢٩ - ٨١٧ هـ)

هو الشيخ الإمام، أبو طاهر، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بـن إبـراهيم ابـن عمـر الـشيرازي الفيروزآبـادي مـن أئمـة اللغـة والأدب والتفـسير والتوحيـد والتصوف.

ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز.

وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند.

ورحل إلى زبيد (سنة ٧٩٦ هـ) فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها.

وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد.

من مصنفاته:

- القاموس المحيط (معجم في أربعة أجزاء).

- المغانم المطابة في معالم طابة.

- الإشارة إلى مذهب أهل الحق (بتحقيقنا).

- سفر السعادة (بتحقيقنا).

- الاغتباط بمعالجة ابن الخياط (كتابنا هذا) الذي ألفه بسبب سؤال سئل فيه عن الشيخ محيي الدين بن عربي.

- الأحاديث الضعيفة.

- أحاسن اللطائف في محاسن الطائف.

- الإسعاد بالأصفاد إلى درجة الاجتهاد.

- أسماء السراج.

- أسماء الغادة في أسماء العادة.

- أسماء النكاح.

- إشارة الحجون إلى زيارة الحجون.

- إقتضاض السهاد في افتراض الجهاد.

- الألطاف الخفية في أشراف الحنفية.

- أنواء الغيث في أسماء الليث.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز.

- بغية الرشاف من خطبة الكشاف.

- بلاغ التلقين في غرائب اللعين.

- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة.

- التجاريح في فوائد متعلقة بأحاديث المصابيح.

- تحفة القماعيل فيمن يسمى من الملائكة والناس إسماعيل.

- تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين.

- ترفيق الأسل في تصفيق العسل.

- تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول أربع مجلدات.

- تعيين الغرفات للمعين على عين عرفات.

- تيسير فاتحة الأباب في تفسير فاتحة الكتاب.

- جليس الأنيس في أسماء الخندريس.

- حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الإخلاص.

- الدر الغالي في الأحاديث العوالي.

- الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم في التفسير.

- الدرر المبثثة في الغرر المثلثة.

- روض المسلوف فيما له إسمان إلى الألوف.
- روضة الناظر في درجة الشيخ عبد القادر.
- زاد المعاد في وزن بانت سعاد.
- مزاد المراد وزاد المعاد.
- شوارق الأسرار العلية في شرح مشارق الأنوار النبوية.
- الصلاة والبشر في صلاة على خير البشر.
- عدة الحكام في شرح عمدة الأحكام.
- الغرر المثلثة والدرر المبثثة.
- فضل الدرة من الخرزة في فضل السلامة على الخبزة.
- الفضل الوفي في العدل الأشرفي.
- قطبة الحشاف في حل خطبة الكشاف.
- اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب وزيادات امتلائها الوطاب.
- المتفق وضعًا والمختلف صنعاً المثلث في اللغة خمس مجلدات.
- المرقاة الأرفعية في طبقات الشافعية.

- المرقاة الوفية في طبقات الحنفية.
- مقصود ذوي الألباب في علم الإعراب.
- منح الباري بسيح الجاري في شرح صحيح البخاري.
- منية السول في دعوات الرسول ﷺ.
- مهيج الغرام إلى البلد الحرام.
- نخب الظرائف في النكت الشرائف.
- نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان.
- النفحة العنبرية في مولد خير البرية ﷺ.
- الوصول والمنى في فضل منى وغير ذلك.

وانظر:

الأعلام (٧/ ١٤٦)، وهدية العارفين (٢/ ٤٢).

* * *

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان
على سيد المرسلين، محمد وآله الأكرمين، وصحابته
الراشدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد
فهذه رسالة من أحقر الخلق الملتجي إلى حرم الله تعالى
محمد بن يعقوب الصديقي صدق الله تعالى أقواله لتكون
أقواله وحسن أعماله، وأفعاله كي لا تكون أفعى له
إلى مولانا وخليفة الله في عصرنا، السلطان بن السلطان
بن السلطان الملك الناصر، سيد الخواقين الطيب
العناصر المعقود، إذا ذكر الملوك الصيد عند ذكره
الخناصر، زين الله بعدله الآفاق وملكه من خناصره
إلى خاصره، ورفع له في الملك عمادا، وجعل سماء
المعالي له مهادا، وذلل في ربقة الزمن قيادا، وجعل
السعادة على عاتقه نجادا، وملأ العيون منه مهابة
والقلوب ودادا، ووهب له من النعم ما لا يخشى معه
نفادا، والمقتضي لذلك أنه ورد علي من مقامه العالي
سؤال بسؤال من بعض الطلبة عليها جواب من بعض
الفقهاء ليقف عليها أقل العبيد، وعلى جوابه ويميز
خطأه من صوابه، وكنت إذ ذاك ملتبسا بلباس ألم
ملم يلتهب بلهيبها مني اللحم والدم، فكتبت على حسب
الحال، ما ألهمني الله تعالى من صواب المقال، وأخطره
٢٤٠

مني على البال، فلما أفقت من الحمى وأقلعت لا عادت
[illegible]
في أجزاء كتبه الباطن ... فكتبت نسخة الرسالة
إلى المقام الشريف لعلي أتلافى بعض ما فات، سائلا من
الله الكريم العفو والمعافاة، وصورة السؤال والجواب
مثبتة في آخر الكتاب، فقلت ولا حول ولا قوة على
طاعة الله تعالى إلا بتوفيق الله: قول الفقيه المجيب
عفا الله تعالى عنا وعنه أن لابن الخياط أن لا يأخذه
في الله لومة لائم قلت هذا أقلم في مقام الكبر والفخر
وتزكية النفس لأن هذه الصفة الشريفة من أشرف
صفات الأولياء المقربين، والأصفياء الصديقين
وقد نهانا الله تعالى في كتابه المجيد عن تزكية النفس
التي قد فطرها الله تعالى على الظلم والجهل الشديد
وكم ورد فيها من الوعيد لله وأول من زكى نفسه إبليس
الطريد، فجوزي بالطرد واللعن أبد الآبدين، وروينا
في الصحيحين عن زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنها
قالت سميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم سموها
زينب من زنابا العقرب على القول الأصح الأقرب
فصادم المفتي قول الله تعالى وقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم وافتتح المقال بتزكية نفسه لأن
٢٤١

١

صورة الورقة الأولى

الكبرى فيما نعتقده وندين الله به، وثم طايفة في
الغي يعظمون عليه النكير وربما يبلغ بهم الجهل
الى حد التكفير وما ذلك الا القصور افهامهم عن
ادراك مقاصد اقواله ومعانيها ولم تنل ايديهم لقصرها
الى اقتطاف مجانيها على نحت القوافي من معادنها
واعلى اذا لم تفهم البقر هذا الذي نعلم ونعتقده وندين
الله به في حقه والله سبحانه وتعالى اعلم
كتبه الملتجي الى حرم الله تعالى محمد
الصديقي عفى الله عنه وهو
صاحب القاموس
كتبه افقر الورى واحوجهم
الى الله تعالى
اسماعيل ابن الشيخ
محمد الكشي
غفر له ولوالديه
وللمسلمين
اجمعين
امين
م م
م
٢٩٣

صورة الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأنميان على سيد المرسلين، محمد وآله الأكرمين، وصحابته [المحبين]، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فهذه رسالة من أحقر الخلق الملتجئ إلى حرم الله تعالى محمد بن يعقوب الصديقي، صدَّق الله تعالى أقواله، لتكون أقواله وحسن أعماله وأفعاله، [....] إلى مولانا وخليفة الله في عصرنا، السلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك الناصر، سيد الخواقين، الطيب العناصر المعقود، إذا ذكر الملوك الصيد عند ذكره الخناصر، زَين الله بعدله الآفاق، وملكه من خناصره إلى خاصره، ورفع له في الملك عمادًا، وجعل سماء المعالي له مهادًا، وذلل في يده الزمن قيادًا، ومد السعادة على عاتقه نجادًا، وملأ العيون منه مهابة، والقلوب ودادًا، ووهب له من العمر ما لا يخشى معه نفادًا، والمقتضي لذلك أنه ورد على من مقامه العالي سؤال بسؤال من بعض الطلبة عليها جواب من بعض الفقهاء؛ ليقف عليها أقل العبيد، وعلي جوابه، ويميز خطأه من صوابه، وكنت إذ ذاك ملتبسًا بلباس أُم ملدم يلتهب بلهيبها مني اللحم والدم، فكتبت على حسب الحال، ما ألهمني الله تعالى من صواب المقال، وأخطره مني على البال، فلما أفقت من الحُمى، وأقلعت لا عادت ولا رجعت، وجدتني فيما سطرت قاصرًا، وظننتني في أجزاء كميت المساطر حائرًا، فكتبت هذه الرسالة إلى المقام الشريف لعلي أتلافى بعض ما فات، سائلًا من الله الكريم العفو والمُعافاة.

وصورة السؤال والجواب مثبتة في آخر الكتاب، فقلت ولا حول ولا قوة على طاعة الله تعالى إلا بتوفيق الله:

قول الفقيه المجيب، عفا الله تعالى عنا وعنه: آن لابن الخياط ألا تأخذه في الله لومة لائم.

قلت: هذا قام في مقام الكبر والفخر وتزكية النفس؛ لأن هذه الصفة الشريفة من أشرف صفات الأولياء المقربين، والأصفياء الصديقين، وقد نهانا الله تعالى في كتابه المجيد عن تزكية النفس التي قد فطرها الله تعالى على الظلم والجهل الشديد، وكم ورد فيها من الوعيد لله، وأول من زكى نفسه إبليس الطريد؛ فجُوزي بالطرد واللعن أبد الآبدين.

وروينا في الصحيحين عن زينب بنت أبي سلمة -رضي الله عنها- قالت: سميت بَرّة، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم، سموها: زينب**»[1].

من زنابة العقرب على القول الأصح الأقرب، فصادم المفتي قول الله تعالى وقول رسول الله ﷺ، وافتتح المقال بتزكية نفسه؛ لأن قوله: «آن له» إما أنه أراد أنه حل له ذلك الحال، وصار بهذه الصفة الشريفة، وإما أنه أراد أنه حل له ذلك الحال، وصار بهذه الصفة الشريفة، وإما أنه أراد الرد منه، وأنه أشرف على هذه المرتبة السنية، والمنزلة العلية، وقرب منها قربًا يقوم مقام الوصول، وكلاهما من باب التزكية ومدح النفس، ومن الفخر والكبر المحرم بإجماع المسلمين، ومصادمة لكلام رب العالمين، وكلام سيد

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٦٨٧).

المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى سائر النبيين، هذا دعواه.

ومن العجب أنه عالم من نفسه علم اليقين أنه ليس من أهل هذه المنزلة العليّة، لا قريبًا منها، فإنه متى أتاه لزم من أمير بل من جندي شهير، أو ذي جاه كبير، لكان له في ذلك الحال شأن شائن يخالف دعواه، والله سبحانه أعلم بسر العبد ونجواه.

ولو بسطت القول في هذه الزلة، وما على المزكي نفسه، وما ورد فيه من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار المروية عن الصحابة والتابعين، لما وسعه مجلد ضخم، بل مجلدات، وما يكون الفخر والكبر وتزكية النفس إلا من عدم معرفة نفسه الضعيفة الجاهلة، فإن من عرف نفسه رأى عيوبها ونقيصتها التي جبل عليها، وعلم أن التزكية نبع الغيوب والشرور.

وأما الخير فيها فمستحدث مستفاد من خارج، فإنها خلقت في الأصل ظالمة، قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢]، والظلم والجهل منبعًا لكل شر وقبح، كما أن العلم والعدل منبعًا لكل خير ومليح، فإن كان هذا حال الإنسان فأي عيب يفوته؛ ولهذا لم يذكر الإنسان في القرآن إلا مقرونًا بالعيب والذم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الزخرف:١٥].

وقال: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وقال: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا*إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا*وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج:١٩-٢١].

وقال: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات:٦].

وقال: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦- ٧].

وقال: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر: ٢-٣].

وقال: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

وقال: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [فصلت: ٥١].

وقال: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨].

وقال: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

وقال: ﴿يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥].

وقال: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] إلى غير ذلك من الآيات الواردة فيه.

وإذا كانت هذه صفاته بشهادة خالقه، فهو أبو العيوب والنقائص.

النَّقصُ فِي أَصْلِ الطَّبيعَةِ كَامِنٌ ... فَبَنُوا الطَّبيعةِ نَقصُهم لا يُجحدُ

أما من عرف نفسه أورثه ذلك بسطًا واسعًا لأهل العلم، واشتغل بعيبه عن عيوب غيره، ولم يبق فيه فراغ لعيب الناس؛ لأنه قد اطلع من نفسه على ماله شغل شاغل، ويرجى أن يكون داخلًا تحت الكلمة المأثورة: «طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس أو عن عيوب غيره»، ولا ترى أحدًا مُقِرًّا بعيوب الخلق والطعن فيهم إلا وهو من أكثر الناس عيوبًا، وأجهل الناس بعيوبه، وعُيِّر بها.

أحَـقُّ مَـنْ رَابَـتُ بظَهـرِ غَيْـبٍ عَلى عَيبِ الأنَـامِ أُولـو العُيـوبِ[1]

أما من أحسن الظن بنفسه فلا يرى لها عيبًا ونقصًا، بل فرط الجهل منه بنفسه، وحبه إياها يعميه ويصمه حتى يرى العيوب فيها محاسن، فحبك الشيءَ يُعمِي ويصم.

وهذا الضرب من الناس لا سبيل إلى إصلاح عيوبه؛ لأنه لا يرى العيب في نفسه عيبًا حتى يسعى في إصلاحه، ويجتهد في إزالته مشتغل حينئذٍ بعيب غيره، والإنكار على من لا سبيل له إلى إنكاره.

وأما من عرف نفسه وعيوبها شغله ذلك عن الاشتغال بعيوب غيره.

وكان تستقيم له العبودية؛ فإن العبودية لا تستقيم للعبد حتى يعرف نفسه، ويعرف آفاتها، وعيوبها ونقائصها، ومكامنها وبذلك تستقيم له العبودية، ويعلم أنه مسكين في مجموع، فقير في كل شيء إلى الله تعالى، مضطر في كل نفس إلى قوله: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة:٦].

ومتى عرف العبد نفسه عرف شقاوتها وسعادتها، وما الذي يشقيها ويسعدها.

ومن هنا ضلَّ أكثر الناس وأخطأ الطريق إلى معرفة النفوس ولذتها وبهجتها، وتباينت الطرق بهم أعظم تباين.

فمنهم: من ظنَّ أنه في مجرد العلم على اختلاف دواعيهم في أي علم، فظنت طائفة أنه في الفقه المجرد، وأن من حفظ «المهذب» أو «العزيز» بل «التنبيه» و«الوجيز» فقد بلغ الغاية القصوى.

---

(١) البيت في «الأغاني» (٢٠/ ١٣١٩٥)، ومعجم الأدباء (٢٣٤٤).

ومنهم: من ظن أنها في الجاه والرئاسة.

ومنهم: من ظنها في الغنى، وجمع الأموال.

ومنهم: من ظنها في مجرد العزلة والانقطاع عن الخلق.

وظنها طائفة في الأصوات المطربة والألحان اللذيذة.

وظنها طائفة في عشق الصور الحسنة مع الفناء في حبها.

وظنها طائفة في الصيت الحسن، وثناء الناس وحمدهم له.

وظنها طائفة في مجرد العمل من غير التفات إلى شيء من أحوال النفس والقلب، وكل هذه الطرق مغمورة لسالكيها، وليس في شيء منها سعادة النفس، ولا لذتها ولا نعيمها ولا نجاتها.

وسبب سلوك هذه الطرق جهلهم بأنفسهم وبأوصافها، ومن نفسه عرف أن هؤلاء كلهم بمعزل عن اكتساب ما تستعد به نفوسهم، وأن سعادة النفس بأمر وراء ذلك كله، وأن حياتها ونعيمها ولذتها بشيء آخر، وأكثر الخلق في غفلة لا يشعر به أحدهم حتى يفارق هذه الدار.

سَوفَ تَرى إذَا انجَلى الغُبَارُ ... أفَرَسٌ تحتَكَ أَم حِمَارُ[1]

---

(١) الرجز لبديع الزمان الهمذاني في ديوانه من قصيدة مطلعها:

وقُلتُ لَمّا احتفلَ المِضمارُ ... واحتفتْ الأسماعُ والأبصَارُ

ومن أعظم فوائد معرفة النفس: «**إنّ من عرف نفسه عرف ربه**»[(١)].

---

(١) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٣٤٣).

فائدة: أي من عرف صفات نفسه عرف صفات ربه على الضد منها، فمن عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالخطأ عرف ربه بالوفاء والعطاء.

وقيل: إنه من تعليق مستحيل على مستحيل؛ لأن معرفة نفسك وكيفيتها على ما هي عليه مستحيلة فكذلك معرفة الرب على ما هو عليه.

وذكر الشيخ أحمد بن غانم المقدسي في ذلك عشرة أوجه:

الأول: إن هذا الهيكل الإنساني لما كان مفتقرًا إلى مدبر ومحرك، وهذه الروح تدبره وتحركه عَلِمنا أن هذا العالم لابد له من محرك ومدبر.

الوجه الثاني: لما كان مدبر الجسد واحدًا وهو الروح علمنا أن مدبر العالم واحد لا شريك له في ملكه.

الوجه الثالث: لما كان هذا الجسم لا يتحرك إلا بإرادة الروح وبتحريكها له علمنا أنه تعالى مدبر لما هو كائن في كونه، لا يتحرك متحرك بخير أو شر إلا بتقديره وإرادته وقضائه.

الوجه الرابع: لما كان لا يتحرك شيء في الجسد إلا بعلم الروح وشعورها بها، لا يخفى على الروح من حركات الجسد وسكونه شيء علمنا أنه ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**﴾ [يونس: ٦١].

الوجه الخامس: لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء أقرب إلى الروح من شيء، بل هو قريب إلى كل شيء في الجسد علمنا أنه قريب إلى كل شيء، ليس له شيء أقرب إليه من شيء، ولا شيء أبعد عنه من شيء لا بمعنى قرب المساحة؛ لأنه منـزّه عن ذلك.

الوجه السادس: لما كان الروح موجودًا قبل وجود الجسد، ويكون موجودًا بعد عدم الجسد علمنا أنه سبحانه وتعالى موجود قبل كون خلقه، ويكون موجودًا بعد فقد خلقه مازال ولا يزال وتقدس عن الزوال.

الوجه السابع: لما كان الروح في الجسد لا نعلم له كيفية علمنا أنه مقدس عن الكيفية. =

وهذا ليس من الأحاديث النبوية على أن أكثر الناس يجعلون هذا حديثًا عن النبي ﷺ، ولا يصح هذا أصلًا[١]، وإنما يروى في الإسرائيليات: «يا إنسان، اعرف نفسك تعرف ربك»، والتأويلات الثلاث لهذا الكلام معروفة مشهورة، فطوبى لعبد أقبل على الاجتهاد في تحصيل معرفة نفسه، وشغله ذلك عن التعرض لعيوب الناس، والدخول فيما لا يعنيه، وعن التلبس بمقالات تضره في دينه ودنياه ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣].

قال الفقيه: وإن كُتب ابن العربي لا يحلُّ تحصيلها، ولا قراءتها، ولا إسماعها.

أقول وبالله التوفيق: هذا قولٌ قبيحٌ، وجهلٌ صريحٌ لا يجوز النطق به لمسلم، ولا يحلُّ تسطيره له إلا إذا وقف على كتب ابن العربي، واطلع على مضمونها ومكنونها، وعلم وتحقق أن جميعها مخالف للكتاب والسنة، وأن كتب الشيخ محيي الدين ابن العربي - رحمه الله تعالى - تنيف على أربعمائة مصنف، منها: «التفسير الكبير»، ومنها: «التفسير الصغير» في ثمانية أسفار، وهي على طريقة المفسرين المحققين ليس فيه ما ينكر عليه،

=

الوجه الثامن: لما كان الروح في الجسد لا يعلم له أينية علمنا أنه تقدس عن الأينية فلا يوصف بأين ولا كيف.

الوجه التاسع: لما كان الروح في الجسد لا يحس ولا يمس ولا يجس علمنا أنه سبحانه وتعالى منزه عن الحس والجس والمس واللمس.

الوجه العاشر: لما كان الروح في الجسد لا يُدرك بالبصر، ولا يُمثل بالصور علمنا أنه لا تدركه الأبصار، ولا يمثل بالصور والآثار، ولا يشبه بالشموس والأقمار، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] انتهى.

(١) قلت: وإن لم يثبت سندًا، فقد صح عند أهل الحقائق كشفًا.

وكتاب «الرياض الفردوسية في الأحاديث القدسية» ليس فيها سوى الأحاديث الصحيحة التي رواها سيدُ المرسلين صلوات الله وسلامه عليه عن ربِّ العالمين.

ومنها: كتاب «المعلىّ على المحلىّ» وهو كتاب في الفقه المجرد مختصر كتاب الإمام أبي محمد بن حزم، وهو من أحسن كتب الفقه المجرد، بديعٌ، أظن أنه لم يصنف مثله في حسن الاختصار مع الإحاطة على مذاهب السلف والخلف من الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين، وتبع أتباع التابعين إلى زمانه، وهل يجوز لمسلم أن يقول: إن هذه الكتب لا يحل تحصيلها، ولا قراءتها، ولا إسماعها؟

ومن حرم تحصيل هذه الكتب، فقد حرم الاشتغال بعلوم الشريعة، وقراءة كتب الأحاديث الربانية، وقراءة كتب الفقه، وكتبها وإسماعها، أهذا كفر صراح، وزندقة بواح أم لا؟ أعاذنا الله تعالى من شقائه، وهذه الفتاوى الفاضحة، وعار هذه القبائح الواضحة.

وكم للشيخ -رحمه الله- من تصنيف شريف، وتأليف منيف اشتغل العلماء الأعلام بتحصيلها، وقراءتها، وروايتها، فمن أفتى بحرمة تحصيلها وقراءتها؛ فقد باء بإثم عظيم، أعاذنا الله من جهل الجاهلين، وزيغ الزائغين.

قوله: «إن من اعتقد دين الله... إلى قوله: يجب الإضراب عنها» هذا من أبطل الكلام، لأنا قدمنا أن من كتب الشيخ رحمه الله تعالى ما يشتمل على متون الأحاديث، ومنها ما يحتوي على الفقه المجرد، ولا يحل لمسلم أن يقول: إنه يجب الإضراب عنها، بل أقول: إنه يجب الإضراب عن قول هذا القائل وقبوله.

ثم قال الفقيه المفتي: وهي مخالفة لشريعة سيد المرسلين، ولم يكتب ﷺ!

قوله: وهي مخالفة، الضمير عائد على كتب الشيخ رحمه الله، وقد قدمنا أنها أحاديث، وفقه، وشيء لا يسع إنكار المنكرين، وقوله هذا كذب وبهتان.

وأما ترك الصلاة على النبي ﷺ هنا، وفي آخر جوابه خلطٌ من العالم بمذاهب العلماء بأنهم رحمهم الله اختلفوا في وجوب تكرار الصلاة عليه ﷺ عند ذكر اسمه وتكرره.

فقال الإمامان الأجلان أبو جعفر الطحاوي إمام الطائفة الحنفية في الحديث والفقه، والإمام ابن عبد الله الحليمي الإمام الجليل القدوة المجتهد: يجب الصلاة على النبي ﷺ كلما ذُكر، ولو ذُكر ألف مرة في مجلس واحد.

واحتجا رحمهما الله تعالى هما ومن قال بقولهما من العلماء بحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكرت عنده فلم يصلِّ لي**»[1] صححه الحاكم في كتابه «الصحيح المستدرك على الصحيحين».

وروى هذا الحديث الإمام أبو عيسى الترمذي أيضًا، وقال: حديث حسن، ورَغِمَ أَنْفُه: دعاء عليه، وذم له، وتارك المستحب لا يذم.

واحتجا أيضًا بحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «**أنه صعد المنبر، فقال: آمين، آمين، آمين، فقيل: يا رسول الله! ما كنت تصنع هذا؟ فقال: قال لي جبريل عليه السلام: رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دخل عليه رمضان ولم يغفر له، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف رجلٍ أدرك أبويه أو أحدهما ولم يدخل الجنة، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف رجلٍ ذكرت**

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٥٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٨٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٤).

عنده فلم يُصلِّ عليك، فقلت: آمين»[1] رواه ابن حبان في صحيحه.

وقال فيه: «**مَن ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليك فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل آمين، فقلت: آمين**»[2]، وهذا حديث على شرط البخاري ومسلم.

وقد رواه أيضًا جابر بن سمرة، وكعب بن عجرة، وأنس بن مالك، ومالك بن الحويرث، وكل منهم حجة مستقلة، ولا ريب أن الحديث بتلك الطرق المتعددة يفيد الصحة.

واحتج أيضًا من قال: بوجوب تكرار الصلاة عند ذكره ﷺ، رواه الإمام النسائي عن محمد بن المثنى عن أبي داود عن المغيرة بن مسلم عن أبي إسحاق النسفي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «**البخيل مَن ذكرت عنده فلم يصل عليّ، فإنه من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشرًا**»[3]ﷺ، وهذا حديث صحيح، وظاهر الأمر للوجوب.

واحتجوا أيضًا بما رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عليّ بن حسين بن عليّ بن حسين عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن البخيل مَن ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ**»[4] رواه الحاكم في صحيحه والنسائي والترمذي في كتابيهما.

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٩٧٨) بنحوه.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٨٨).

(٣) رواه النسائي في «الكبرى» (٦/ ١٩)، وأبي يعلى في مسنده (٦/ ٧٥).

(٤) رواه النسائي في «الكبرى» (٥/ ٣٤)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٨٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٤) بنحوه.

قال ابن حبان: هذا أشبه شيء روي عن الحسين بن عليّ، وكان الحسين ﷺ حين قُبض النبي ﷺ ابن سبع سنين وابن ست سنين، وأشهد إذا كانت لغته العربية يحفظ الشيء بعد الشيء.

وروى أبو نعيم الحافظ بسنده عن عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله ﷺ قعد إلى أبي ذر أو قعد أبو ذر ﷺ فذكر حديثًا طويلًا، وفيه قال رسول الله ﷺ: «**إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ**»[1].

وقال قاسم بن أصبع ثنا محمد بن إسماعيل الترمذي ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك قال: ثنا جرير بن حازم قال: سمعت الحسن يقول : قال رسول الله ﷺ: «**بحسب المؤمن من البخل أن أُذكر عنده فلا يصلي عليّ**»[2]

ورواه الحافظ سعيد بن منصور من أئمة الحديث، ولفظه: «**كفى به شحًا أن أُذكر عند رجلٍ فلا يصلِّ عليّ**»[3] ﷺ، وأثبت أنه بخيل، والبخيل صفة ذم، فوجه الاستدلال من وجهين:

أحدهما: أن تارك المستحب لا يستحق اسم الذم، قال الله تعالى: ﴿**وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ*الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ**﴾ [الحديد:٢٣،٢٤] فقرن البخل بالاختيال والفخر، والأمر بالبخل، وذم على المجموع؛ فدلَّ على أن البخل صفة ذم.

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٤٠٤)، و الهيثمي في زوائد الحارث (٢/ ٩٦٣).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥١٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٣٥).

وفي الحديث النبوي: «**ونصف داءٍ أدوأ من البخل**»(1).

الثاني: أن البخيل مانع ما وجب عليه، ومن أدى الواجب عليه كله لا يسمى بخيلًا، وإنما البخيل مانع ما يستحق عليه إعطاؤه وبذله.

واحتجوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقالوا: الأمر المطلق للتكرار، ولا يمكن أن يقال: التكرار هو في كل وقت؛ فإن الأوامر المكررة إنما تكرر في أوقات خاصة، أو عند شروط، أو عند أسباب يقتضي ذكرها وتكرارها، وليس وقت أولى من وقت، فتكرار المأمور بتكرر ذكر النبي ﷺ أولى لما ورد من النصوص، فهنا ثلاث مقالات:

الأولى: أن الصلاة مأمور بها أمرًا مطلقًا، وهذه معلومة.

الثانية: أن الأمر المطلق يقتضي التكرار، وهذا مختلف فيه، فنفاه طائفة من الفقهاء والأصوليين، وأثبتته طائفة، وفرقت طائفة بين الأمر المطلق والمعلق بشرط أو بسبب أو وقت، فأثبت التكرار في المعلق دون المطلق، والأقوال الثلاثة في مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما، ورجحت هذه الطائفة التكرار بأن: عامة أوامر الشرع على التكرار كقوله تعالى: ﴿**آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ**﴾[الحديد:٧].

وقوله: ﴿**ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقوله: ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ [المائدة:٩٢].

وقوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ**﴾ [المائدة: ٩٦].

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٥٩٣).

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النور: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله: ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقوله: ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ [النساء: ٥].

وقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦].

وقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وفي القرآن أمثال هذا لا ينحصر، وإذا كانت أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ على التكرار حيث وردت إلا نادرًا.

اعلم: أن هذا عرف خطاب الله تعالى ورسوله ﷺ للأمة، والأمر وإن لم يكن في

لفظه المجرد ما يؤذن بتكرار، ولا هوى فلا ريب، ولا مرية أنه في عرف خطاب الشارع للتكرار، فلا يُحمل كلامه إلا على عرفه، والمألوف من خطابه، وإن لم يكن ذلك في أصل الوضع معروفًا في اللغة، وهذا كما قلنا: إن الأمر يقتضي الوجوب، والنهي يقتضي الفساد، فإن هذا معلوم من خطاب الشارع، وإن كان لا تعرض لصحة المنهي عنه، ولإفساده في أصل الوضع اللغوي.

المقالة الثالثة: أنه إذا تكرر المأمور به؛ فإنه لا يتكرر إلا بسبب أو وقت، وأولى الأسباب المقتضية لتكراره ذكر اسمه لإخباره ﷺ: بِرَغِمَ أنف من ذُكر عنده ولم يصل عليه، وتسميته بالبخيل، والاستدلال عليه بالبخل.

قالوا: ومما يؤيد ذلك: أن الله سبحانه أمر عباده المؤمنين بالصلاة عليه عقيب إخباره لهم بأنه تعالى وملائكته يصلون عليه، ومعلوم أن هذه الصلاة من الله تعالى وملائكته لم تكن مرة واحدة ثم انقطعت، بل هي صلاة متكررة ذكرها يعلمنا بها فضل النبي ﷺ، وشرفه وعلوّ منزلته عنده، ثم أمر المؤمنين بها، فتكرارها في حقهم أحق وأجدى وأوكد وأولى لأجل الأمر.

قالوا: ولأن الله تعالى أكد الصلاة بالمصدر الذي هو التسليم، وهذا يقتضي المبالغة ولزيادة الكمية، وذلك بالتكرار، ثم إن لفظ الفعل المأمور به يدل على الكثير، وهو: صلوا، وسلموا، فإن الفعل المشدد يدل على الكثير، وتكرار الفعل كقولك: كسر الخبز، قطع اللحم، بين الأمر، ونحو ذلك.

ثم إن الأمر بالصلاة على النبي ﷺ إنما هو في مقابلة إحسانه إلى الأمة المرحومة بتعليمهم وإرشادهم وهدايتهم، وما حصل من الخير لهم ببركته من سعادة الدنيا

والآخرة، ومعلوم أن مقابلة هذا النفع العظيم لا يحصل بالصلاة على النبي ﷺ مرة واحدة في العمر، بل لو صلَّى العبد عليه بعدد أنفاسه لم يكن موفيًا لحقه، ولا مؤديًا شكر نعمه، فجعل ضابط هذه النعمة بالصلاة عليه عند ذكر اسمه ﷺ.

قالوا: ولهذا أشار النبي ﷺ إلى ذلك بتسميته: بخيلًا؛ لأن من أحسن إلى العبد الإحسان العظيم، وحصل منه الخير العميم، ثم إنه يُذكر عنده، ولا يثني عليه، ولا يبالغ في حمده ومدحه، وفي الثناء عليه وتمجيده، ويبدي ذلك ويعيده، ومع ذلك يعتذر من التقصير في القيام بشكره وحقه؛ عُدّ بخيلًا لئيمًا، فكيف بمن أدنى إحسانه إلى العبد يزيد على أعظم أنواع إحسان المخلوقين بعضهم لبعض، فهو الذي حصل بإحسانه إلى العبد خير الدنيا والآخرة ،ونجا من شر الدنيا والآخرة، وهو الذي لا تتصور القلوب حقيقة نعمه وإحسانه، فضلًا عن أن يقوم بشكره.

أليس هذا المنعم المحسن المتفضل أحق وأولى بأن يعظم، ويثنى عليه، ويستفرغ في حمده ومدحه الواسع إذا ذُكر بين الملأ؟!

فلا أقل أن يصلي عليه كلما ذُكر اسمه مرة واحدة.

قالوا: ولهذا دعا ﷺ برغم أنفه، وهو أن يوصف بالرَّغام أنفه وهو التراب؛ لأنه إذا تكرر اسمه عنده ولم يصل عليه؛ استحق أن يذله الله، ويلصق أنفه بالتراب.

قالوا: وقد أخبر النبي ﷺ أنه من ذُكر عنده النبي ﷺ ولم يصل عليه خَطَأ طريق الجنة، وهذا الحديث رواه البيهقي ولفظه:

«**مَن ذُكرتُ عنده فنسي الصلاةَ عليَّ خطئ طريق الجنة**»[١].

وعند الطبراني: «**مَن نسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة**»[٢] وهو من مراسيل محمد بن الحنفية، وله شواهد تدل على صحة الحديث.

ولولا أن الصلاة واجبة عند ذكره لم يكن التارك لها مخطئًا طريق الجنة.

وأيضًا: رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من ذكرت عنده، ولم يصل عليَّ فقد جفاني**»[٣]، ولا يجوز لمسلم جفاءه ﷺ.

وروى أبو سعيد بن الأعرابي قال: ثنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، قال: رسول الله ﷺ:

«**من الجفاء أن أُذكر عند الرجل فلا يصلّ عليَّ ﷺ**»[٤].

ثم إن جفاءه منافٍ لكمال حبه، وتقديم محبته على النفس والأهل والمال، وأنه أولى بالمؤمنين من نفسه، فإن العبد لا يؤمن حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه، ومن ولده ووالده والناس أجمعين، وهذا ثابت في الصحيح:

«**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[٥].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٢٦).

(٢) رواه ابن ماجه (١/ ٢٩٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٢٨٥).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٣٤).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٢١٧).

(٥) رواه البخاري (١/ ١٤)، ومسلم (١/ ٦٧).

ومعلوم أن جفاءه ﷺ محرم، بل كفر، ولما كانت محبته فرضًا، وكان توابعها من الإجلال والتعظيم، ومن الطاعة له، والتقديم على النفس، وإيثاره بنفسه بحيث نفى المسلم نفسه فرضًا؛ كانت الصلاة عليه ﷺ إذا ذُكر من لوازم هذه المحبة وتمامها إذا ثبت بهذه الوجوه وغيرها وجوب الصلاة عليه ﷺ على من ذُكر عنده، فوجوبها على الذاكر نفسه أولى.

ونظير هذا أن سامع السجدة إذا أُمر بالسجود إما وجوبًا أو استحبابًا على القولين، فوجوبها على التالي أولى، ثم إن الفقيه لو علم بهذا القول، وبجلاله قدر قائله، والأدلة الناطقة الساطعة التي ذكرناها آنفًا على وجوب الصلاة على من ذكر عنده النبي ﷺ أو ذكره هو أو كتبه لما فاتته هذه الفضيلة، وخرج من خلاف العلماء لاسيما من خلاف واضح دليله لائح سبيله، والله سبحانه أعلم.

قال الفقيه: وفي الحديث النبوي: «**مَن أحدث في ديننا ما ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1].

وليت الفقيه سكت عن هذا الاستدلال، فقد قوَّل النبي ﷺ عبارة لم يقلها، ولم ينطق بها.

وقد صح عن النبي ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**»[2] رواه أربعون صحابيًّا، وقيل: مائتان، قاله بعض الحُفَّاظ.

وكان الأصمعي يقول: عليكم بالنحو، فإني أخشى عليكم أن تلحنوا في شيء

(١) رواه البخاري (٢/ ٩٥٩).

(٢) رواه البخاري (١/ ٤٣٤)، ومسلم (١/ ١٢).

من أحاديث رسول الله ﷺ فتدخلوا في وعيد قول النبي ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**»[1].

هذا فيمن يلحن بمرفوع ومنصوب ونحوه، فكيف بمن يقلب ظهرًا لبطن؟!

هذا الحديث في الصحيحين، وفي أكثر كتب الحديث، ولفظه ﷺ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه؛ فهو رد**»[2]، هكذا في صحيح البخاري، وسائر الكتب المسندة بلفظ «منه»، ووقع عند أبي محمد البغوي في بعض نسخ «المصابيح» «فيه» بدل «منه».

فانظر الآن كم بين ما صح وثبت، وبين ما رواه وعزاه إلى النبي ﷺ من تغير الألفاظ، فليته سأل إذ لم يحفظ، وراجع كتب الحديث، فالبخاري قريب من الفقيه غير بعيد، فلو نظره ثُمَّ استدل بما صح، سلم من الوعيد، اللهم لا تجعلنا من المتساهلين في أمر الدين، والمتهاونين فيما يلزمنا تعلمه وضبطه على المشايخ المسندين.

قول الفقيه: نحو «الفتوحات» و«الفصوص» وما جرى مجراهما.

أوجب الفقيه على مولانا السلطان خلّد الله سعده ونصره ومجده، أمرًا مجهولًا، وفريضة لا يعرف معناها، ولا يعلم مغزاها، وما الذي يجري مجراها، هل أراد بذلك كتب الصوفية كلها دقها وجلها، أو كتب الشيخ محيي الدين بأسرها، فليته أوضح لمولانا السلطان أيده الله، وأيد سعده، الكتب التي يجري مجراها، لتقدم على الواجب، وقلبه على ثلجٍ من اليقين.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وأما القول المجهول، واللفظ المعمم المرذول، فما له عند ذوي العقول محل من القبول، ثم إيراد هذه الكلمة المكلومة المثلومة في الفتوى، التي يشار بها، ويصار إليها، ويعتمدها في الدين عامة الناس، لا تليق بالعلماء الأعلام، بل يقبح ذلك على ذوي النُّهى والأحلام، فليسأل المفتي عن تعيين ذلك؛ ليسلم المستفتي بعده وضوحه عن الوقوع في المهالك.

قال الفقيه: فمن أين عُلم أن دعواه المذكور يخترق السبع الطباق.

قلت: هذا إنكار بارد، وإيراد غير وارد، وهل المسلم ينكر قبول دعوة الداعين؟ لاسيما دعوة الأولياء المقربين، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة:١٨٦].

وسبب نزول الآية ما روي أن أعرابيًّا أتى النبي ﷺ وقال: «أقريبٌ ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه، فنزلت: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦]»[(١)].

وهذا تقرير لذكر القرب، ووعد بإجابة الداعي، فليستجيبوا لي: بالبدار إلى الطاعة، كما أجبتهم إذا دعوني لمهاتهم.

وقد صح عن النبيِّ ﷺ: «**يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة**»[(١)].

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٧٧).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٩٦).

وقال ﷺ: «**اتقِّ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[١].

وكان الشيخ محيي الدين مظلومًا من أمثال هؤلاء المفتين، ومن الذين كانوا يبدعونه ويشنعون عليه، وهو من كبار الصديقين، فهل تتعجب إذا اخترقت دعوته السبع الطباق؟!

وثبت في السنن عن النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد يدعو إلا آتاه الله ما يسأل، أو كف عنه من السوء مثله؛ ما لم يدع بإثم أو قطعية رحم**»[٢].

وقال ﷺ: «**إن ربكم حَيي يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفر**»[٤].

وقال ﷺ: «**ثلاثةٌ لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصُرنّك ولو بعد حين**»[٥].

وقد ذَكرَ الفقيه أعجب من هذا فقال: والأنبياء صلوات الله عليهم كانوا خائفين من ألا يستجاب دعاؤهم، هذا قول خلف يرده عليه الأحاديث المتقدمة، والأنبياء صلوات الله عليهم كانوا من الإجابة على يقين، ويأمرون غيرهم بذلك.

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٩٤).

(٢) رواه البخاري (٢/ ٨٦٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٩)، والترمذي (٥/ ٥٦٦).

(٤) رواه ابن ماجه (٢/ ١٢٧١)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٦٠).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٥)، والترمذي (٤/ ٦٧٢).

قال النبي ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب من قلب غافلٍ لاهٍ**»[(١)].

فمن أمر غيره أن يكون موقنًا بالإجابة إذا دعاه، كيف لا يكون هو بهذه الصفة!

وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**اللهم إني أتخذ عندك عهدًا لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**رُبّ أشعث أغبر ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء ابن مالك**»[(٣)]، فظن الفقيه أن الأنبياء كانوا أنزل درجة من البراء بن مالك، أليس النبي ﷺ إذا دعا لأحدٍ بالمغفرة حقق أصحابه أنه يستشهد قريبًا، فقالوا: هلا أمتعتنا به يا رسول الله!.

وأما قول النبي ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة**»[(٤)]، أراد بذلك الدعوة العظيمة في الأمور العظام لقوله ﷺ:

«**وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة**»[(٥)]، وهي تأويله إن شاء الله،

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٥١٧)، والطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢١١).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٨).

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٦٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٤).

(٤) رواه البخاري (٥٨٢٩)، ومسلم (٢٩٦).

(٥) رواه البخاري (٧٠٣٦)، ومسلم (٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨).

«**من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**»[١].

هذه الدعوات الخاصة بالأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- هي الدعوات العظيمة التي لا يوازيها شيء من دعوات غيرهم.

وقد قال النبي ﷺ: «**من فُتح له باب الدعاء فُتح له باب الرحمة**»[٢].

قوله: ومكث النبي ﷺ يدعو على أصحاب بئر معونة، يشير الفقيه إلى أن النبي ﷺ دعا شهرًا، ولم يستجب له، وهذه من التوهمات الفاسدة، والظنون الكاسدة؛ لأنه ﷺ كان يدعو عليهم باللعن ومضاعفة العذاب، وكل ذلك كان مستجابًا مقبولًا.

وفي قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[آل عمران:١٢٨] يعني: فيما قضاه الله وأبرم الحكم، ولم يأذن في الدعاء لك، فلا تصر على الدعاء فيه، وفي مثل هذا قال: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾ [التوبة:٨٠].

فهذا وأمثاله لا يوقع في أوهام الجاهلين أن دعوات النبي ﷺ كانت عن الاستجابة بمعزل إلا نادرًا، ولم يكن القبول لدعائه حاضرًا، أسأل الله السلامة من الأوهام الباطلة، والظنون الفاسدة العاطلة.

قوله: «ليس فيها» أي: في كتب ابن العربي إلا إيهام الإطلاع إلى آخره، هذا أيضًا من المقالات الباطلة، والأكاذيب الظاهرة، فإن كتب الشيخ تحتوي على أكثر من عشرة آلاف حديث صحيح، وغير ذلك من الكتاب العزيز، وكلام الأولياء من

---

(١) رواه البخاري (١١٨٠)، ومسلم (١٩٨).

(٢) رواه الترمذي (١١/ ٤٥٩) بنحوه.

الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين، فكيف يسع لمسلم أن يقول: ليس في كتبه إلا إيهام الاطلاع؟ أما يستحي الإنسان من ربه في اطلاع القول بمثل هذه البواطل!

قوله: «لينال بذلك أفضل المراتب».

قد تقدم أن من كتب الشيخ ما هو مجرد الأحاديث النبوية، ومنها ما هو متون الأحاديث القدسية، ومنها كتب الفقه وأحكام الشريعة المطهرة، وبيان مذاهب الأئمة المجتهدين، فكيف ينال الإنسان بمحوها أفضل المراتب، أن يقع في أهوال المعاطب؟

قوله: «ويجب الإنكار على من أراد إظهارها».

هذا كلام من لا يعرف معنى الإرادة، فإن الإرادة أمرٌ خفي قلبي لا يعلم وجودها وعدمها إلا ربها وخالقها، فبأي وجه يوجب المفتي على سلطان المسلمين، وخليفة الله في العالمين، نصره الله تعالى، الإنكار على العباد، وعلى ما في قلوبهم، ويجعله عاصيًا في الله تعالى إذا لم يرتكب هذا المحال، فإن ترك واجبًا فقد عصى.

ما هذا إلا جرأة على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ، وعلى سلطان المسلمين، وإمام العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الفقيه: فلقد قضيت العجب من تصنيفه كتابًا أن الرضا أمر قلبي غيبي لا يعلم به إلا علام الغيوب، ومن زعم أنه يعلم ما في قلوب العباد من الرضا والإرادة والمحبة وأضدادها؛ فقد ادعى علم الغيب، وأشرك بالله تعالى، وشاركه في علمه المختص به، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

قوله: «وهو من غلاة الصوفية».

قلت: هذا من أقبح العبارات الشنيعة، فإنه جعل الصوفية طائفة في الضلال طائفة، غير أنه لم يبلغ الكفر منهم إلا غلاتهم، كالشيخ محيي الدين العربي، هكذا أطلق، ولم يعلم أن الصوفية سادات العالمين، وصفاوة الخلق أجمعين، وطريقتهم هي الصراط المستقيم، ودينهم هو الدين القويم.

وأول طوائف الصوفية: أصحاب الصُفة الذين خصهم الله على لسان نبيه بالعناية والهداية والرعاية والحماية والكفاية، ومنحهم كل منحة سنية، ودرجة عالية، وكان إمامهم وقدوتهم، ومرشدهم سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين.

كان شيخنا مجتهد زمانه، وعالم عصره وآوانه، تقي الدين علي بن الكافي السُبكي قدس الله تراه يقول: طريق الصوفية هي طريق الرشاد، التي كان عليها السلف الماضون، إليها يستدرون، وعليها يعتمدون، ولكنه صعب.

أنشدني قاضي القضاة في كتابه:

تنازَعَ النّاسُ في الصُّوفيِّ واختلَفوا ... قِدْمًا وظَنُّوهُ مُشتَقًّا مِنَ الصُّوفِ

ولستُ أمنحُ هذا الاسمَ غيرَ فتىً ... صافي فصوفِيَ حتَّى لُقِّبَ الصُّوفي[1]

أما قوله: «مسلك صعب»، فإنه يشير إلى أنه طريق الجنة.

---

(١) البيتان من البسيط، وهما لأبي الفتح البستي في «زهر الآداب وثمر الألباب» للحصري القيرواني ص (١٦٩٩).

ففي الحديث النبوي: «**حُفت الجنة بالمكاره**»[(١)]، وأفضل الأعمال أحمزها، وأجرك مشقتك.

والصوفية -نفع الله تعالى بهم- يختارون من الأعمال والطاعات والعبادات أشقها وأصعبها؛ لأنهم يجتهدون على الخروج من خلاف العلماء، حتى يكون مجمعًا عليه إن أمكن، ولا يخفى ما في هذا من الصعوبة، ولا يطيقها إلا من خصه الله بالعناية، وكمال التوفيق، فكيف يسع لمسلم أن يتعرض للطعن عليهم، ونسبة الغلو إليهم، والاستخفاف برفيع قدرهم، والإشارة بالكناية إلى ضعف مذهبهم، وحقارة مطلبهم.

ثم إن أكابرهم المحققين غلاة، ولا يطلق الغلاة في الاصطلاح العرفي إلا على من يبالغ حتى يبلغ فيما هو بصدده إلى حد الكفر، مثل ما يقال: فلان من غلاة الرافضة، فيُعلم من ذلك أن مذهب الرافضة مذهب مذموم، وأن الرافضة يطعنون على الشيخين أبي بكر وعمر، ويفضلون عليًّا عليهما -رضوان الله تعالى عنهم أجمعين- وغلاتهم من يبلغون حد التكفير، فيقولون: إن أبا بكر وعمر ما آمنا بالله طرفة عين، فجعل أكابر المشايخ الصوفية غلاة، ليس من شأن من له دين مستقيم.

ولو اقتضى الحال البسط لبلغت في ذكر مناقب الصوفية، وما منحهم الله تعالى من جلالة الأقدار، وتسفيه من تعرض لهم بنوع من الإنكار مجلدات، لكنها رسالة مبنية على الاختصار، أعاذنا الله تعالى من شرور الأشرار، وسلك بنا سبيل عباده الأخيار الأبرار.

قوله: «وليس يبلغ عشر عشر الحلاج»، هذا أيضًا رجمُ بالغيب، وحكم على

(١) رواه مسلم (٥٠٤٩).

أمر لا يعلم به إلا الله تعالى، والمتفقه الذي لم يخط خطوة في طريق الصوفية، ولا سلك مسلك فقير من فقرائهم يومًا، يسوغ له أن يحكم بين سادات الصوفية بالمفاضلة والأفضلية، ومن أين علم الفقيه أن الشيخ لم يبلغ عشر عشر الحلاج؟

هذا لا يمكن القول به إلا لمن علم مقدار الرجلين، ومحلهما عند الله تعالى علم اليقين، ثم قاس ما بينهما بميزان عدل، وعلم علم اليقين أنه ما بلغ أحدهما عُشر عُشر الآخر، أو بلغ وأقل وأكثر، اللهم احفظنا، واحفظ لساننا عن النطق بالمقالات المحالات، والاستناد فيما يفوه به إلى فاسد الخيالات.

قال الفقيه: واعتقد ابن العربي أن الرياضة إذا كملت اختلط ناسوت صاحبها بلاهوت الله تعالى، وهو مذهب النصارى.

قلت: هذا كلام من هو بمعزل عن معنى كلام الشيخ، ولم يفهم مقصده ومغزاه، ولا مراده ومعناه، وهذا الوهم إنما حصل له لما ذكر الشيخ معنى قول النبي ﷺ روايةً عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها**»[1].

ففهم الشيخ -رحمه الله تعالى- من هذا الحديث العظيم ما لا يفهمه عموم الناس، بل وكثير من أهل الخصوص، وللناس في فهم معاني هذا الحديث، وسائر الأحاديث والكلام الرباني مراتب سبع:

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢١).

الأولى: هي المخصوص باللطيفة القالبية، التي يفهمها السالك الواصل إلى غيب اللطيفة القالبية المسمى بغيب الجسد.

والثانية: مخصوصة باللطيفة النفسية التي يفهمها السالك الواصل إلى غيب النفس.

والثالثة: مخصوصة باللطيفة القلبية التي يفهمها السائر الواصل إلى غيب القلب.

والرابعة: مخصوصة باللطيفة السرية التي يفهمها السائر الواصل إلى غيب السر.

والخامسة: مخصوصة باللطيفة الروحية التي يفهمها الطائر الواصل إلى غيب الروح.

والسادسة: مخصوصة باللطيفة الخفية التي يفهمها الطائر الواصل إلى السواد الأعظم والغيب الخفي.

والسابعة: مخصوصة باللطيفة الخفية التي يفهمها المجد الواصل إلى غيب الحق المحيط بالغيوب.

والشيخ محيي الدين -رحمة الله عليه- إنما تكلم في معنى هذا الحديث القدسي من هذه المنزلة المخصوصة باللطيفة، ولا يفهم معنى كلامه في هذا المحل إلا من له من هذه المنزلة نصيب، ومن هذا المورد شرب، والمعمي الغوي المسكين المحروم، يأخذ من ظاهر هذا الكلام ما لا يسعه عقله، ولا يوافق إدراكه، فيجعله كمذهب النصارى، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

والأولى بالعاقل المُنصف إذا عجز عن إدراك مقاصد العارفين في مقالاتهم، أو لم يجد له نصيبًا من منيف مقاماتهم، وشريف حالاتهم، أن يقف عند حده، ويكسر بهم الملام بفَلِّ حده.

قال الفقيه: ولو نظر السادة الصوفية في التحقيق؛ لكانت كتب حجة الإسلام، وكتب السهروردي كافية لهم.

قلت: هذا من التشنيع والتنقيع البالغ على السادة الصوفية، بأنه لا نظر لهم في التحقيق، وأنهم من أجهل فريق، ولا يعرفون النافع من الناقع، ولا يميزون بين النافع والناقع، وإذا كانت الصوفية السالكون المحققون العارفون عنده بهذه المثابة، التي لا يعرفون ما يضرهم ويغيرهم، وما إلى طريق النجاة يجرهم، مع شدة اجتهادهم، وكمال أفضالهم، فمن أين وصل حال الفقيه إلى أن يهديهم إلى نجاتهم، أو يعيب على تضاعف مزاجهم؟

وقول الفقيه: وكتب السهروردي، فيه ترك أدب، أما صلح شيخ شيوخ العارفين، وأستاذ سادة السالكين، ومن لبس لباس الولاية، من نظره طوائف لا يحصيهم إلا رب العالمين أن يذكر باسمه أو لقبه، ويراعى في ذلك طريق أدبه، ولكن ربما عد الفقيه تعظيم الصوفية عارًا، أو حسب تكريم المشايخ على المتفقهة شغارًا.

قال الفقيه: وأما قول مولانا مجد الدين: إن ثم طائفة في الغي، طائفة يعظمون النكير، ويبلغون به حد التكفير.

يشير الفقيه: إلى قولي هذا في جواب السؤال الذي ورد عليَّ من بعض المشايخ يسأل عن الشيخ محيي الدين بن العربي، وكتبه، وما قولي فيه، فذكرت أن الناس قد

اختلفوا في أمره على ثلاث طرائق: فبعض أهل الظاهر ممن لا حظَّ له في مشرب المحققين أصلًا عظم فيه النكير، وجماعة من الصالحين توقفوا عن القطع بوجه من الوجوه في أمره؛ لعدم اطلاعهم على حقيقة أمره.

وأما الجمهور من المشايخ المحققين، والسادة العارفين فقد أقروا له بأنه إمام زمانه لأهل التحقيق والتوحيد، وأنه في العلوم الظاهرة والباطنة وحيد فريد، فظن الفقيه أني أردت بالجمهور شيخ الإسلام ابن عبد السلام -رحمه الله- وأمثاله، فقال: سبحان الله، كيف ينسب شيخ الإسلام رحمه الله، إلى ذلك، إذ كان ممن ينكر عليه؟

قلت: هذا أيضًا من الكَلِم التي يجب الإعراض عنها، فإنه كذب صراح؛ لما روينا بالسند الصحيح عن الشيخ عز الدين، سُئل عن القطب الغوث الفرد؟ فقال: إنه الشيخ محيي الدين العربي، فقيل له: إنه ذكر في مجلس درسك أمس، وطعنوا فيه وأنت ساكت لم ترد عليهم، فقال: ذلك مجلس الفقهاء.

يعني: أهل الظاهر الذين ليس لهم من أحوال العارفين بالله نصيب تام، فيقفون على كلام لأهل التحقيق في الظاهر، غير موافق لمعتقدهم فيتعين عليهم الإنكار، فبسط الشيخ عذر المتفقهة في إنكارهم، وفي الطعن على الشيخ، وحقق له حالة لأهل التحقيق، وبين لهم عُلو قدره في الإمامة، ومن كان له أدنى تمييز وعقل ونظر في حال الشيخ، وأهل عصره معه، لكفاه دليلًا على علو شأنه؛ لأن الشيخ كان مقيمًا بالشام في زمن الشيخ عز الدين، وهناك من العلماء الأعلام، ومشايخ الإسلام، ونظراء ابن عبد السلام الجمع الكثير، والجم الغفير، وفيهم قضاة المذاهب الأربعة الذين لا يعرفون بتقديم أحد إلا بعد مشاهدة أمور من الكرامات، والخوارق، ومطالعة حمائل، وشيم بوارق.

ثم إنهم بأجمعهم كانوا معترفين بالشيخ محيي الدين بجلالة القدر، مقرين أنه أستاذ المحققين، وإمام العارفين من غير إنكار، يرى العاقل أن أهل هذه المملكة العظيمة مع كثرة من فيها من العلماء والفقهاء، وتماد إقامة الشيخ محيي الدين بين أظهرهم أكثر من ثلاثين سنة، مع كثرة مصنفاته المتداولة بين أيديهم، عِلموا باطله، وزندقته، وسكتوا، ولم ينطق أحد منهم لله بكلمة، ولم يتلفظ محقٌّ منهم في بيان حاله بكلمة واحدة!

بل أجمعوا على تعظيمه وتكريمه، والإنفاق عليه من أجلِّ أموالهم، حتى أن قاضي القضاة الشافعية -رحمه الله تعالى- رتب له في اليوم ثلاثين درهمًا؛ فكان يتصدق بها، وكذلك سائر أكابر العلماء والملوك كانوا يتقربون إلى الله تعالى بتعظيمه وإجلاله، وكان المنكر يظن أنهم داهنوا في دينهم، معاذ الله من ذلك، ثم إنه جاور بمكة شرفها الله تعالى، وكان البلد إذ ذاك مجمع العلماء، والفقهاء، والمحدثين، صار المشار إليه بينهم يتسارعون إليه، ويتباركون بالحضور بين يديه، ويقرءون تصانيفه، وهذه المصنفات التي بمكة شرفها الله تعالى، والطباق التي عليها أصدق شاهد على ذلك، وكان أكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث، أو إسماعه، وأكثر الطبقات بخطه، وصنف فيها الفتوحات من ظهر قلبه، ولما فرغ منها وضعها في سطح الكعبة المعظمة زادها الله تعظيمًا، ولم ينزلها إلا بعد سنة، فلما أنزلت وجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة، ولا لعبت الرياح بها، وأمطار مكة ورياحها أمر عظيم فوق وصف الواصفين.

وحينئذٍ سنح للناس أن يكتبوها وينشروها، فهل الناس جهلوا حالهم وحاله، ولم يمد أحد قلمه بالإفتاء بكفره، إلى أن ظهر فقيه اليمن، هذا أمر لا يصدقه ذو لبٍّ أن تسكت الأمة مع وفورهم وجموعهم سنين غافلين عن إحياء الدين إلى أن يتولى ذلك

الفقيه البارع المسكين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قرأت في بعض تراجم الشيخ محيي الدين: أن والده كان وزير السلطان بالمغرب، وكان ابتداء حال الشيخ أنه دعاه بعض الشبان من أصحاب والده إلى مجلس شرب، فلما جلس وانبسط معهم داروا بالقدح إلى أن وصل إليه وتناوله، فلما أراد شربه سمع صريخًا من القدح، يا محمد ما لهذا خلقت، أو: «دع، فما لهذا خلقت» الشك مني، فرمى بالقدح، وقام وخرج كالمصروع، إذا أفاق، فلما وصل إلى باب الدار، فإذا براعي غنم الوزير أتى بالراتب من السمن، فاستصحب الراعي إلى ظاهر البلد، وأخذ ثيابه ولبسها، وأعطاه ثيابه التي كانت عليه، وسار إلى أن وصل إلى جبانة، وفي طريق الجبانة نهر جار لقصد الإقامة، ولم يكن ثم كن، فوجد في وسط الجبانة قبرًا قد انهدم وخسف به، حتى صار كأنه مغارة صغيرة، فدخله الشيخ واشتغل بالذكر والفكر، ولم يكن يخرج إلا وقت الحاجة والصلاة، قال: فأقمت به أربعة أيام، وخرجت في الخامس بهذه العلوم كُلها.

ثم اجتمع بعد هذا بعلماء المغرب وصالحيها، وكانت البلاد مشحونة بهم إذ ذاك، فاعترفوا كلهم بجلالة قدره، ولو اطلع الإنسان بما كانت بينه وبين الأولياء والأفراد والمحققين بتلك البلاد وخوارق ظهرت له، ومنه يفضي إلى العَجب، ثم توجه إلى مكة -شرفها الله تعالى- وحج ودخل الروم، وتزوج بأم قطب الوقت، الشيخ صدر الدين القونوي صاحب «الفكوك» و«بحر العلوم الوهبية» فقرأ على الشيخ جملة كثيرة من مصنفاته التي وجدت هناك، وقد وقفت عليه لما دخلت «قونية» من بلاد الروم، وهي في خزانة عند قبر الشيخ صدر الدين، وعلى كل جزء خط الشيخ ولفظه، بلغ الولد صدر الدين قراءةً عليَّ، لم يزده في المدح على هذا من جلالة قدر الشيخ صدر

الدين، وتبحره في العلوم الظاهرة والباطنة.

ثم انتقل الشيخ محيي الدين إلى الشام، وسكن دمشق، وأقام بها مشتغلًا بالتصانيف العجيبة الغريبة التي لم ينسخ على منوالها ناسخ، منها «التفسير الكبير» الذي فيه بلغ إلى تفسير قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] في السفر السابع والتسعين، فتوفي الشيخ ولم يكمل.

ومنها: التفسير الصغير في ثمانية مجلدات، في المدرسة، ودار الحديث النورية بدمشق موقوف.

ومنها: متون الحديث مختصرات كـ «الرياض الفردوسية في الأحاديث القدسية» وهي مائتا حديث رواها سيد المرسلين عن رب العالمين.

وله في الفقه كتاب «المعلى على المحلى» لابن حزم وهو أحد دواوين الإسلام، وثانيها: كتاب ابن عبد البر، والثالث: كتاب ابن قوام.

وصنَّف في العلوم الظاهرة والباطنة أكثر من أربعمائة مصنف، ولما توفي -رحمه الله تعالى- دفن بجبل قاسيون في المدينة الصالحية، وبني عليه بناء معظم، وهو مزار عظيم الآن باقٍ آثاره، ظاهر لأهل الصلاح أنواره.

قول الفقيه شيخ الإسلام: بل صاحبه البلقيني[1]، هذا القول من أغرب الأقوال، مشعر

(١) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام الحافظ الفقيه ذو الفنون المجتهد سراج الدين أبو حفص عمر ابن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن محمد بن مسافر الكناني الشافعي، ولد في ثاني شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة، وسمع من ابن القماح وابن عبد الهادي وابن شاهد الجيش وآخرين، وأجاز له المزي والذهبي وخلق لا يحصون.
=

بأن قائله مُغرب عن التاريخ وأحوال العلماء، وكان قائله لا يبالي بما قال، ولا يكترث بالنطق في المحال، إذ جعل البلقيني صاحب الشيخ عز الدين، وبينهما أكثر من مائة سنة؛ لأن البلقيني لم يدرك أصحاب الشيخ عز الدين، وإنما أدرك أصحاب أصحابه، فإنا سمعنا وقرأنا جميعًا على أصحاب أصحاب الشيخ.

أخبرني وإياه الشيخ الإمام المسند فتح الدين أبو الحزم محمد بن محمد بن أبي الحزم القلانسي -رحمه الله تعالى- قال: أخبرني عبد اللطيف شيخ الإسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي سماعًا عن ابن اللتي سماعًا عن أبي الوقت عن الداوودي عن الحموي عن إبراهيم بن حريم عن عبد بن حميد عن يزيد بن هارون عن حريز بن عثمان قال: قلت لعبد الله بن بسر: «أكان شيخًا رسول الله ﷺ، قال ابن بسر: كان في عنفقته شعرات بيض»[1].

توفي عبد السلام سنة خمس وتسعين، هذا والد الشيخ عز الدين ابن عبد السلام، وقد توفي قبل ولادة البلقيني بسنين، فكيف يتصور أن يكون البلقيني صاحب الشيخ عز الدين؟

قال الفقيه: حيث أمرنا بإحراق كتبه المذكورة، وأحرقت بأمره، وأمر السلطان

=

وأخذ الفقه عن ابن عدلان والتقي السبكي، والنحو عن أبي حيان وانتهت إليه رياسة المذهب والإفتاء، وولي قضاء الشام سنة تسع وستين عوضًا عن تاج الدين السبكي، فباشره دون السنة وولي تدريس الخشابية والتفسير بجامع ابن طولون والظاهرية وغير ذلك.

وألف في علم الحديث: محاسن الإصلاح، وتضمين ابن الصلاح، وله شرح على البخاري والترمذي وأشياء أُخر. مات في عاشر ذي القعدة سنة خمس وثمانمائة. انظر: طبقات الحفاظ (ص٥٤٢).

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٠٢)، ومسلم (٤/ ١٨٢١).

هذا أيضًا من الأكاذيب الواضحة الظاهرة التي لا شك ولا ريب فيها؛ لما تقدم أن كتب الشيخ محيي الدين زهاء خمسمائة مصنف، منها التفسيران الكبير والصغير، وكتب الحديث والفقه.

وهل يصدق مسلم أن الشيخ سراج الدين البلقيني فقيه زمانه، وعالم عصره، وأعجوبة مصره، أمرنا بالإحراق لهذه الكتب، ولو أمر أحد بإحراق هذه الكتب المذكورة كائنًا من كان لأحرق الآمر دون إحراق الكتب.

قوله: أحرقت بأمره وأمر سلطان مصر، لم يقع ذلك، ولا شيء من ذلك ألبتة؛ لأنه من العظائم التي من شأنها أن يشار بخبرها إلى الآفاق، والحال أنه لم يبلغ ذلك عنهم أصلًا مع كثرة إقامتنا بمصر، وترددنا واختلافنا بعد المجاورة بمكة المشرفة إليها، فإن وقع شيء من ذلك، وحضرهم الفقيه وشاهده، أو نقل إليه، علمه العدول الثقات، وحققوا له أن الكتب المحرقة لم تكن إلا تصانيف الشيخ محيي الدين، فحينئذٍ يكون ذلك والعياذ بالله منه خطأ من البلقيني، وكلٌّ منا يخطئ ويصيب إلا من خصَّه الله بعنايته وحمايته.

وعلى كل حال، فلا يتم الاحتجاج به على تكفير الشيخ، وجواز إحراق كتبه وإيجاب الأمر بهذا على سلطان المسلمين وإمام العالمين، وجعله عاصيًا إن لم يفعل ذلك.

بل قال الفقيه: وكيف يقول مولانا مجد الدين أنه يُدين الله في حقه، وهو يبيح المكث للجنب والحائض في المسجد، هكذا ذكره في كتبه.

قلت: تعجب الشيخ ممن يدين الله بمن يبيح المكث في المسجد للجنب والحائض، وما موضع التعجب إلا كلام الفقيه، فإنه برهانٌ واضح، ودليل لائح على

عدم اطلاع الفقيه على ما هو معلوم لمن هو في أدنى درجات الفقهاء، بل ومن هو دون القلتين من الطلبة النبهاء، فإن اختلاف مذاهب العلماء من الصحابة والتابعين والفقهاء المجتهدين مشهورة، وفي جميع كتب الخلافيات مذكورة، فلما لم يطلع الفقيه عليه، ظن انفراد الشيخ محيي الدين بهذا القول، فإنه خالف الإجماع، وقال بما لم يسبقه إليه أحد من العلماء، فكاد يكفر الشيخ، ومن يدين الله به بذلك، فقال: وهذه مصادمة لقول سيد المرسلين ﷺ.

والخلاف في المسألة مشهور، فقال الشافعي ومالك -رحمهما الله تعالى-: لا يجوز للجنب والحائض المكث، ويجوز لهما المرور.

وقال أبو حنيفة-رحمه الله تعالى-: لا يجوز المكث ولا المرور إلا إذا كان في المسجد ماء، أو طريق.

وقال آخرون: يجوز المكث لهما إذا كانا على وضوء.

وقال إمام السُّنة أحمد بن حنبل، والإمام المزني من أصحاب الشافعي: يجوز المكث لهما مطلقًا، وهو قول حبر الأمة وترجمان القرآن أبي العباس عبد الله بن العباس -رضي الله عنهما.

وذكر الشيخ محيي الدين في «المحلّى» جماعة ممن وافق المذكورين من التابعين والفقهاء لم يحضرني الآن أسماؤهم، ثم إن من قال بهذا القول أوّل قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ**﴾[النساء:٤٣] بأن المراد بهم: المسافرون يصيبهم الجنابة فيتيممون ويصلون.

قال الفقيه: وقال سيد المرسلين: «**لا يحل المكث في المسجد لجنب ولا لحائض**»[1].

أقول: إن هذا الحديث في السنن، وليس له ذكر في الصحيحين، ولكن إسناده حسن، غير أنه ليس على هذا الوجه الذي أروده الفقيه لكنه غير مبالٍ في نقل الحديث وتقديم ألفاظه وتأخيرها، ولفظ الحديث في السنن عن عائشة -رضي الله عنها- قال رسول الله ﷺ: «**وجهوا هذه البيوت عن المسجد، فإني لا أحل المسجد لحائض، ولا جنب**»[2].

أين هذا من قول الفقيه: وقال سيد المرسلين: «**لا يحل المكث في المسجد لجنب ولا حائض**»[3].

أيجوز هذا، ويسوغ لمسلم أن يفعل بكلام النبي ﷺ، ويتلاعب به ويؤديه كيف شاء، وعلى أي وجه أراد، ولا يراجع كتب الحديث، ولا يسأل أهله، إن لم يعلم المظانّ؛ كي يسلم من وعيد قوله ﷺ في الصحيحين من رواية الجم الغفير من الصحابة، قيل: أربعين، وقيل: مائتين من الصحابة، منهم العشرة المبشرة: «**من كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**»[4].

ومعنى الحديث: اصرفوا بيوتكم عن المسجد بحيث لا يكون المسجد طريقًا إلى

---

(١) رواه ابن ماجه (١/ ٢١٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٦٥).

(٢) رواه أبو داود (١/ ٢٩٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البخاري (١٠٤)، ومسلم (٣) في غير موضع.

بيوتكم، وممرًا إليها، فإن قيل: التوجه في اللغة إنما يعدى باللام بقول: وجهت وجهي لله، فكيف وقع هنا التعدية بعن؟

قلت: ليدل على معنى الصرف، فإن الصرف يعدى بعن، يقال: وجه عنه وجهه، أي: صرف، ووجهه إليه، أي: أقبل إليه، وفي إيراد اسم الإشارة إلى تحقير تلك البيوت، وتعظيم شأن المساجد، أي: لا يصح، ولا يستقيم أن يكون المساجد ممر تلك البيوت.

وقوله ﷺ: «**فإني لا أحل المسجد...** »[1] إلى آخره بيان للوصف الذي يرد على الحكم السابق، وعلة له؛ ولذلك وضع المسجد مقام الضمير.

قال الفقيه: وليس ذلك تعصبًا، هذا القول فيه نظر، فإنه لا شكَّ أنه تعصب، إما تعصب بحق أو باطل.

قوله: والله ما أحوج الفقيه في هذا المقام إلى اليمين بالله ﷻ، وقد أنذرنا رسول الله ﷺ فقال: «**لا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**»[2].

ويعلم أن تعصبه هنا ظاهر ظهور النهار، وإن لم يكن تعصب، فإن اليمين منهيٌّ عنها في مثل هذا الموضع المستغني عن اليمين فيه، مع وجود المتهمين إن لم يكونوا مكذبين، فإن الله سبحانه وتعالى أعلم بصدق العبد وسريرته.

قول الفقيه: بل ذبًّا عن دين رب العالمين، ليت شعري هل استولى وغلب

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أبو داود (٩/ ٦٤)، والنسائي (١٢/ ٦٩).

الدين، وأفسده مفسدون أحوج الحال إلى أن يذبهم الفقيه عن هذه الفتيا المشحونة بأنواع الأباطيل والأكاذيب، ونقل الأحاديث على غير الوجه، واللفظ المروي، ونسبة الناس إلى ما لم يكن منهم، بل إكفارهم وتفسيقهم من غير سبب ولا باعث سوى قرة العصبة، وثائرة الغضبة على من قال صدقًا، ونطق حقًّا.

قال الفقيه: وإحياءً لسُّنة سيد المرسلين، هل ماتت السُّنة النبوية والعياذ بالله، فيحتاج إلى إحيائها بهذه الفتيا التي تتضمن ما ذكرناهما من العظائم والدواهي، منها إيجاب فعل محرم على سلطان المسلمين، فقد ذكر أنه يجب عليه أن يمحو كُتب الشيخ محيي الدين التي تشتمل على مصنفات في التفسير ومتون الأحاديث النبوية والقدسية، ومتون الفقه المشتمل على ذكر مذاهب السلف من أئمة الإسلام، والعلماء الأعلام من الصحابة، والتابعين الأخيار، والمجتهدين الكبار، فمحوا هذه الكتب، ومنعوا المسلمين عن تحصيلها وإقرائها وإسماعها، طاعةً أو معصيةً إيمانًا أم كفرًا أو زندقة؟

وقد كتب الفقيه: إنه يجب على مولانا السلطان ارتكاب هذه المعصية، ثم لم ينفعه ذلك حتى أوجب عليه أن يشق عن قلوب العباد ليطلع على الإرادة، من أراد نشر كتب ابن العربي التي منها الكتب الجليلة المذكورة، وارتكاب هذه المعصية كفر ظاهر لائح.

وقد أوجب الفقيه على مولانا السلطان -حفظه الله تعالى- ارتكابه، وفتح من إنكار العالمين بابًا تغلق أبوابه، هذه الجملة مما يتعلق بالاجتراء على مولانا أمير المؤمنين، وخليفة الله في الأرضين.

وأما ما يتعلق بالافتراء وشهادة الزور على أحقر عباد الله مؤلف الكتاب، فقد

شهد أنه صنف كتابًا مجلدًا في تكفير الإمام أبي حنيفة، ومن كفر أبا حنيفة فقد روينا في الصحيح عن النبي ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه كافر؛ فقد باء بها أحدهما**»[١].

وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»[٢].

وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «**لا يرمي رجل رجلًا في الفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، وإن لم يكن صاحبه كذلك**»[٣].

وفي الصحيحين أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**من دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»[٤].

هذا آخر ما يسر الله إيراده، وأنا أتوب إلى الله تعالى من هفوات اللسان، وخطرات الجنان مما لم يقرب من رضا الرحمن، وأعذر عن سقطات الأقلام، وورطات الكلام، مبادرًا إلى عفو الفقيه عمن صدر منه في حقي من الافتراء راجعًا إلى الله تاركًا سلوك مسالك المرية والامتراء.

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ١٥٧)، والترمذي (٥/ ٢٨٢).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٦)، ومسلم (٥٣٠٣).

(٣) رواه البخاري (٥٥٨٥).

(٤) رواه مسلم (٩٣).

خاتمة الكتاب

اعلم يا أخي أن المناظرة والمجادلة مع المتعنتين، وسائر المتعصبين كما قال الإمام أبو حامد: غير مفيد، ولا يزيد المتعنت المكاوحة إلا تمردًا وإباءً، وداء المتعنت يفيده المكاوحة شفاء، فالوجه إذا نقل إليك كلام عالم من علماء الأمة، وظهر لك بطلانه بكلام جلي، ودليل واضح غير خفي ألا تهجم على إنكاره، ولا تشتغل باستبعاده واستنكاره؛ لأنك أنت صرت بين أمرين:

أحدهما: أن تحكم بخفاء ذلك الكلام الجلي على ذلك الإمام مع منصبه العلي.

الثاني: تقول لعل ذلك الإمام اطلع على سر خفي ذهب عنه ذلك السر الخفي، فليت شعري أنت أجدر بالقصور عن ذلك المعنى الخفي، أم ذلك الإمام بالذهول عن معنى الظاهر الجلي فأنصفت، علمت أن ذهاب الخفيات عليك أقرب من ذهاب الجليات على ذلك الإمام الكبير، فاتهم نفسك، وأجدر الجسار والجراءة.

واعلم أن الاعتراض على أكابر الدين وعلمائه، لا يصدر إلا عن ضعف العقل، وقلة الحياء، فالحياء ثمرة الإيمان، وثمرة الإيمان العقل ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[النور:٤٠].

ثم إني أوصيك بإحسان الظن في الناس كافة خصوصًا بأئمة العلماء، ومن جملة إحسان الظن بالعلماء أن تطلب لكلامهم ما أمكنك وجهًا وعذرًا، فإن لم تعثر عليه، فاتهم نفسك، فإن كنت من المقلدين فليس لك إلا الاتباع لصاحبك، وليس من غشك تصحيح الصحيح، وإبطال الفاسد، وإن كنت مجتهدًا مستقلًا لشأن النظر، فعليك أن

تتبع ما غلب على ظنك، ويجوز مع ذلك الخطأ على نفسك، حتى لا يشتد إنكارك على من خالفك.

وإياك أن تكون مشغولًا بالنقد والاعتراض، وتزييف كلام الناس، وكن مؤمنًا بطلب المعاذير، ولا تكن منافقًا بطلب العثرات.

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات**»[1].

وكن من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾ [الزمر:١٨]، والنفس الخبيثة هي التي تحب ألا تذكر من كل شيء إلا مقابيحه وفضائحه، والنفس الطاهرة الزكية تحب أن تسمع من كل شيء محاسنه ومآثره.

واعلم أيضًا يا أخي أن الشغب بالنقد والاعتراض والتزييف، لا يسأله إلا عرقان خبيثان من باطن الإنسان، عرق سبعي، وعرق شيطاني.

فأما العرق السبعي فيدعو إلى تمزيق الأعراض، وإنما قوت هذا العرق استباحة تنقيص الأعراض والنفوس، وإنما يتوصل إليها إلا بالتمزيق والهتك، كما أن أطعمة السبع وشهوتها لحوم الحيوانات.

فهؤلاء أقوام ظاهرهم ثياب، وباطنهم ذئاب، ويوم القيامة يحشرون في صورة الذئاب؛ لأن الأصل في عالم الآخرة، وهو عالم الحقائق هو المعاني لا الصور، ولا جرم

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٥٢١) بنحوه.

أن الحقائق تتبع صور المعاني، فيتصور بلا شك يوم القيامة كل إنسان بصورة على وفق معناه.

وكذلك يرى في المنام الشخص منهم في صورة كلب أو ذئب؛ لأن النوم أنموذج من عالم الآخرة فتكون الصور فيه على وفق الحقائق.

والعرق الثاني اللئيم: الشيطاني قوته وطعمه الكبرياء، ودعوى التفوق، واستعظام النفس على الكل، بل دعوى الربوبية والاختصاص بتمام العلو وخاصية الكمال، مع الترفع عن المساهمة والمشاركة من عموم الخلق، وهذا العرق يدعو إلى الطعن على أقوال أعلام العلماء والتزييف؛ لأن في ضمن التزييف نفي الغير، وفي ضمنه إعظام النفس بإظهار الفضل على العين، والعبارة عن هذه الصفة أن يقول خير، كما قال إبليس، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم:٣٢].

فعلى هذا لا يجوز أصلًا تزييف الغير والطعن فيه، إلا لضرورة وحاجة، وإنما الذي رخص طلب العذر على سبيل الاستفهام، وطريق الاسترشاد، لا على سبيل التعنت ونهج العناد، ومن استدعى الطعن في طريق الغير، فقد استدعى الطعن في طريق نفسه، فأي مسلك ومذهب لا يمكن للمتأمل أن يلتقط من مجموعة مواضع مستبشعة مستقبحة في بادئ الرأي وسابق النظر، ومواضع ظاهر النقص والخلل إذا ضربت على محك التحقيق، واذكر ما أنزل الله تعالى على بعض أنبيائه: «حق على العاقل أن يكون حافظًا للسانه، عارفًا بزمانه، مقبلًا على شأنه».

أخبرنا كتابةً أحد الأئمة عن بعض المشايخ العارفين -رحمهم الله تعالى- أنه

قال: من رأيتموه يزدري بالأولية، وينكر مذاهب الأصفياء، فاعلموا أنه محارب لله ولرسوله، مبعد مطرود عن قرب الله تعالى.

وقال أبو تراب النخشبي -رحمه الله تعالى-: إذا ألف القلب الإعراض عن الله تعالى، صحبته الوقيعة في أولياء الله، ولحوم الأولياء مسمومة، وعادة الله في مبغضهم معلومة، ومن أطلق لسانه فيهم بالسلب؛ ابتلاه الله قبل موته بموت القلب ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا ممن يحبك، ويحب ملائكتك، ويحب رسلك، ويحب عبادك الصالحين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأعمان على صفوة الخلائق أجمعين محمد خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نظير السؤال والجواب

ما يقول سيدنا وبركتنا شيَّد الله به أزر الدين، ونفع ببركاته المسلمين في الكتب المنسوبة إلى ابن العربي كـ «الفتوحات»، و«الفصوص»، هل يباح تعلمها وتعليمها وإظهارها بين الناس، واعتقاد ما فيها؟ وهل مخالفتها للسُّنة مخالفة شنيعة، أم من جملة العلوم النافعة السنية الشرعية؟ تفضلوا بشفاء القلب، فإن الشيخ مجد الدين الفيروز آبادي -نفع الله به- لما سُئل عن ذلك أجاب بما يقتضي تفضيلها على ما اشتهر من كتب العلوم النافعة، ولا يستقر ذلك في القلب دون مراجعة مولانا- حرسه الله تعالى- فأوضحوا الجواب؛ ليتوفى لكم إن شاء الله جزيل الثواب نظير جواب الفقيه أبي بكر الخياط، الجواب والله الموفق للصواب: إنه قد آن لابن الخياط ألا تأخذه في الله لومة لائم، وإن كتب ابن العربي لا يحل تحصيلها ولا قراءتها ولا سماعها، وأنها مردودة على مصنفها، وأن من اعتقد دين الله ودين رسوله ﷺ، ونظر إلى مواقع التنزيل والتأويل، يجب عليه الإضراب عنها، وتسفيه الناظر فيها، إذ هي مخالفة لشريعة سيد المرسلين، وأقوال الصحابة والتابعين.

وفي الحديث النبوي: «**من أحدث في ديننا ما ليس على أمرنا؛ فهو رد**»[1].

وعلى مولانا السلطان- خلّد الله ملكه، ونصره- القيام بمحو هذه«الفتوحات» و«الفصوص»، وما جرى مجراها، والإنكار على من أراد إظهارها وإشاعتها، والأمر في تأفيلها وتأفيل مظهرها؛ لينال بذلك أفضل المراتب على ما قد حول الله تعالى، وما أظن مولانا مجد الدين أقدم على ما أقدم، إلا بعد الاشتغال في النظر إلى كتبه ولا إلى أحواله،

(١) رواه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٧١٧).

فإنه ليس فيها إلا إيهام الاطلاع على الأسرار الربانية، والعلوم اللدنية مع المبالغة في تأفيل الشريعة، ورفض سنة سيد المرسلين، فمن أين علم أن دعواه المذكورة تخترق السبع الطباق، والأنبياء كانوا خائفين مشفقين من ألا يستجاب دعوتهم، ومكث النبي ﷺ شهرًا يدعو على من قتل أصحاب بئر معونة، ودعا على ناس من قريش، فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨] أرُتبتُـه عنده أجلُّ من رتبة سيد المرسلين؟!

ولقد قضيت العجب من تصنيفه كتابًا مجلدًا في تكفير النعمان، وهو شيخ الإسلام، وشيخ أصحابنا الصوفية التهامية، ومذهبهم، فكيف ساغ له تكفيره مع أن علمه قد ملأ الخافقين، وعمله لم يصبر عليه إلا من مكنه الله، مثل تمكينه حتى أنه مكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، ولم يسع له تكفير ابن العربي، وقلامة ظفر الإمام أبي حنيفة خير من قراب الأرض مثل ابن العربي، هذا شيء لا يمترى فيه، من يدين الله تعالى.

وأنا أنشد الله والإسلام مولانا مجد الدين:

هل الإمام أبو حنيفة دون ابن العربي؟ حتى كفره وأطنب في وصف هذا المذكور، وخرج فيه إلى أن يعتقد الجهال أنه أفضل الخلائق، ولقد تعجبت من المشايخ الصوفية حيث أباحوا عرض إمامهم ليرب بالتكفير؛ لينالوا غرضهم في نصرة ابن العربي، وليس هذا بدعًا من فعل ابن العربي، وهو من غلاة الصوفية.

وليس يبلغ عشر عشير الحلاج، وقد صلب لغلوه وزندقته، وتهاونه في شأن العزيز الكبير.

وقوله: «أنا الله»، كيف، وقد اعتقد ابن العربي أن الرياضة إذا كملت اختلط ناسوت صاحبها بلاهوت الله تعالى؟

هذا مذهب الرجل، وقد صرح به في كتابه «الفصوص»، وهذا عين مذهب النصارى حيث قالوا: امتزجت الكلمة بعيسى، امتزاج الماء باللبن، واختلط ناسوته بلاهوت الله؛ حتى ادعوا أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عن قول الزائغين.

ولو نظر السادة الصوفية في التحقيق لكانت كتب حجة الإسلام، وكتب السهروردي كافية لهم.

وأما قول مولانا مجد الدين: إن ثَمَّ طائفة في الغي ينظِّرون على ابن العربي، ويعظمون النكير، سبحان الله كيف ينسب شيخ الإسلام ابن عبد السلام إلى ذلك إذا كان ممن ينكر عليه؟! بل صاحبه البلقيني حيث أمر بإحراق كتب المذكور، وأحرقت بأمره وأمر سلطان مصر، فكيف يقول مولانا مجد الدين: إنه يدين الله في حقه، وهو يبيح المكث في المسجد للجنب والحائض، هكذا ذكره في كتبه.

وقد قال سيد المرسلين ﷺ: **«لا أحل المسجد لجنب ولا حائض»**[1].

وهذه مصادمة لقول سيد المرسلين، وفي مخالفته فيها، هذا آخر ما أردت وضعه هنا، وليس ذلك تعصبًا لا والله، بل ذبًّا عن دين رب العالمين، وإحياءً لسنة سيد المرسلين، ونصيحة لعامة المسلمين، والله الموفق للصواب.

وكتبه الفقير إلى الله تعالى المتشبث بأذيال عفوه من عقوبته جمال الدين ابن الخياط عفا الله عنه وعن جميع المسلمين.

---

(١) سبق تخريجه.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد خاتم النبيين سيد الأولين والآخرين، وآله الطيبين، وصحبه الطاهرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهو نعم المولى ونعم النصير.

جواب مولانا، وسيدنا، وإمامنا شيخ الإسلام، أستاذنا، وأستاذ علماء العالم مجد الدين ﷺ

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، قد ذكرت معتقدي في الشيخ محيي الدين ابن العربي -رحمه الله تعالى- بعد مطالعة كتبه ومصنفاته التي تشرح صدور العارفين، وتنور عيون المحققين، وهذا التأمل في حقائقها ومعانيها، وإقطاف أطايب ثمرها ومجانيها، وهو شيخ المحققين، وإمام العارفين، هذا الذي نعرفه منه ونحققه وندين الله تعالى به، ومن نظر في أول كتاب «الفتوحات» ومعتقده، واتباعه للسُّنة النبوية، واقتفاء الأحاديث، وبناء أبوابه عليها؛ عرف أنه كان ممن شرح الله صدره بنور العلم اللدني، مقدار الرجل وجلالة قدره.

وقول الفقيه رضي الدين: إنه لا يحل النظر في كتبه ولا قراءته ولا إسماعه إلى آخر مقاله، ليس هو منفردًا به، بل قول جماعة من أهل الظاهر، الذين ينطقون بهذا، وأكثرهم أيضًا يعتقدون خلافه، وإنما ينطقون بما يوافق عقول العامة العاجزين عن فهم شيء من معاني كلام الشيخ، وحقائقه، فإنهم متى سمعوا خلافه أنكروا وبدعوا وشنعوا، أليس حافظ الأمة أبو هريرة ﷺ يقول: «**حفظت من رسول الله ﷺ وعائين من العلم بثثت أحدهما فيكم، وأما الوعاء الآخر لو بثثته لقطع مني هذا البلعوم**»[1].

هكذا في صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري، أراد به علوم الحقيقة التي ليست

(١) رواه البخاري (١٢٠).

من شأن أهل الظاهر، الذين لا يمكن تفهيمهم شيئًا من ذلك؛ لأن ذلك خاص بمن خصه الله به من الصديقين والأوتاد المقربين، فالظاهر المنكر معذور من هذا الوجه.

وقول الفقيه: إني صنفت كتابًا مجلدًا في تكفير الإمام النعمان، كيف استحل من الله تعالى أن يجري قلمه بهذه الفرية التي تكاد السماوات يتفطرن منها؟ ولعل هذا كتاب كتبه بعض يهود جيله، ونسبه إليه؛ ترويجًا وتزويقًا لباطله، وهل أنا فيما علمت إلا من أول من بالغ في تعظيم مذهبه بتصنيف كتاب جليل في طبقات فقهاء مذهبه، وذكر فضائلهم، وبيان محل أقدارهم، وهذا الكتاب موجود بين أظهر المسلمين شامًا ومصرًا ويَمَنًا، غربًا وشرقًا.

وأما كتاب التكفير المذكور، فإن كان في خزانة كتب الفقيه فليظهره لنحرقه، ونكفر مصنفه، وإن كان الفقيه يظن أن أحدًا من خدام العلم الشريف في عصرنا عارف بمناقب النعمان وفضائله، وعالم بشئونه، وجلال قدره، وقيامه في الله كمعرفتي بذلك، وعلمي به، وصدق عقيدتي فيه -رحمه الله تعالى، فإن ذلك من بعض الظن.

وأما مبالغته في تكفير الشيخ محيي الدين ابن العربي فقد بسطنا عذره فيه، وأما احتجاجه بقول شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام شيخ مشايخ الشام، فغير صحيح، بل كذب وزور.

فقد روينا عن شيخ الإسلام صلاح الدين العلائي[1] عن جماعة من المشايخ

---

(١) هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ الفقيه ذو الفنون صلاح الدين أبو سعيد خليل ابن كيكلدي الشافعي، عالم بيت المقدس، ولد في ربيع الأول سنة أربع وتسعين وستمائة، وسمع التقي سليمان وطبقته، ولازم البرهان الفزاري والكمال الزملكاني وتخرج به، وبرع في الفنون، وكان إماما محدثا حافظا متقنا جليلا فقيها أصوليا نحويا. قال الذهبي: حافظ يستحضر الرجال =

كلهم عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه قال: كُنا في مجلس الدرس بين يدي الشيخ عز الدين بن عبد السلام فجاء في باب الردة ذكر لفظة الزنديق، فقال بعضهم: هل هي عربية أو عجمية؟

فقال بعض الفضلاء: إنما هي فارسية معربة، أصلها «زن دين» على دين المُراءاة، وهو الذي يضمر الكفر، ويظهر الدين.

فقال بعضهم: مثل من؟ فقال آخر إلى جنب الشيخ: مثل ابن العربي بدمشق، فلم ينطق الشيخ، ولم يرد عليه، قال الخادم، وكنت صائمًا ذلك اليوم، فاتفق أن الشيخ دعاني للإفطار معه فحضرت، ووجدت منه إقبالًا ولطفًا.

فقلت: يا سيدي، هل تعرف القطب الفرد الغوث في زماننا؟

فقال: ما لك ولهذا، كُلْ، فعرفت أنه يعرفه، فتركت الأكل، وقلت: لوجه الله تعالى، عرفني به، من هو؟ فتبسم -رحمه الله تعالى- وقال: الشيخ محيي الدين ابن العربي، وأطرقت ساكنًا متحيرًا.

=

والعلل وتقدم في هذا الشأن مع صحة الذهن وسرعة الفهم. وقال الحسيني: كان إمامًا في الفقه والأصول والنحو مفننًا في علوم الحديث وفنونه علاَّمة فيه عارفًا بالرجال علامة في المتون والأسانيد ولم يخلف بعده مثله. وقال الإسنوي: كان حافظ زمانه إمامًا في الفقه وغيره ذكيًّا نظَّارًا. سئل السبكي من تخلف بعدك؟ فقال: العلائي. ألّف في الحديث وغيره مصنفات منها: الوشي المعلم فيمن روى عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ ، والأربعين في أعمال المتقين، والقواعد المشهورة، وعلوم آيات الفرائض وأشياء كثيرة محررة متقنة نافعة. وخرَّج ودرس بأماكن منها الناصرية والأسدية والصلاحية بالقدس والتنكرية وغير ذلك.

أخذ عنه العراقي وقال: مات حافظ المشرق والمغرب صلاح الدين العلائي في ثالث المحرم سنة إحدى وستين وسبعمائة. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٣٢).

فقال: مالك؟

فقلت: يا سيدي قد حِرتُ!

قال: لمَ؟

قلت: أليس اليوم قال ذلك الرجل إلى جانبك في ابن العربي ما قال وأنت ساكت؟!

فقال: اسكت، ذلك مجلس الفقهاء.

هذا الذي روي لنا بالسند الصحيح عن شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام -رحمة الله عليه.

وأما قول غيره من أضراب الشيخ عز الدين فكثير.

كان الشيخ كمال الدين الزملكاني من أجل مشايخ الشام أيضًا، وكان يقول: ما أجهل هؤلاء ينكرون على الشيخ محيي الدين ابن العربي حاله لأجل كلمات وألفاظ وقعت في كتبه؟ قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها، فليأتوني لأحل لهم مشاكلهم، وأبين لهم مقاصده؛ بحيث يظهر لهم الحق ويزول عنهم الوهم.

وهذا الشيخ قطب سعد الدين الحموي، سُئل عن الشيخ محيي الدين لما رجع عن الشام إلى بلاده: كيف وجدت ابن العربي؟ فقال: وجدته بحرًا زاخرًا لا ساحل له.

وهذا الشيخ صلاح الدين الصفدي له كتاب جليل وضعه في تاريخ علماء العالم مجلدات كثيرة، وهي موجودة في خزانة كتب مولانا السلطان - خلد الله سلطنته- ينظر في باب الميم بترجمة محمد بن علي المغربي؛ ليعرف مذاهب أهل العلم الذين

صدرهم مفتوح لقبول العلوم اللدنية، والمواهب الربانية، وقوله في شيء من الكتب المصنفة كـ «الفصوص» وغيره: إنه صنف بأمر من الحضرة الشريفة النبوية، وأمرني بإخراجه إلى الناس.

قال الشيخ شمس الدين الذهبي حافظ الشام: ما أظن أن المحيي يتعمد الكذب أصلًا، وهو من أعظم المنكرين على الطائفة الصوفية.

ثم إن الشيخ محيي الدين -رحمة الله عليه- كان مسكنه، ومظهره بمدينة دمشق، وأخرج هذه العلوم إليهم، ولم ينكر عليه أحد شيئًا من ذلك، فكان قاضي القضاة الشافعي في عصره يخدمه خدمة العبيد، وقاضي القضاة المالكية زوجه بابنته، وترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ.

وأما كراماته ومناقبه لا تحصرها مجلدات، وقول المنكرين في حق مثله هباء وغثًّا لا يعبأ به، قد أنكروا على من هو أجل منه كالشيخ أبي يزيد البسطامي، وأضرابه مثل الشيخ أبي عبد الله بن عفيف[1]، ولم يضرهم إنكارهم، ولم ينقص به أقدارهم، فإن رجع الفقيه

---

(١) هو شيخ الإسلام سليمان بن علي بن عبد الله ياسين العفيف التلمساني، الذكي الحاذق، المنطقي الخارق، تلميذ الصدر القونوي، صاحب شرح الأسماء الحسنى، وشرح منازل السائرين، وشرح مواقف النفري، وشرح الفصوص، وصاحب كتاب الخلوة، وعمل فيه أربعين خلوة، كل خلوة أربعين يومًا.

مات سنة خمس وسبعين وستمائة.

وأثنى عليه ابن سبعين وفضَّله على شيخه القونوي، فإنه لما قدم شيخه القونوي رسولاً إلى مصر، اجتمع به ابن سبعين لما قدم من المغرب-وكان التلمساني مع شيخه القونوي- قالوا لابن سبعين: كيف وجدته؟ -يعني في علم التوحيد- فقال: إنه من المحققين، لكن معه شاب أحذق =

منه، وهو العفيف التلمساني.

وكان يقول: كان شيخي القديم متروحًا متفلسفًا، والآخر فيلسوفًا متروحًا- يعني القونوي- فإنه أخذ عنه. ولم يدرك الشيخ ابن عربي.

والعفيف هذا من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة.

ومن كفّر ابن عربي، فهو إلى تكفير هذا أسرع لاعترافهم بأنه أحذق منه ومن غيره من القائلين بذلك، حتى قال بعضهم: هو كبيرهم الذي يعلمهم السحر.

وقال بعضهم: هم لحم خنـزير في صحن صيني، وإنه يدرج السم القاتل في كلامه لمن لا فطنة له بأساس قواعده، ورموه بعظائم من الأقوال والأفعال، وزعموا أنه كان على قدم شيخ شيخه في أنه لا يحرم فرجًا، وأن عنده أن ما ثم غير ولا سوي بوجه من الوجوه، وأن العبد إنما يشهد السوي إذا كان محجوبًا، فإذا انكشف حجابه، ورأى أن ما ثم غيره، تبين له الأمر، ولهذا كان يقول: نكاح الأم والبنت والأجنبية شيء واحد، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام علينا، فقلنا حرام عليكم.

وكان يقول: القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله.

وذكر عنه أبو القاسم عمر المراغي الصوفي، فيما حكاه عنه ابن حجر في تاريخه أنه قرأ عليه «المواقف النفرية» قال: فجاء موضع يخالف الشرع، فخالفته، فقال: إن كنت تريد أن تعرف علم القوم، فخذ الشرع والكتاب والسنة ولفها واطرحها، فانقطعتُ عنه من ذلك اليوم.

وذكروا أنه دخل على أبي حيان، فقال له: من أنت؟ قال: العفيف التلمساني، وجدي من قبل الأم ابن سبعين. فقال: أي والله، عريق أنت في الإلهية يا كلب يا ابن الكلب.

وأكثروا من نقل هذا الهذيان في شأن شيخه، ولم يثبت عنهم شيء من ذلك بطريق معتبر. بل نقول إنهم دسوا في كتبهم ما ليس منها، وأدرجوا في كلامهم ما لم يقولوه، والتعصب يصنع العجائب.

نعم، هم قائلون بأن واجب الوجود هو الوجود المطلق، ومبني طريقهم على ذلك، وقد تكلم معهم

في ذلك المحقق التفتازاني والسيد الجرجاني، وأطنبا في الرد عليهم، لكنه- أعنى الشريف في حاشية التجريد- اضطرب، وقد اعتذر حجة الإسلام عمن أوهم كلامه الاتحاد من القوم، فقال: إنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، صار لهم ذلك حالاً ذوقيًا، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستغرقت فيها عقولهم، وصاروا كالمبهوتين، ولم يبق فيهم متسع، فلم يكن عندهم إلا الله، فسكروا سكرًا وقع دون سلطان عقولهم فقال بعضهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شاني، وقال الآخر: ما في الجُبَّة سوى الله. وكلام العشاق حال السكر يطوي ولا يحكى، فلما خف سكرهم، وردوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الأرض، عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد، بل يشبهه، كقول العائق حال عشقه: **أنا من أهوى، ومن أهوى أنا**

ولا يبعد أن يفاجأ الإنسان مرآة، فينظر فيها، ولم يكن رأي المرآة قط، فيظن أن صورتها التي يراها في المرآة هي صورة المرآة متحدة بها، ويرى الخمر في الزجاج، فيظن لون الزجاج، فإذا ألف ذلك، ورسخت قدمه، استهتر وقال:

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ الخَمْرُ ... وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلاَ قَدَحٌ ... وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ ولاَ خَمْرُ

وهذه الحالة إذا علمت سميت -بالإضافة إلى صاحبها- فناء الفناء، لكونه فني عن نفسه وعن فنائه، ويسمى هذا الحال بالإضافة إلى المستغرق فيه بلسان المجاز اتحادًا، وبلسان الحقيقة توحيدًا .

ومن كلام العارف التلمساني:

التربية بحسب كل موجود، إنما هي بقدر ما يحتاجه، فمتى زادت عن قدر حاجته، وانعكس معنى التربية إلى ضده، فتصير زيادة التربية، عدم تربية في حق ذلك المربوب.

وقال: قال أهل الله إن أهل الجحيم يجري فيهم العذاب مدى علمه تعالى، ثم ينعطف عليهم بالرحمة فينعمهم في النار بها حتى لو خُيروا لاختاروها على الجنة.

وقال: إن ظهرت لك الوحدانية، أريت القادر حيث القدرة، وكل فعل رأيته من فاعل، طبيعيًا كان

الفعل أو إراديًا، جسمانيًا أو روحانيًا، عقليًا أو خياليًا، فتلك القدرة قدرته تعالى، وهو حيث وجدت قدرته، فمن عرف القدير سبحانه هذه المعرفة، سلم لكل قادر، وغدر كل غادرٍ وجائر، ومن هذه الحقيقة قال السيد المسيح:«من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر»،وقال:« من سلب رداءك فزده قميصك، ومن سخرك ميلا، فامض معه ميلين».

وكان بعضهم إذا علق بمرقعة عود شجرة، وقف معه حتى يحقق معنى هذا الشهود، ثم ينفصل بنسبة اسم آخر.

وقال: الذي يخص الناطق بالوحدانية في مقام التحقيق أن يشهد أن القوة لله جميعا، فإن ضعفت عن إدراك هذا، فاعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال: العلم لا ينقص عن درجة العليم، فإن علمه لا يكثر ويقل لاستيعاب علمه كل معلوم في كل آن لا ينقسم، وإنما المبالغة للتنزل إلى إفهام المحجوبين وعلى عادتهم.

وقال: إذا شهدت أنه لا علم إلا الله، علمت أن كل شيء عالم، وعلمت أن كل علم حق، ولو فرضنا جاهلاً حكم بحكم هو جهل عند المحجوبين، رآه العارف علما لأنه قام بحق المرتبة التي هو فيها لا يتجاوزها ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:٣].

فإذا رآه بعين حق يكون الباطل فيها.

وقال: الحكيم تعالى يعطي كل موجود على قدر استعداده، فكمال حكمة كل كامل على قدر كمال استعداده ونقصه، فالاستعداد هو القدر الإلهي.

وقال: الاستعداد قد يكون مركبًا من ذات المستعد، ومن عوارض وجوده وزمانه ومكانه، فالاستعداد هيئة اجتماعية تحصل من مجموع ذلك.

وقال: المسبب حيث الأسباب، وحيث رأيت القدرة، فثم القادر، فكمال الحكمة التي بها يسمى الحكيم حكيمًا ، فرع من القدر الجاري على وفق الاستعداد.

وقال: كل من حكم أو أحكم أو نال الحكمة، فإنما نال صفةً من صفات الحكيم سبحانه.

وقال: إذا رأيت الحكمة فهناك الحكيم الحق، فلا تستوحش واستأنس، فإنك بحضرته.

وقال: الحق تعالى لا يظلم الناس شيئًا، فمن كان استعداده للكمال ظهر كاملاً، ومن كان متوسطًا أو متأخرًا ظهر كذلك ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس:٦٤].

وقال: متى فرطت في العدل فإنك ظالم، وبقدر ما أنت به ظالم تعاقب جزاءً وفاقًا.

وقال: العارف ليست مداركه من النطق وإن كان معدودًا من الصدق، بل من عين العيان، لا من الفكر ولا الوهم ولا الخيال التي هي مادة الأذهان.

وقال: رأس كل شيء ما منه يغتذي، فكان عالم النبات مقلوب، وعالم الحيوان مكبوب، وعالم الإنسان منصوب.

وقال: من لطف مزاجه برياضة أو خلوة إذا سمع كلامًا يكاد ينزعج له، يشوش عليه الصوت الضعيف فضلاً عن القوى، ويصير النطق النفسي عنده في الظهور كالنطق الحسي عند العامة.

وقال: في الحيوان من ينطق بألسنة الأقوال بأصوات يفهمها بعضهم.

وقال عن النفري: قال لي إن عارضك سواي فاصرخ إلي، فإن نصرتك فنم في نصري، وإن أقمتك في الصراخ فنم فيه، وإقامتي لك في الصراخ من نصري؛ وذلك لأنه إذا استمر في الصراخ، خيرٌ له من أن ينقطع باليأس، فما أقيم إلا في خير، وإن انقطع باليأس فاستعداده بالحرمان قتله.

وقال: معنى سريع الحساب عند الطائفة: إن حسابهم من أنفسهم، وحقيقة أن يمتاز لكل أحد وجه الحقيقة، فيظهر له هل هو من قسط الباطل، فإن كان منه، احتاج إلى السبك حتى ينشأ نشأة أخرى ملائمةً للحقيقة.

وقال: ليس الرجاء والخوف من أوصاف الصوفية؛ لأن الرجاء طمع، وهم يطالبون أنفسهم بمفارقة الطمع، والخوف جبن وبخل بالنفس أو المال، وذلك من سفاف الأخلاق.

وقال: سمعت ابن هود يقول: إذا لم تدخل يدي النار فلا أتألم، لم تثبت لي ولاية، ثم تعقبه بقولهم إذا برقت بارقة من التحقيق، ولم يبق حال ولا همة.

وقال: قال النفري: أفني على النار، فرأيت جيم الجنة جيم جهنم، وما به يعذب عين ما به ينعم.

وقال: من علم أن الحق هو مالك الملك حقيقةً لا مجازًا، لم يعترض على الملوك فيما تجري به أحكامهم،

إلى الله تعالى عن إنكار أوليائه، وتاب إلى الله عن افترائه عليَّ فهو أحق به ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣].

* * *

=

فإنها أحكام الله حقيقة، ويدل الله على قلب الملك، بل قلب الملك هو يد الله المتصرفة، تتصرف في الخواطر، ثم ينقلها إلى الخلق بالظواهر، والعام تنسب ذلك التصرف للمخلوق، والشاهد ينسبه للخالق، ولذا قالوا: من نظر إلى الناس بعين الحقيقة، عذرهم، ومن نظرهم بعين الشريعة، مقتهم، وسواء كان الملك من ملة الهدى أو الضلالة، فإن الهادي والمضل هو الله.

وقال: البارئ قادر مطلق فيلزم أن القادر المطلق مختار، وغير المختار لا يكون قادرًا، وغير القادر لا يكون إلهاً.

وقال: القادر المطلق قادر على الظلم والعدل، فإذا ترك الظلم مع قدرته على فعله، فعل العدل مع قدرته على تركه، ثبت أنه مختار.

وقال: القادر المطلق له كل شيء، وليس عليه شيء إلا ما جعله على نفسه فضلاً أو عدلاً، فهو من باب له لا عليه.

وقال: القادر المطلق له الأسماء الحسنى على الإطلاق، فله إطلاق العلم، فلا يتعذر عليه علم جزئية ما، ولهذا أحاط بكل شيء علما، فلا يعلمه من وجه ويجهله من وجه إلا بعلم من خلق.

وقال: القادر المطلق له الغنى المطلق، فليس عليه أن يخلق لأجل نفسه، لأنه غني بذاته لا بفعله، وليس كالإنسان الذي توصله أفعاله إلى غايته.

وقال: علم الله أزلي لأنه صفة ذاتية، فأجزاء المكونات على اختلاف اعتباراتها بكل وجه وصورة قد أحاط العلم بها من قبل إيجادها قبليّة، ولا أول لها، فالمحدث قديم في العلم قدم معيّة لا تبعيّة، ومن هنا نشأ غلط من قال بقدم العالم؛ إذ القديم بالعلم لا يكون قديمًا بالوجود؛ لأن العالم في العلم معدوم من جهة الوجود، وإن كان موجودًا من جهة العلم، فلا معنى للعلم إلا الإحاطة بالمعلوم قبل وجوده ليوجد على ما في العلم، ولا يحسن أن يقال العالم قديم في العلم بل العالِم به قديم. انظر: مرآة الجنان (٤/ ٢١٦)، البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٦)، النجوم الزاهرة (٨/ ٢٩).

خاتمة الرسالة

كتبه الملتجئ إلى حرم الله تعالى، مجد الدين الفيروز آبادي الصديقي -وفقه الله لمراضيه- وهو مؤلف «القاموس المحيط».

اللهم انطقنا بما فيه رضاك الذي اعتقده في حال المسئول عنه، وأدين الله تعالى به، إنه كان شيخ الطريقة حالًا وعلمًا، وإمام التحقيق حقيقةً ورسمًا، ومحيي رسوم المعارف فعلًا واسمًا، إذا تغلغل فكر المرء في طرف من مجده غرقت فيه خواطره، عباب لا تكدره الدِّلاء، وسحاب يتقاصر عنه الأنواء، كانت دعواته تخترق السبع الطباق، وتُفرق بركاته فتملأ الآفاق، وإني أصفه وهو يقينًا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظني أني ما أنصفته.

ومـا عـليَّ إذا مـا قلـت مُعتَقَـدِي	دَعْ الجَهُـولَ يظـنُّ العـدل عُـدوانا
والله والله والله العَظِيـــم ومَـــنْ	إقَامـــةِ حُجَـــة اللـــه بُرهَانـــا
إنَّ الذي قُلـتُ بَعـضًا مِـن مَناقِبِـهِ	مَـا زِدتُ إلا لعَـلي زدتُ نُقـصانا(١)

وأما كتبه ومصنفاته فـالبحار الزواخر، التي بجواهرها لكثرتها لا يعلم لها أول ولا آخر، ما وضع الواضعون بمثلها، وإنما خص الله بمعرفة قدرها أهلها، ومن خواص كتبه، أنه من واظب على مطالعتها، والنظر فيها، وتأمل في مبانيها، انشرح صدره لحل المشكلات، وفك المعضلات، وهذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس من خصه الله بالعلوم اللدنية الربانية.

---

(١) الأبيات ذكرها المقري التلمساني في «أزهار الرياض» ص (١٣٧٣)، و«نفح الطيب» ص (١٤٤٥).

ووقفت على إجازةٍ كتبها للملك المعظم، فقال في آخرها: وأجزت له أيضًا أن يروي عني مصنفاتي، ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفًا وأربعمائة مصنف، ومنها «التفسير الكبير» الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾[الكهف:٦٥] ستين سفرًا، فاستأثره الله تعالى، وتوفي ولم يكمل.

وهذا التفسير كتاب عظيم كل سفرٍ منه بحر لا ساحل له ولا عزو، فإنه صاحب الولاية العظمى، والصديقية الكبرى، فيما نعتقده، وندين الله به.

وثمَّ طائفة في الغي يعظمون عليه النكير، وربما يبلغ بهم الجهل إلى حد التكفير، وما ذلك إلا لقصور أفهمهم عن إدراك مقاصد أقواله، ومعانيها، ولم تنل أيديهم؛ لقصرها إلى اقتطاف مجانيها.

عَلَيَّ نَحتُ القَوافِي مِن مَقاطِعِها   وَما عَلَيَّ لَهُم أَن تَفهَمَ البَقَرُ(١)

هذا الذي نعلم ونعتقده وندين الله به في حقه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

كتبه الملتجئ إلى حرم الله تعالى محمد الصديقي -عفا الله عنه- وهو صاحب «القاموس» كتبه أفقر الورى، وأحوجهم إلى الله تعالى إسماعيل ابن الشيخ محمد الشاشي غفر له ولوالديه وللمسلمين أجمعين، آمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

❊ ❊ ❊

---

(١) البيت من البسيط، وهو للبحتري في ديوانه من قصيدة مطلعها:

في الشَيبِ زَجرٌ لَهُ لَو كانَ يَنزَجِرُ   وَواعِظٌ مِنهُ لَولا أَنَّهُ حَجَرُ



السر المُخْتَبِي

في

ضَريح ابن عَربي

قدّس الله سره ونَور ضَريحه

تصنيف

سيدي عبد الغني النابلسي

المتوفى ١١٤٣ هـ

تحقيق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

من علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين العالم بما في الصدور الباعث عباده في يوم الحشر والنشور من أجواف الوحوش وحواصل الطيور والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنزل الله تعالى عليه إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ورضوان الله تعالى على آله بالأنوار وأصحابه بالحقائق والأسرار وعن التابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الأدوار وما اختلف الليل والنهار. أما بعد فيقول عبد الغني النابلسي سامحه الله تعالى بنفحات العلية وعمه ببركاته في حضرة السنية: هذه نسمة من حدائق الغيب ونفحة تروح من الزوار القاصرين زكام الريب. وقد رتبتها بعض ما فتح الله تعالى علي به في مقام الإلهام حيث لا إشارات ولا كلام وهو النظم في ذلك على البديهة بيتين داخل الشام:

قبر محيي الدين من ستر القبور ... وهو للجاهل نار وهو نور

والذي يأتيه موسى ضرب منه ... خاطب الحق بأنواع الحضور

لا تقل نار فما النار سوى ... أنت واخرج عنك وادخل الظهور

جامع أعلاه والرحمن غدا ... تحته والنهر من أبهى النهور

وهو في الحضرة ما بينهما ... أسفل بل هو في أعلى القصور

والطريق الفقر والذل في ... ذاك والكل على هذا يدور

تأمل ما تحكي الأشياء ... من علوم هي ذكران دخور

اللهم الله تعالى بالشيخ الكامل والعالم العامل سلطان المحققين وبرهان الموحدين وحجة الله تعالى في جميع العارفين في كل وقت وحين إلى يوم الدين البحر العباب والبحر الكريم الوهاب محيي الدين بن علي العربي الحاتمي الطائي قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه آمين

صورة الصفحة الأولى

ومن ذا العالي الرفيع لا غيره. الذي دهشت العقول في معاني تصانيفه. وتحيرت الالباب في اثنا بين كلمات وتآليفه. وذاته ايضاً تحيرت فيها الانام. واختلفت فيها اقوال الخاص والعام. وضريحه ايضاً اشكل امره بالارتفاع والانخفاض فمن قال في الدرج الاعلى كان ذلك باعتبار روضة الحقيقة ذات النهر السائل الفياض. ومن قال في الدرك الاسفل كان ذلك باعتبار جامع الشريعة فقط عند اهل الماء الراكد في الحياض. وقلت في هذا الوقت من النظم.

ان محيي الدين الامام الهمام ∴ وهو بين الاصابع الابهام

اصبع من اصابع الحق مدت ∴ للبرايا فكان فيها الختام

مشكل كله علواً ودنواً ∴ وضريحاً حارت به الافهام

مثلما الحق فيه ضلت اناس ∴ واناس به اهتدوا واستقاموا

وكذا المرسلون اجمع نور ∴ عند قوم وعند قوم ظلام

فاعتبر باختلاف الانارة والضعف ∴ [illegible] ان زادت الاوهام

فما تراه [illegible] بك [illegible] ∴ ولذلك كيف كنت مقام

ولنفسك التي انت فيها ∴ كفر والحظوظ ذاك الكلام

واذا اصبحت بصائر كانت ∴ كالمرايا يلوح فيها المرام

واذا اظلمت فكل حياة ∴ فهي موت بين الورى والسلام

وهذا آخر ما قصدناه. ونهاية ما اردناه. والله المسئول في حصول القبول. والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده اللهم اصلح ذات بيننا. والف بين قلوبنا واهدنا سبل السلام. ونجنا من الظلمات الى النور بحرمة محمد عليه الصلاة والسلام وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد فرغنا من تصنيف هذه الرسالة يوم الثلاثاء اواخر ربيع الثاني سنة تسع وثمانين والف. م

صورة الصفحة الأخيرة

ترجمة الشيخ النابلسي

هو سيدنا الشيخ عبد الغني النابلسي الإمام العلامة العارف ذو المؤلفات الكثيرة، والرقائق الشهيرة، والشعر الرائق الغزير، والإنشاء البديع النضير، والخطب الرائقة، والمحاسن الفائقة.

لم يكن له مثيل في حل كلام الشيخ ابن عربي. وألف كتبًا لا تحصى، ودرس قديمًا بالجامع قرب داره، وأخيرًا أُعطي تدريس السليمية.

من مصنفاته:

- ديوان الحقائق.
- إيضاح الدلالات في سماع الآلات.
- إيضاح المقصود عن معنى وحدة الجود (بتحقيقنا).
- تحريك الإقليد في فتح باب التوحيد (تحت قيد التحقيق).
- تعطير الأنام في تفسير الأحلام.
- التوفيق الجلي بين الحنبلي والأشعري.
- ثبوت القدمين في سؤال الملكين (بتحقيقنا).
- ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث.
- رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة.
- السر المختبي في ضريح ابن عربي (كتابنا هذا).
- الرد المتين على منتقصي العارف بالله محيي الدين (قيد التحقيق).
- رد الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب (قيد التحقيق).

توفي في خامس عشرين شعبان، يوم الأحد قبل الظهر، سنة ١١٤٣ هـ.

وانظر: سلك الدرر للمرادي (٣/ ٣٠)، والأعلام للزركلي (٤/ ١٥٨).



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين العالم بما في الصدور، الباعث عباده في يوم الحشر والنشور من أجواف الوحوش وحواصل الطيور، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنزل الله تعالى عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[فاطر:٢٢] ورضوان الله تعالى على آله بالأنوار وأصحابه بالحقائق والأسرار، وعن التابعين لهم بإحسان ما تعاقب الأدوار، وما اختلف الليل والنهار.

أما بعد.

فيقول عبد الغني النابلسي شمله الله تعالى بنفحاته العلية، وعمّ بركاته في حضرته السنية هذه نسمته من حدائق الغيب، ونفحته ترفع من أنوف القاصرين زكام الريب، شرحتُ فيها بعض ما فتح الله تعالى عليّ به في مقام الإلهام حيث لا إشارة ولا كلام، وهذا نظمي في ذلك على البديهة ببيتي داخل الشام:

قَبرُ مُحيي الدِّين مِن أَسْنَى القُبورِ	وهو للصائلِ نارٌ وهو نورْ
والّذي يأتِيه مُوسى مُشرب	خاطبَ الحقّ بأنواعِ الحضورْ
لا تقلْ نارًا فَما النّارُ سِوى	أنتَ واخرجْ عَن تأويلِ الظهورْ
جامعٌ أعلاه والرّفض غدا	تحته والنهرُ مِن أبهَى النهورْ
وهو في الحضرةِ مَا بينها	أسفل بل هُو في أعلَى القُصورْ
والطريقُ الفقرُ والذلةُ في	ذاكَ والكلُّ على بَدرٍ يدورْ
فتأملْ مَا منحنَاكَ به	من علومٍ هي ولدانٌ وحورْ

ألهم الله تعالى الشيخ الكامل، والعالم العامل، وسلطان المتحققين، وبرهان الموحدين، وحجة الله تعالى في جميع العارفين في كل وقت وحين إلى يوم الدين، البحر العباب، وبيته الكريم الوهاب محيي الدين ابن علي العربي الحاتمي الطائي قدس الله تعالى روحه، ونور ضريحه أن يسكن دمشق الشام بعد أن طاف البلاد، وخالط العباد بسر فهمه من قول النبي ﷺ: «**عليكم بالشام**»[1] لا تقدر أن تفهمه العوام، والإشارة خفية في قوله ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام على المنارة البيضاء في دمشق، فيقتل الدجال...**»[2] الحديث المشهور بين أهل الإسلام، ثم إنه رضي الله عنه ونوّر مرقده، قضى نحبه، وانتقل إلى جوار ربه، ولله در التهامي في هذا المعنى السامي:

جَاورْتُ أعداءً لي وجاورَ ربّهُ شَـتّانَ بَـينَ جِـوارِه وجِـوارِي

ثم كان من الحكمة الإلهية والأسرار القدسية أن دفن في سفح جبل الصالحية، وقبره الآن هناك معروف يزار، ويا له من قبر شريف مملوء بالمعارف والأسرار، فهو الخزانة المحبوبة، والمدينة العلمية البهية، بابها مفتوح على أهل الفتوح.

فاسمع يا أيها المؤمن بالغيب الأقدس في الليل إذا عسعس، أشرح لك تكوين قبره الشريف، وأُنبئك على أنه محير لأهل الزيغ ممن لا يسلم الأمر لله الخبير اللطيف.

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٣)، وأحمد (٣٤٠٨).
(٢) رواه مسلم (٥٢٢٨).

فإنه مدفونٌ في تُربة منحدرة عن جبل قاسيون بعض الانحدار؛ لأنها في قلب هذا الجبل المبارك، والمعرفة في القلوب لا الأفكار، ورحم الله تعالى السلطان ابن عثمان المسمى سليم خان - سلمه الله تعالى من الانتقاد على أهل اليقين والإنكار - فإنه عمّر مدرسة مباركة عليه، ورتب على الفقراء هنالك صدقات جارية، وذلك حين دخوله إلى دمشق الشام، لمّ أخذها من يد السلطان الغوري بإذن الملك العلام، فاقتضت الأسرار الإلهي والحكمة الربانية أن بنى قبر الشيخ ﷺ ونور ضريحه في وسط الجامع، ينزل إليه القاصد بنحو سبع درجة أسفل من أرض الجامع ليس كما يعهد في المدافن والمساجد.

ثم إنك إذا نزلت من طرق خارج المسجد لضيق به من الجانب اليمين وصلت إلى روضة خضراء شق وسطها نهرٌ من ماء معين.

ثم إذا دخلت تلك الروضة وجدت قبر الشيخ ﷺ ونور مرقده أعلى ما يكون بعكس حالتك وأنت في المسجد الجامع المصون، وفي هذا الشأن العجيب سرٌ غريب تأمله بعين الاعتبار إن كنت من أولي الأبصار، وما ذلك السر المغلق إلا حضرة إجمال المطلق يتحير فيه الغافلون، ويهتدي إليه العارفون ﴿ **نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾ [القلم:١].

فمن دخل المسجد ودخل المحراب لم يعرف هذا السر الذي اختبئ عليه بقصده فحبس خلف الباب، ولهذا يرى الداخل مقام الشيخ الأكبر أسفل منه دائمًا هو مقام نفسه إلا حقر ظهر له في النور إلا قهره، ومن أجل هذا لا يفهم شيئًا

من الكلام الحق في حضرة الصدق، وظن أن ظلمات الأفكار والنفوس على أنوار حضرة العروس؛ فطرد من البيت لأنه ليس من أهله كل شيء راجع إلى أصله، ومعرفة كيفية العمل بالمطلوب ليست هي معرفة العمل المرغوب.

فيا أيها العبد المفتون، لا تغفل عن حقيقة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[البقرة:١١٧] قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦] وقال تعالى: ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:١٤].

فافهم أولاً يا أيها الفقيه ما يشير إليه النبيه، وتحقق بنفسك التي تعمل بها، فإنه يزول عنك المسجد والمحراب، وتجد الشيخ ﷺ ونور مرقده في حضرة العلو والاقتراب لا في حضرة السفل والحجاب، وتواضع في هذا المقام السامي، وخذ على جانب المسجد اليمين في الركن الشامي، وادخل من جانب الطور الأيمن إلى البقعة المباركة من الشجرة الموسوية، وخذ ما خرج لك وكن من الشاكرين للحضرة الحقيقية، ثم المحيوية، واكرع من ذلك النهر العذب، ولا تشتغل بالمعرفة عن الرب؛ فإنك تجد إن شاء الله تعالى مقام الشيخ أعلى المقامات، ومنزلته من أفخر المنـزلات، وانشق من ذلك الروض نسمات القبول، ولا تخش من كلام حاسدٍ مغرورٍ بأنواع الفضول؛ فإن النور لا تعرفه العميان، وأي فضيلة لك إذا كنت تقلد في المدح والذم كل إنسان، فإن الحمار يحمل الأثقال، ولا يعرف الفرق بين ما حمل من الزبل والمرجان، وبالله المستعان.

فمن دخل من باب العبادة والصلاة بنفسه لغفلته عن شهود ربه وآثار عقله و حسه فهو شرك بلا شعور، فكيف يصل إلى أعلى منازل القصور؟! وهو عن معرفة أهل الله تعالى في غرو.

ومن دخل من باب العبادة والصلاة من الطريق الأيمن وتواضع لربه فانحدر في ذلك المسلك الأبين؛ فإن أهل المسجد لا يشربون الماء إلا من تلك الروضة بذلك الدولاب، وأما أهل الروضة فلا يحتاجون إلى ماء المسجد والمحراب.

ويدخل إلى المسجد المعتقد والمنتقد وأما الروضة فلا يدخلها إلا المعتقد وقلت في هذا الوقت من النظم:

جَامِعٌ للشّرِّ والخيرِ ... جامعٌ للعَينِ والغِيّرِ
مَاؤه مِن مَاءِ رَوضتِه ... فِي قَامات وفِي سِيّرِ
مُطربٌ فِيه مُؤذِنه ... أينَ مِنُه نَغمةُ الطّيرِ
رَوضةٌ نَفَع بأَجْمعِهَا ... وهو من نفَع ومن ضَيرِ

واعلم بأن الشريعة اعتقادات وأقوال وأعمال بأمور كلٌّ مكلفٌ بها أن ينصف بهاء لا أن يؤثر به فإن الله تعالى لا يأمر بالشرك قال تعالى: ﴿ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [الأعراف:٢٨] ولا فحشاء ولا منكر أبلغ من الشرك؛ فإن قبول الاتصاف بها هو الكسب الذي قال تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:٢٨٦] ونظيره أمر الله تعالى الأشياء المعدومة أن تكون بقوله: ﴿كُن﴾ فإنه لم يأمرها على أن تؤثر

الوجود في نفسها بل أمرها أن تتصف به، وهو الذي يؤثره فيها، وقبولها لذلك الاتصاف هو مقدار ما يصدر عنها في صحة نسبة ذلك الفعل إليها.

وكثير من الناس يظنون أن الله تعالى أمرهم أن يؤثروا فيما أمرهم به من الأحكام في العبادات والمعاملات، ويبنون أعمالهم على الشرك الخفي بحسب فهمهم القاصر وهو أمر باطل، ولهذا قالها الله تعالى: ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٤] أي: على أي كيفية تعملون، بل تعملون على وجه التأثير منكم والإيجاد وعلى وجه الاتصاف وقبول نسبة ما نخلقه لكم من الأعمال على طبق قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] أي: وعملكم، وكل من اشتغل أولاً بالجامع والمحراب وتقيد بالعبادات قبل أن يعلم كيف يعمل فيما أمر الله تعالى فقد كان من الأخسرين أعمالاً ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ومن لازمه الإنكار على الشيخ الأكبر فيما ليس هو في صلاة من علمه الأفخر، فهو كذلك أطغى وأحقر.

وأما الحقيقة في الفعل فهي معرفة الأمر على ما هو عليه فتعمل بما أُمرت به وأنت عارف كيف تعمل، وليس الأمر جبرًا، ولا على وجه أكمل والإلجاء إلى الفعل، وإنما قدرة حادثة وإرادة حادثة واختيار حادث، واعتقادات حادثة، وأقوال حادثة، وأفعال حادثة أوجدها الحق تعالى وحده في العبد فقبل العبد الاتصاف بها، والتأثير من الله تعالى وحده ولا تأثير للعبد أصلاً ومع كون العبد لا تأثير له أصلاً، والتأثير للرب تعالى وحده ليس العبد مجبورًا في أعماله؛ لأن قدرته الحادثة وإرادته الحادثة، واختياره

الحادث ينافي كونه مجبورًا، وإن كانت القدرة الحادثة والإرادة الحادثة والاختيار الحادث لا يؤثر شيئًا؛ لأن القدرة والإرادة والاختبار من شرطها التأثير.

أرأيت إن قدرة الله تعالى القديمة وإرادته القديمة واختباره القديمة قبل أن يظهر عنها كل شيء لم تكن مؤثرة بحسب الظاهر في كل شيء، ومع ذلك هي قدرة تنفي عنه الإكراه، واختيار ينفي عنه الجبر، فمن دخل مسجد الشريعة قبل دخول روضة الحقيقة خسر خسرانًا مبينًا، ووجد قبر الشيخ الأكبر ﷺ ونور مرقده في الحضيض الأسفل؛ فاعترض وأنكر وانتقد واحتقر، وإنما هي حالته رآها في مرآة الشيخ ﷺ ونور مرقده.

ومع ذلك لا بدَّ له من ماء حياة يستخرجه بدولاب الفكر من تلك الروضة ليتم له الحضور، ويكمل الخشوع والخضوع.

ومن دخل روضة الحقيقة استكمل أمره في القيام بآداب الشريعة، وسعد سعادة الدارين، ووجد قبر الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر قدس الله روحه ونور ضريحه في الأوج الأعلى، واطلع على نهر الحياة الأبدية، وغنم ثمار السعادة السرمدية، فما أوسع حضرة الشيخ ﷺ ونور مرقده، وأعز علوه، وما أعظم أمره، وأكبر معنوية شأنه، أوقع أهل الخصوص وأهل العموم في الحيرة، ومقامه العالي الرفيع لا غيره، اندهشت العقول في معاني تصانيفه، وتحيرت الألباب في أفانين كلماته وتآليفه، وذاته أيضًا تحيرت فيها الأنام، واختلفت فيها أقوال الخاص والعام، وضريحه أيضًا أشكل أمره بالارتفاع والانخفاض، فمن قال: في الدرج الأعلى، كان ذلك باعتبار روضة الحقيقة، ذات النهر السائل الفياض، ومن قال: في الدرك الأسفل، كان ذلك باعتبار جامع الشريعة فقط عند أهل الماء الراكد في الحياض.

وقلت في هذا الوقت من النظم:

إنّ مُحيي الـدِّين الإمَـامُ الهُـمامُ وهُـو بَـين الأَصـابع الإبهـامُ

صُبعُ مِن أَصـابع الحـقِ مُـدت للبرَايـا فَكَـانَ فِيهَـا الخِتَـامُ

مُـشكل كلّـه علومًـا و ذاتًـا وضريحًـا حَـارتِ بـه الأفهـامُ

مثلما الحـقُ فَيـه ضَـلتْ أُنَـاسٌ وأُنَـاسٌ بـه اهتَـدوا واسـتَقامُ

وكَـذا المُرسـلُون أَجمـع نُـورٌ عنـد قـومٍ وعنـدَ قَـومٍ ظـلامُ

فاعتبرْ يا أخِي الإنَارة وأَنصفْ وتأمـلْ إنْ زادَت الأَوهـامُ

إنـمّا قَـبرُه تـرى بِـك هَـذا ولـه فِيـك كيـف كُنـتَ مقـامُ

ولَـه نفـسكَ الّتـي أنـتَ فيهـا كفـنٌ والخيـوطُ ذَاك الكـلامُ

وإذا أصـبحتَ بـصائرَ كانـت كالمرَايـا يلـوحُ فيهَـا المـرامُ

وإذَا أظلمـتَ فكُـل حيـاةٍ فهِي موتٌ بين الـورَى الـسّلامُ

وهذا آخر ما قصدناه، ونهاية ما أردناه، والله المسئول في حصول القول، **والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ﷺ.**

اللهم أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، وأهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور بحرمة محمد عليه الصلاة والسلام، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وقد فرغنا من تصنيف هذه الرسالة يوم الثلاثاء، أواخر ربيع الثاني سنة تسع وثمانين وألف.

❊ ❊ ❊

أهم مصادر البحث والتحقيق

- الإشارات والتنبيهات لابن سينا.

- الإمام الجنيد سيد الطائفتين، للمزيدي.

- ابن سبعين وفلسفته الصوفية لأبي الوفاء الغنيمي.

- ابن سينا بين الدين والفلسفة، لحمودة غرابة.

- أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الحسيني، المكتبة العلمية، بيروت.

- إحياء علوم الدين للغزالي.

- الأعلام للزركلي.

- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، ببيروت.

- الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.

- الأمثال، لأبي عبيد، دار المأمون للتراث بدمشق، ١٩٨٠م.

- الانتصار للأولياء الأخيار للموصلي.

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، المكتبة العلمية.

- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية .. في الحلول والاتحاد. لابن تيمية.

- البداية والنهاية لابن كثير.

- تاج العروس، للزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦.

- الترغيب والترهيب للمنذري، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٦٨م.

- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي.

- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٣٠.

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار الكتب المصرية ١٩٦٧م.

- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ط. المكتبة التوفيقية، مصر.

- تهافت التهافت لابن رشد.

- تهافت الفلاسفة للغزالي.

- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري.

- التصوف لإحسان إلهي ظهير.

- التصوف المنشأ والمصادر للسابق.

- التصوف بين الدين والفلسفة إبراهيم هلال.

- جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي.

- جامع الرسائل لابن تيمية.

- جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال (١٠-رسائل) المزيدي.

- جمهرة أشعار العرب، للقرشي، دار نهضة، مصر، ط١، ١٩٦٧م.

- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٧٧م.

- جمهرة اللغة، لابن دريد، حيدر آباد ١٣٤٤.

- حكم الفصوص وحكم الفتوحات لشريف ابن ناصر الكيلاني.

- الحلية لأبي نعيم.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي.

- خلق أفعال العباد للبخاري.

- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية.

- دلائل الإعجاز، للجرجاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م.

- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري، وزارة الثقافة، بغداد.

- رسائل الشيخ عبد الحق ابن سبعين، دار الكتب العلمية.

- رسائل إخوان الصفا.

رسائل الكندي.

- الرسالة القشيرية للأبي القاسم القشيري.

- روضة الحبور ومعدن السرور لابن الأطعاني.

- روضة العقلاء لابن حبان، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الرد على القائلين بوحدة الوجود لعلي القاري، دار المأمون للتراث، دمشق.

- الرد على فصوص الحكم للسعد، مخطوط بدار الكتب المصرية.

- سنن الترمذي، طبعة المكتبة الإسلامية.

- سنن الدارمي، دار إحياء السنة النبوية.

- سنن أبي داود.
- سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣م.
- سنن النسائي.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة ببيروت ط١، ١٩٨١م.
- شذرات الذهب لابن العماد.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي.
- شرح مشاهد الأسرار القدسية للست عجم بنت النفيس.
- شرح جوهرة التوحيد للقاني.
- شروح على أرسطو، لعبد الرحمن بدوي.
- الشفا للقاضي عياض.
- الشفا لابن سينا.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، دار العلم للملايين.
- صحيح البخاري، فتح الباري.
- صحيح مسلم.
- صفوة الصفوة لابن الجوزي.
- طبقات الصوفية للسلمي.
- طبقات الأولياء لابن الملقن.

- الطبقات الكبرى للشيخ الشعراني.
- غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي، مكة المكرمة، كلية الشريعة.
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام.
- غريب الحديث، لأبي عبيد الهروي.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر.
- الفتوحات المكية للشيخ الأكبر.
- فصوص الحكم للشيخ ابن عربي.
- فوات الوفيات، لابن شاكر.
- فيض القدير للمناوي.
- فيض القدير، للشوكاني، ط٣، ١٩٧٣م.
- القاموس المحيط، للفيروزابادي.
- القرامطة لابن الجوزي.
-كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث للسندي.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر.
- الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري.
- كشف الخفاء، للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني.
- كشف الظنون، لحاجي خليفة.

- الكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي.
- كيمياء السعادة للغزالي.
- لطائف الأعلام للقاشاني.
- اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين بن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور.
- مجمع البحرين شرح الفصين للشريف ابن ناصر الكيلاني، دار الآفاق العربية.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده.
- مرآة الجنان لليافعي.
- مرآة الحقائق للشيخ إسماعيل حقي، دار الآفاق العربية.
- مسند الإمام أحمد.
- مشكاة الأنوار للغزالي.
- المصنف، لابن أبي شيبة.
- المصنف لعبد الرزاق.
- المطالب العالية للرازي.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي.
- معجم قبائل العرب، لعمر رضا كحالة.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري.

- مفتاح الغيب للقونوي.

- مقالات الإسلامين للأشعري.

- المبدأ والميعاد لابن سينا.

- المواقف في علم الكلام للإيجي.

- الميزان الذرية في بيان عقائد الفرقة العلية للشعراني، دارة الكرز.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي.

- نشر المحاسن لليافعي.

- النصوص للقونوي، دار الكتب العلمية.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني.

- نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني، دار الكتب العلمية.

- النجاة لابن سينا.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير.

- هدية العارفين للبغدادي.

- الوحيد في سلوك أهل التوحيد للقوصي، دارة الكرز.

- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان.

التعريف بالمحقق

هو الشيخ أحمد بن الشيخ فريد بن الشيخ أحمد بن الشيخ مزيد السوهاجي الحسني، الشافعي القادري الأكبري الأحمدي الأزهري، أبو الحسن والحسين، المزيدي.

من مواليد حي- الشعراني- بالقاهرة.

نشأ في أسرة سلفية، كان والده من كبار مشايخ السلفية، وله رسائل حسنة.

بدء الشيخ المحقق حياته في المدارس السلفية وأخذ عن أشهر مشايخها في مصر ولازمهم، وصنَّف وحقق كتبًا كثيرة في منهجهم الوهابي، حتى هداه الله للعلم الشريف، والسبيل الحق السوي الصحيح، فأقبل على التصوف ودأب على خدمته، والسعي على نشر علم السادة الصالحين والعلماء العارفين، أدام الله خيره ... آمين.

فقد تلقى العلم عن أكثر من خمسين عالم من بلاد مختلفة، أولاهم عنده شيخ القوم والطريق المربي سيدي: مصطفى بن عبد السلام-قدس الله سره-.

حصل على إجازات متعددة في الحديث وعلوم الشريعة.

- عمل عميدًا لمكتبة المصطفى-بشبرا مصر.

عمل خبيرًا وباحثًا للمخطوطات العربية بمعهد المخطوطات-بالجامعة العربية- القاهرة.

-وهو أحد الثلاثة الذين رشحوا لجائزة مؤسسة التقدم العلمي بالكويت سنة ٢٠٠٥ وذلك باعتباره من الشخصيات البارزة في تحقيق التراث ..

أنشأ دار الحقيقة المحمدية للبحث العلمي وتحقيق تراث السادة الصوفية.

بعض أعمال الشيخ المحقق والمؤلف

في التصوف

- لوامع الأنوار وروض الأزهار، لعبد الحافظ المالكي.
- المعاني الدقيقة الوفية فيما يلزم نقباء السادة الصوفية للأبشيهي.
- المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية.
- المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للسخاوي.
- المنهاج السوي في ترجمة النووي-مع تحرير التنبيه ورسائل للنووي.
- جلاء القلوب من الأصداء الغيبية ببيان إحاطته بالعلوم الكونية للشيخ الكتاني.
- سر الأسرار للشيخ عبد القادر الجيلاني.
- فتوح الغيب للشيخ الجيلاني.
- قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر للتاذفي.
- السيف الرباني في عنق المعترض على القطب الجيلاني لابن عزوز.
- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي.
- خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر لليافعي.
- كتاب الزهد لهناد السري.
- كتاب الزهد لأبي حاتم الرازي.
- كتاب الزهد لوكيع.
- كتاب الزهد لأبي داود.

- الفوائد في الزهد لأبي جعفر الخلدي.
- الزهد لأسد بن موسى.
- شرح تائية ابن الفارض للقيصري.
- شرح التائية للقاشاني.
- أشرف الوسائل إلى فهم كلام الشمائل لابن حجر الهيتمي.
- تحفة الزوار لقبر النبي المختار لابن حجر الهيتمي.
- الشمائل المحمدية للترمذي.
- الأحاديث النبوية في الترغيب والترهيب لليافعي.
- الشفا في حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض.
- الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع للشعراني.
- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين للشعراني.
- مختصر فرائد القلائد للشعراني.
- الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق للشعراني.
- العرائس القدسية في معرفة الدسائس النفسية لمصطفى البكري.
- السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد لمصطفى البكري.
- الروضات العرشية شرح الصلاة المشيشية لمصطفى البكري.
- كروم عريش التهاني شرح صلاة ابن مشيش الداني لمصطفى البكري.
- الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر للديري.
- كتاب الأربعين في إرشاد السائلين

- روضة الحبور ومعدن السرور لابن الأطعاني.
- الأرواح للعلواني.
- الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة، لأبي الهدى الصيادي.
- الحكم المهدوية للرواس.
- النفحات الشاذلية شرح البردة البوصيرية لحسن العدوي.
- النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم لطغرو.
- إحياء القلوب شرح حكم سيدي محمود الكردي.
- شرح الحكم الصوفية (الكردية) للشرقاوي.
- شرح الحكم الأكبرية للبابي الكردي.
- شرح الحكم الغوثية لابن علان الصديقي.
- حكم سيدي مصطفى البكري.
- شرح الحكم الأكبرية للداموني.
- البيان والمزيد-شرح حكم أبي مدين- لباعشن.
- قلائد الزبرجد شرح حكم مولانا أحمد لأبي الهدى الصيادي.
- الشرف المؤبد لآل محمد للنبهاني.
- تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس لابن عطاء.
- أصول الهداية لابن باديس.

- الورع للإبياري.
- بهجة المسافر في مناقب الشيخ عدي بن مسافر.
- بوارق الحقائق للرواس.
- راحة الأرواح للصيادي.
- شمس المعارف الصغرى للبوني.
- جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي.
- شرح مشاهد الأسرار القدسية للست عجم بنت النفيس.
- رسائل الشيخ ابن سبعين.
- الانتصار للأولياء الأخيار للموصلي.
- الكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي.
- محاسن الأخبار في الصلاة على النبي المختار ﷺ للأبشيهي.
- الإمام الجنيد سيد الطائفتين.
- الدلالة على الله للصقلي.
- الأنوار في علوم الأسرار للصقلي.
- نسمات الأسحار في كرامات الأولياء الأخيار لبن علوان الحموي.
- جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال (١٠-رسائل) المزيدي.
- شعاع النور في أحكام القبور، للمزيدي.
- كشف النور عن أصحاب القبور للنابلسي.

- تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا عليه الصلاة والسلام لابن عظوم.
- لسان القدر في نسيم السحر للجيلي.
- قاب قوسين وملتقى الناموسين للجيلي.
- شرح الصلاة الأكبرية لابن عبد الجليل القادري.
- أنوار النبي أسرارها وأنواعها لابن سبعين-شرح المزيدي.
- حكم الفصوص وحكم الفتوحات للشريف ابن ناصر الكيلاني.
- شرح الأنفاس الروحانية لأئمة السلف الصوفية للديلمي.
- شعائر العرفان لسيدي محمد وفا.
- نفائس العرفان لسيدي محمد وفا.
- المعاريج لسيدي محمد وفا.
- أعمال متعدة للسادة الوفائية.
- أعمال متنوعة للسادة الرفاعية.
- أعمال متنوعة للسادة الشاذلية.
- أعمال متعددة وخاصة للسادة القادرية.

وغير ذلك كثير طُبع، وتحت قيد الطبع.

وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كثيرًا

فهرس الموضوعات

ترجمة الشيخ الأكبر للشيخ الكتاني

الفتح المبين في رد اعتراض المعترضين على الشيخ محيي الدين
الرد على السعد التفتازاني للعطار الدمشقي الشافعي

الفتح المبين في رد اعتراض المعترضين على الشيخ محيي الدين

الرد على الملا علي القاري للعطار الدمشقي الشافعي

مناقب الشيخ محيي الدين للشيخ عبد الرءوف المناوي

الانتصار للشيخ الأكبر للشيخ يوسف الموصلي

الاغتباط بمعالجة ابن الخياط للفيروزآبادي